د. عزيزة المانع

## د. عزيزة المانع في أولى مكاشفاتها:

نعم أنا ناصرية ولم أكن يوماً من الأرستقراطيات، وبكيت كثيراً لهزيمة ٦٧م لأنها نهاية بائسة لحلم جميل.

- أسعد أوقاتي وأنا طفلة حين أتحدى حكايات الجدّات عن الجن فيبسملن مرتجفات.
- معركة تعليم البنات كانت في القصيم وليس في الرياض.
- لم يعجبني العقاد يوماً بسبب لغته العنيفة وغلو فكره.
- كنت من (الدوافير) اللواتي يحرصن على مزيد من الجدّ.
- أهل الحجاز أكثر تمدناً وأقل تشبثاً بالتقاليد مما أعطى الحياة طابعاً أجمل.
- أحمد سعيد كان له تأثير إيجابي بعكس الصحّاف الذي لم يترك أيّ أثر.
- حديث الريحاني عن مجتمع عنيزة هو انطباع شخصي صرف.
- المناهج لم تتغير كثيراً عما كنت أدرسه وأنا طالبة.
- مازلت أحمل أجمل الصور لمدينة الطائف في ذلك الزمان الجميل.
- الإعلام مهما كان قوياً لا يستطيع أن يخلق من الفاشل ناجحاً.
- أبداً.. الناصرية لم تسقط لأنها ببساطة ليست أيديولوجية.
- كنت أميل إلى قراءة طه حسين وأحمد أمين وأنا في الثانوية.

* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٣ م

## بين يدي مكاشفات:

ارتبط اسم ضيفة (مكاشفات) لهذا العدد بحدث هزّ المجتمع السعودي برمته، وقصدت بذلك تلك المظاهرة الشهيرة أوائل التسعينيات الميلادية في الرياض، التي طالبت بالسماح للمرأة السعودية بقيادة السيارة.

ومذ ذاك، اعتبرها بعضهم ولا يزال إحدى دعاة التغريب الاجتماعي، بل غالى بعضهم ورمّزها داعية للعلمنة والتحرر النسائي بكل الدلالات السلبية لذلك المفهوم، فيما رصد بعض المتابعين للساحة الفكرية، بأن ضيفتنا الكريمة نحت في الآونة الأخيرة، وخصوصاً بعد ١١ سبتمبر إلى طرح محافظ ومعتدل، مدللين بمقالات عالية الصوت والمحافظة، تدافع عن قيم المجتمع وترد على بعض الأقلام التي انتهزت الظرف السياسي والمجتمعي الحرج للنيل من ثقافة وثوابت الأمة.

أحببنا أن نسبر غور هذه المرأة المثيرة للجدل، وحملنا أسئلة (مكاشفات) إليها كي نجلو آراءها، ونوقف اللغط ونعطي صورة حقيقية عن تلك التهم التي ألبسها بعضهم بها بعد مظاهرة قيادة السيارة كي يكون لدى المهتم والباحث إجابات واضحة ومثبتة فضلا عن توثيق هذه المرحلة التي في ظني لم يكتب أحد عنها بشكل علني في وسائل الإعلام.

استقبلنا ابنها عبدالعزيز ذو الثمانية عشر ربيعاً عند باب إحدى وحدات السكن الجامعي، وسألته أسئلة المجاملة عن أخيه الأكبر الدكتور تيم الذي يكمل بكندا دراساته العليا في الطب، وثنيت بالسؤال عن أخته الكبرى رؤيم التي تكمل هي الأخرى حلم والدتها في دراسة الطب، واختتمت بأخيه الأصغر رواح.. لأدلف بعدها إلى قاعة الضيوف.

خمّنت وأنا في انتظاري بالقاعة بأنني سألتقي بامرأة حديدية وأكاديمية صارمة، صرامة حروفها.. وانثالت إلى ذهني الكليل الصورة التلفازية في الأفلام

المصرية القديمة لـ"الناظرة" قاسية القلب جامدة القسمات، تضع على عينيها الغاضبتين دوماً نظارات طبية كبيرة، فيما هي تأمر وتنهر وترغي وتزبد بصوت أجش... وبدأت أحوقل وأسترجع وأنا أتمثل المعاناة والتبرم اللذين سيتلبساننني من حوار هذه "الناظرة"..

وإذ رحبت بي د. عزيزة المانع، الأكاديمية والكاتبة الشهيرة وضيفة (مكاشفات) لهذا العدد، لوجدتني إزاء امرأة في منتصف الخمسينيات من عمرها أو تزيد، مرتدية حجابها الشرعي، تتلمس من حضورها الأوّلي الأدب الجمّ والتهذيب الشديد والتواضع.. وقتها بدأت تتبخر من رأسي صورة "الناظرة" المصرية شيئاً فشيئاً لتحل مكانها صورة حقيقية لأكاديمية تمتلك روحاً مثلى وخفيفة، فضلاً عن شخصية قوية وحازمة، ممتلئة بثقة إلى أقصى مداها.

اكتشفت أثناء حواري أن ضيفتنا العزيزة لا تعرف أبداً المداهنة أو التزييف أو حتى المجاملة السلبية.. ولمست ثقافتها العريضة وإلماماً أيضاً بالجانب الفقهي الشرعي خصوصاً ما يتعلق بقضايا المرأة.

وأسجل هنا شهادة أسأل بها أمام الله بأن د. عزيزة تنطلق في كثير من آرائها، التي لا أتفق مع بعضها، من منطلق شرعي ولكنها تنحاز الى مدارس فقهية غير السائدة لدينا، وتتحجج بها.

همست للدكتور عبدالله المعيقل زوجها وهو بجانبي: حقيقة لقد تفاجأت من إجابات زوجتك وصراحتها، وسيتفاجأ القراء معي بكثير من إجاباتها التي نسردها لكم في الجزء الأول في هذا العدد.

**عبدالعزيز قاسم**

***نشكرك أولاً، على تكرمك بأن تكوني ضيفة على صفحة (مكاشفات). وكعادتنا مع ضيوفنا، نود لو تحدثينا عن طفولتك وظروفك الاجتماعية، وتلك البيئة التي شهدت تنشئتك وتفتُّح المدارك لديك؟***

ج: أشكر لك استضافتك لي، وأقدر عناءك من أجل ذلك.

بالنسبة لنشأتي فقد كانت في منطقة الحجاز ما بين مكة وجدة والطائف، وكان ذلك خلال عقد الخمسينيات الميلادية. كان والدي، رحمه الله، يعمل في المكتب الخاص لولي العهد آنذاك، وكان عمله يتطلب منه التنقل وكنا نتنقل معه، واعتدنا أن نقضي أشهر الصيف في الطائف، الذي مازلت أحمل له أجمل الصور، فقد كانت حياتنا في الطائف لها طابع خاص يختلف عن مكة أو جدة، سواء في طراز البيوت المفتوحة بـ (دواوينها) الجميلة، خاصة في الأيام الممطرة، أو في طبيعة العيش نفسها.. ففي الطائف كان يسمح لنا بالخروج واللعب خارج البيت قريباً منه وكنا نحس بشيء من الحرية والانطلاق اللذين لم يكونا ليتوافرا لنا في مكة أو جدة.

في مكة وجدة كانت الحياة أكثر انغلاقاً، وفرص اللهو واللعب أقل، ففي تلك الأيام لم يكن هناك تلفزيون ولا ملاهٍ للأطفال، ولا مطاعم أمريكية، ولا مجمعات أسواق للتسكع، كانت التسلية الوحيدة لنا هي القراءة، وكنا نفرح عندما نجد مجلة (سمير وتهته) المصرية، أو تقع بين أيدينا قصة من قصص كامل الكيلاني أو الأبراشي.

***بودي سؤالك عن جانب تجفل منه السيدات عادةً، هلا أطلعت قرائي الكرام على تاريخ ميلادك، أو على الأقل لو تعرّفنا على الأجواء التي صبغت ذلك التاريخ الذي تحدثيننا عنه؟***

* (مبتسمة ورافضة البوح بتاريخ الميلاد) كانت تلك الحقبة كما أذكر في أوائل الخمسينيات...، بالنسبة لدراستي في المرحلة الابتدائية فقد كانت في مدارس

أهلية لأن المدارس الحكومية لم تكن قد أنشئت حينها، دخلت مدرسة أهلية نلت منها الشهادة الابتدائية.

✍ ***عفواً دكتورة.. في أي الأحياء كنتم تقطنون؟***

* في الطائف سكنا في الشرقية والشهداء، وفي مكة سكنا في أجياد، وفي جدة في حارة الشام.

✍ ***ما اسم المدرسة التي درست فيها؟***

* مدرسة الفتيات الأهلية.

✍ ***هلا أكرمتنا بالجنسيات التي كانت المعلمات في تلك المرحلة ينتمين إليها كنوع من التوثيق التأريخي؟***

* على ما أذكر كان بعضهن من الجالية الإندونيسية وبعضهن من الباكستانيات وبعضهن من مصر.

✍ ***وكيف كانت الأجواء التعليمية آنذاك؟ هل كانت مختلفة عما هي عليه الآن؟***

* كانت المدارس صغيرة الحجم في مبناها وفي عدد منسوباتها من الطالبات والمعلمات، وكان التعليم فيها يتم وفقاً لمنهج مدارس البنين، وكنا ندرس نفس الكتب التي كانت تدرس للطلاب. وكان ذهاب الفتيات إلى المدرسة في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات الميلادية أمراً غير شائع. فمدارس البنات الحكومية في أوائل الستينيات كانت في بداية نشأتها ولم تكن منتشرة آنذاك، فكنت أشعر بالتميز على بنات الجيران وبعض القريبات اللاتي لم يكن يذهبن إلى المدرسة. كما أذكر أنني كنت من أصغر الطالبات في المدرسة، وكان ذلك يغيظني لأني كنت أشعر بازدراء الزميلات لتلك الطفولة في، فقد كانت معظم الطالبات في سن المراهقة وكانت لهن أسرارهن الخاصة وحكاياتهن التي يهربن

بها من طفلة مثلي، وكنت أجتهد في تملقهن والتقرب إليهن بتقديم الخدمات لهن وقد استغللن ذلك فكن يرسلنني برسائل خاصة إلى بعضهن، لم أدرك فحواها إلا فيما بعد.

**من بقي في ذاكرتك من صديقاتك وزميلاتك في تلك المرحلة؟**

* من زميلات المرحلة الابتدائية أتذكر أسماء مثل مريم وصالحة وفايزة، إلا أنه مع الأسف لم تربطني بهن صلة. وأجدها فرصة الآن لأبلغهن تحياتي إن كن يتذكرنني. أما زميلات المرحلة المتوسطة والثانوية فأذكر منهن الأميرتين العنود وسارة بنتي محمد آل سعود، والأميرة سارة تعمل الآن مدير عام الإشراف الاجتماعي في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، والأخوات قماشة الدغيثر، وحميدة وفوزية الفرائضي، وفاطمة شيبة، وعلياء مطبقاني. وبعضهن مازالت تربطني بهن علاقة صداقة، وبعضهن مع الأسف انقطعت الصلة بيني وبينهن منذ زمن بعيد.

**هل كنت الوحيدة من عائلتك في المدرسة؟**

* لا، كانت معي أختاي سعاد ونزيهة.

**من منكن الأكبر؟**

* أنا الوسطى، شقيقتي سعاد تكبرني بعام لذلك نشأنا كتوأمتين وكنا ومازلنا قريبتين من بعضنا، وأذكر أننا كنا نتنافس فيما بيننا أينا أكثر ثقافة، وكانت تغيظني في بعض الأحيان عندما أجدها تعرف أشياء لا أعرفها أنا، فأندفع مجهدة نفسي لأحشو ذهني بقراءات، قد تكون أحيانا ثقيلة في تلك السن الصغيرة، لمجرد الرغبة في أن أثبت لها سعة (ثقافتي). وقد أفادنا في ذلك أننا نشأنا في بيت عامر بالمعرفة، فقد كان الوالد رحمه الله، مثقفا يحترم العلم ويقدره، وكانت لديه مكتبة عامرة بالكتب المتنوعة في التاريخ والأدب والدين

والتربية والصحة، وأذكر أننا كنا نتسابق لاستقباله عند عودته إلى البيت لتلقي ما يحمله من كتب أو مجلات فقد كانت هذه هداياه لنا، لقد تفتحت معارفنا على مجلات المصور وآخر ساعة وروز اليوسف والهلال والعربي وروايات الهلال وروايات جرجي زيدان، وكم ذرفت من الدمع وأنا أقرأ غادة كربلاء وعذراء قريش وأمثالهما من الروايات التاريخية المحزنة.

✍ ***هل كانت هذه القراءات وأنت في الابتدائية؟***

* بعضها. في الابتدائية أذكر أن أغلب القراءة كانت في قصص الأبراشي والكيلاني. أما الروايات فقد كنت أثناء قراءتي لها أشعر بالملل فأقفز الصفحات الكثيرة لأصل إلى الأحداث المثيرة.

✍ ***وهل يرجع سبب اهتمام الوالد بالثقافة، على عكس كثيرين من لداته، إلى وجوده بالحجاز التي اعتبرت وقتها بأنها مركز إشعاع وتنوير؟***

* لا أظن، فوالدي نشأ في قطر ولم ينشأ في الحجاز، لكن طبيعته ميالة إلى الأدب وعنده حب عميق للقراءة، فثقف نفسه بنفسه وكان يكتب الشعر والنثر وإن لم ينشر منه شيئا.

✍ ***على ذكر قطر دكتورة.. يحضرني اسم علم من أعلام الدعوة والعلم من قطر هو الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع، هل يمتّ لك بصلة؟***

* نعم، هو من العائلة نفسها.

✍ ***يقودني هذا الاستطراد لسؤالك عن أسرة المانع.. هل هي التي كانت من شقراء ثم انتقل بعضها إلى عنيزة. وهي الحمولة التي عرف اهتمامها بالعلم الشرعي وخرج منها كثير من الدعاة والعلماء؟***

* نعم، هذا صحيح.

✍ ***قبل أن نترك هذه المرحلة، حدثينا كيف تتأمل الأكاديمية العريقة عزيزة المانع، من شرفة ذكرياتها في هذا العمر، الطفلة التي كانتها سابقاً؟***

* أسئلتك هذه ترغمني على الخوض في أعماق سنين بعدت، لم أكن لأخوض فيها من قبل، فمن طبعي أني لا أحب النظر إلى الخلف أياً كان.

عندما أستعيد صورة الطفلة في تلك السنين، أتذكر أنها كانت ترى نفسها حالة خاصة، فلم تكن لتقارن نفسها بِلداتها، ولكنها أيضاً لم تحاول أن تتساءل لماذا؟ كانت تشعر بالاختلاف وتعيشه وكفى. كانت في بعض الأحيان تشعر بالغرور يعتريها عندما تستدعيها ابنة الجيران لتقرأ لأمها خطابا مرسلا إليها أو تكتب لها ردا عليه. وكانت أحيانا تشعر بالزهو وهي تقتحم الأماكن المظلمة لتشق الطريق للصديقات الخائفات. أما أسعد الأوقات فكانت عندما تتحدى حكاياتهن عن الجن فتتكرها أمامهن، فيأخذن بالبسملة مرتجفات من مغبة ذلك الإنكار.

✍ ***دكتورة.. إننا نُعنى بالتوثيق في (مكاشفات) فلا بأس إن ذكرتِ للقراء تاريخ انتقالك إلى نجد؟***

* كان انتقالي إلى الرياض في عام ١٩٦٣م تقريباً.

## ● الطالبة عزيزة في المرحلة المتوسطة

✍ ***ننتقل الآن إلى المرحلة المتوسطة، التي شهدت انتقالك إلى نجد. السؤال هنا هل كان ثمة مدارس للبنات في نجد في تلك الفترة؟ وما كان نوعها؟***

* بالنسبة لدراستي في المرحلة المتوسطة والثانوية فقد كانت من المنازل، لأن مدارس البنات كانت في بداية نشوئها ولم يكن متاحا للبنات من التعليم بعد المرحلة الابتدائية سوى الدراسة في معهد التمريض أو معهد إعداد المعلمات الذي تقتصر مدة الدراسة فيه على ثلاث سنوات تتجه بعدها الخريجة للعمل

في التدريس، وذلك لرغبة رئاسة تعليم البنات آنذاك الإسراع في تكوين هيئة تدريس من المواطنات حتى وإن كان بمثل ذلك المؤهل العلمي البسيط. ولم يكن كلا المعهدين يمثل حلما لنا، فقررنا أنا وشقيقتي سعاد الالتحاق ببرنامج وزارة المعارف الذي كان يفتح الطريق أمامنا للاستمرار في الدراسة إلى مراحل أطول. وفي اختبار شهادة الكفاءة المتوسطة، كانت سعاد الأولى على المملكة، أما أنا فكنت العاشرة، وأذكر أنني بكيت ذلك اليوم بكاء مراً، لأني لم أحقق ما هو أفضل من المرتبة العاشرة. لكني اليوم عندما أتذكر ذلك أشعر بتأنيب الضمير لأنني ببكائي وحزني أفسدت على شقيقتي فرحتها بالمرتبة الأولى.

ولما بلغنا المرحلة الثانوية، كانت مدارس البنات لا تقدم في برامجها التعليمية سوى التخصص الأدبي، وكنا نرغب في التخصص العلمي، فكان لا بد لنا من الاستمرار في الدراسة من المنازل إن رغبنا دراسة ذلك التخصص.

✍ ***هل عشت أجواء المعركة المجتمعية والتاريخية الشهيرة التي كانت دائرة عن تعليم البنات في نجد؟***

* لعلها كانت في القصيم وليس في الرياض، في الرياض كان كثير من الناس متلهفين على تعليم بناتهم.

✍ ***إذن، لم تشعري بالاستهجان المجتمعي أبداً، من بعض الذين لهم موقف من تعليم المرأة في تلك الفترة؟***

* بالعكس، كنت أشعر بالإعجاب يقابلني من الآخرين، فقد دخلت المدرسة في سن مبكرة وفي الثامنة من عمري كنت أستطيع القراءة والكتابة، فكانت بعض السيدات من الجارات أو القريبات يحتجن إلي لأقرأ لهن بعض الرسائل أو أكتبها لهن، وكن يرددن على سمعي عبارات الإعجاب والثناء ويعبرن لي أعظم ما يستطعن التعبير عن الامتنان (خاصة أنه في ذلك الوقت لم تنتشر خدمات

الهاتف، فكانت الرسائل وسيلة الاتصال الأساسية بين أولئك السيدات وأقاربهن البعيدين عنهن). وكان ذلك كله يرضي غروري ويشعرني بالزهو أني أعرف شيئا لا تعرفه الكبيرات. ولما كبرت أكثر في المتوسطة ثم في الثانوية اكتشفت أني بين زميلاتي أعد من (الدوافير) فكان ذلك يدفع بي إلى مزيد من الجد لأحتفظ بهذه الصفة التي تبعث في نفسي الرضا، وذلك عكس ما يفعله المجدون من الطلاب والطالبات في أيامنا هذه، (فالدوافير) الآن يفضلون أن يبقوا أمر اجتهادهم سراً، ويتبرأوا منه علنا، فالمجتمع الطلابي هذه الأيام صار يقابل صفة الاجتهاد بالسخرية والتهكم.

✍ ***جميل، ولكن عندما نقلّب تاريخ بلادنا نجد أن بوناً شاسعاً كان قائماً بين منطقتي نجد والحجاز، بحكم الجغرافيا والتقاء الحضارات، وهو شيء كان مكفولاً أكثر في الحجاز التي كان أهلها الأكثر تعلماً وحضارة من أهل نجد. ألم تشعر الفتاة عزيزة آنذاك بأي فرق بين المنطقتين، أيام دراستها في كلتيهما؟***

* كان أهل الحجاز أكثر تمدنا في الأطعمة واللباس والأثاث وفي بعض العادات، كما كانوا، وربما مازالوا، أقل تشبثا بالتقاليد المتوارثة. وهذا كله يعطي الحياة طابعا أجمل.

✍ ***وكيف كانت نظرتهم إلى المرأة؟***

* في هذه الناحية لا أظن هناك فرقا كبيرا. فالتعامل مع المرأة في كلا المجتمعين يتجسد في بعضه.. مظاهر طيبة وأخرى سيئة، وإن اختلفت تلك المظاهر لدى كل منهما.

✍ ***وهل كانت الأسرة تختلط مع محيطها الاجتماعي في الحجاز؟***

* بصورة قليلة، ليس لأن المحيط حجازي وإنما لطبيعة رب الأسرة الذي كان يميل إلى المحافظة وعدم الرغبة في الخروج الكثير والاختلاط في المجتمع.

## • إشكالية مجتمعية أم وهم نفسي؟

✍ ***ألا تلاحظين معنا، دكتورة عزيزة، أن الأسر النجدية التي تقطن الحجاز، تتقوقع على ذاتها ولا تختلط مع محيطها الاجتماعي إلا في القليل النادر، على عكس الأسر في مناطق أخرى، كالجنوب مثلاً. كيف تفسرين - وأنتِ الأكاديمية التربوية - هذا الانعزال، وما أسبابه؟***

* يبدو لي أنها ظاهرة طبيعية أن يميل الناس أكثر إلى الاختلاط بمن يشابههم، وفي الماضي كانت الفروق الثقافية بين المجتمعين النجدي والحجازي كبيرة وربما كان ذلك عاملا من عوامل عدم الميل الى الاختلاط، رغم أني شخصياً لا أرى ما تراه من عدم اختلاط النجديين بالمجتمع الحجازي.

✍ ***ولكن بعضهم يعزو ذلك إلى النظرة الفوقية التي تميز بعض الأسر النجدية، إلى الدرجة التي أنهم لا يتقبلون أفراد المناطق الأخرى القاطنين الرياض مثلا. أنا أتحدث بهذه الصراحة لأن ثمة مشكلا طبقيا مجتمعيا لا يدفع باتجاه الوحدة الوطنية بإيجابية وهو متجذر في النفوس.. ما تعليقك دكتورة؟***

* ما أظنه أن الأمر ليس بالحدة التي تصورها، ولا أجد النجديين لا يتقبلون أفراد المناطق الأخرى من المقيمين في الرياض. بل إن (النجادى) باتوا الآن يشكلون أقلية بالنسبة لسكان الرياض المتعددي الجنسيات والمناطق. لكني أتفق معك في مسألة واحدة هي تباهي بعض النجديين، وليس كلهم، بالأنساب وإن كان تباهياً صامتاً لا يظهر إلا في حالات الزواج والمصاهرة. وأظن أنه كلما زادت الثقافة والمعرفة وارتفع الوعي بين الناس أمكن القضاء على تلك المواقف السلبية التي تهدم ولا تبني، وتضر ولا تنفع.

✍ ***دعيني أسألكِ، ما دمنا نتحدث في علم الاجتماع، عن مجتمعات عنيزة وبريدة؟ فتاريخيا، يقول الريحاني إن أهل عنيزة أكثر انفتاحاً وقبولاً للحداثة بعكس***

***مجتمعات بريدة المغلقة، بل ثمة عائلات في عنيزة (كعائلات المانع والبسام والقاضي) عرف عنها قبولها للحداثة الاجتماعية والفكرية أكثر من غيرها. أنا الآن إزاء أحد الأفراد الذين يمكن لهم الحديث عن ذلك، بقدر من التفصيل. إلام تعللين هذه الفروق في إقليمكم، على رغم هذا الجوار الجغرافي؟***

* ما يتحدث عنه الريحاني هو انطباعه الخاص الذي تكون لديه إثر ملاحظاته العابرة، والحكم على طبيعة المجتمعات لا يمكن أن يتم بناء على ملاحظات عابرة ولا بد فيه من دراسة علمية تدعم تلك الملاحظات. فما يشيع بين الناس عن شدة محافظة أهل بريدة متى قورنوا بجيرانهم أهل عنيزة يستحق أن يدرس دراسة جادة للوصول إلى حقيقته.

***ولكن المتأمل يستطيع ملاحظة ذلك بسهولة؟***

* هذا ما يقال، لكن على أرض الواقع قد يكون الأمر مختلفا. وهو موضوع يحتاج إلى دراسة أنثروبولوجية تحدد الاختلاف بين المجتمعين وتفسره متى وجد، تفسيراً علمياً، وأي تعليل عابر يطرح لن يكون سوى كلام عام لا قيمة علمية له.

***أشعر يا دكتورة وكأن إحجاما نفسيا يمنعك من الخوض في هذه الموضوعات.. هل تشعرين بإحراج من تناول هذه المسائل؟***

* لا، على الإطلاق، أما إن كنت تقصد أني لا أستطرد في الحديث في هذا الجانب، فربما يكون ذلك لقلة خبرتي عن الحياة في القصيم، فأنا لم أنشأ هناك ولا أعرف القصيم جيداً، بل إن أول زيارة لي لمنطقة القصيم كانت في أواخر الثمانينيات الميلادية.

***يذكر لنا التاريخ بأن في عنيزة نساء شهيرات مثل موضي البسام وغيرها، ممن كانت لهن إسهاماتهن في المجتمع.***

* ولعله أيضا في تاريخ بريدة شيء مثل ذلك، وأذكر هنا شاعرة من بريدة عاشت في الفترة ما بين (١٢٨٠ - ١٣٦٢هـ) اسمها موضي العلي المبارك، لها أبيات شعبية جميلة تعبر فيها عن مشاعر الحب، والألم لفراق الحبيب، والإصرار على الوفاء أبداً، تقول:

**أمس ضحى العيد ياما تمنيت**

**من هو توفى قبل فرقا خليله**

**صبيت صوت يفجع الحي والميت**

**واتبعته الثاني ودمعي هميله**

**صالوا علي الناس وقالوا ياشيت**

**توك صغير السن تاخذ بديله**

**قلت: والله لو يجمع الحي والميت**

**أبو سليم، ما عاد آخذ بديله**

فهذه الأبيات الجميلة تعبر علناً عن حب الشاعرة لأبي سليم، ولا يعنيها توضيح نوع صلتها به أو سبب افتراقها عنه. وما أريد الإشارة إليه هو أن هذه الشاعرة التي (تعلن) حبها ووفاءها لهذا الرجل هي امرأة من بريدة، تلك البلدة الموسومة بالمحافظة.

***لننتقل إلى محور جديد. في المرحلة المتوسطة ذكرت لنا أسماء بعض صديقاتك، أود أن أعرف المعلمات اللواتي أثرن على الطالبة عزيزة المانع في تلك الفترة؟***

* لأن دراستي كانت عن طريق المنازل، فإني لم يكن لي احتكاك مباشر مع المعلمات بعد المرحلة الابتدائية.

## المناهج الدراسية إبان الستينيات

✍ ***حدثينا، على الأقل، عن المناهج الدراسية آنذاك وما الذي علق بذاكرتك منها وكيف تقيّمينها الآن كأستاذة جامعية متخصصة؟***

* المناهج بصورة عامة لم تتغير كثيراً، قد يكون أدخل إلى بعض الكتب المدرسية شيء من التغيير إلا أن المنهج نفسه لم يتغير كثيرا. مثلا علوم الرياضيات كنا ندرسها مفرقة، في كتب متعددة، فكتاب لحساب المثلثات وآخر للميكانيكا، وثالث للهندسة وهكذا، أما اليوم فإن الطلاب يدرسون هذه العلوم جميعها ضمن كتاب واحد يحمل مسمى رياضيات. لكن التغيير يظهر أوضح في التنظيم، فقد كنا في ذلك الوقت ندرس المقررات المطلوبة للسنة الدراسية الواحدة على مدى عام كامل ونختبر فيها اختباراً واحداً فصلياً وآخر نهائياً، أما الطلاب اليوم فإنهم يدرسون مقررات العام الدراسي على جزءين، ينهون أحدهما في نصف العام الأول، وينهون الآخر في النصف الثاني من العام. كذلك على أيامنا كان الطلاب يذهبون إلى المدرسة ستة أيام في الأسبوع أما الآن فقد اختزلت أيام الدراسة إلى خمسة أيام أسبوعياً.

وبالنسبة لي أرى أن أبرز تغيير حدث هو ما أصاب درجات الطلاب من تضخم، ففي الماضي كانت درجات الطلاب التي يحصلون عليها تعبر عن مستوى تحصيلهم الفعلي، أما الآن فإن درجاتهم أصابها تضخم مرضي، فلم تعد تعكس المستوى الحقيقي لتحصيل الطالب. في الماضي كان من يحصل على ٧٥٪ من الدرجة النهائية يعد من المتميزين، أما اليوم فقد صار الحصول على مئة كاملة من الأمور المألوفة والمتوقعة. وهذا التضخم في الدرجات الذي ينتشر في المدارس والجامعات في حاجة إلى دراسة أسبابه، لأنه يسبب نوعاً من التضليل

للطالب والمجتمع، وهو لا يعبر عن المستوى الفعلي لتحصيل الطلاب والطالبات. وأكبر دليل على هذا ما ينتشر بين الخريجين من ضعف عام سواء في العجز عن التعبير والإبانة الجيدة، أو في كثرة الأخطاء في القراءة والكتابة، رغم تلك المعدلات العالية التي يلوحون بها.

## ● لمحات اجتماعية نسائية

✍ ***في الحقيقة لا نزال نطمع في إثرائك قرائي ببعض اللمحات الاجتماعية في ذلك الزمن لأنها تاريخ يثبت من خلال عيني فتاة عاشت تلك الفترة. كيف كنت تعيشين تلك الفترات كفتاة سعودية، وحبذا لو ذكرت لنا التواريخ (التي تزعجك دائما)؟***

* كانت فترة المتوسطة والثانوية هي فترة المراهقة...

✍ ***في أي عام كان ذلك؟***

* (مبتسمة) أذكر فيما أذكر أننا قدمنا من الحجاز للعيش في الرياض عام ١٩٦٣م. وسكنا أول وصولنا في إحدى العمائر في شارع السويلم. وكان اختلاطنا بالمجتمع في الرياض محدودا للغاية، يقتصر على الأقارب أو الجيران، فقد كان الوالد رحمه الله مثل كثيرين غيره، محافظا للغاية، فلم يكن يسمح لنا بالخروج الكثير أو إقامة علاقات واسعة في المجتمع. وكنا في تلك السن الصغيرة نضيق بتلك القيود التي يفرضها علينا، ونرى فيها نوعا من الديكتاتورية المتسلطة، لكني الآن بعد أن كبرت ونضجت أخذت أعذره وأتفهم موقفه تماما.

كانت الحياة في الرياض في تلك السنين بسيطة، كانت الرياض أصغر حجماً وأقل سكاناً، وكانت الشوارع الرئيسة فيها يمثلها شارع الوزير والثميري والخزان، وهي من المناطق الجديدة آنذاك. ثم بعد ذلك انتقلنا للسكنى في حي

الملز الذي كان من ضمن الأحياء الجديدة التي أفرزها النمو السريع الذي كان ولا يزال يطوق مدينة الرياض.

كانت الحياة في الستينيات والسبعينيات بالنسبة للإناث منغلقة أكثر مما هي الآن، فقد كان ذهاب البنات إلى المدارس في بداياته، وكان عمل المرأة محدوداً للغاية، كما لم تكن هناك مجمعات للتسوق ولم تكن هناك مطاعم ومقاه تفتح أبوابها للنساء، وبالنسبة للترفيه كانت وسائله محدودة نوعا ما متى قورنت بهذا الزمن، فلم يكن هناك إنترنت أو فضائيات، أو فيديو، ولم يكن أمامنا سوى القناة المحلية، التي كان ينتهي إرسالها في الحادية عشرة على ما أذكر.

***هل كنتِ تشاركين في بعض الأعباء المنزلية كالكنس والطبخ وغسل الأواني أم إنكِ عشتِ كواحدة من أرستقراطيات ذلك الزمن الجميل؟***

* أسرتنا تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، ولم أكن يوماً من الأرستقراطيات. وكنا أنا وأختاي نحمل أعباء تدبير المنزل بشكل يكاد يكون كاملاً، وأذكر أني تعلمت الطبخ في سن مبكرة جداً، وربما لهذه البداية المبكرة صرت الآن أكره دخول المطبخ، ولا يستهويني مطلقاً سماع وصفات الطبخ الجديدة أو تجربتها.

## ● قراءات التكوين الفكري

***أي نوع من القراءات اتجهت إليها المراهقة عزيزة في مرحلتي المتوسطة والثانوية؟***

* كان بيتنا يكتظ بالكتب والمجلات والمعاجم، فأينما جلست تصطدم بشيء من ذلك. وكان والدي رحمه الله قارئاً من الطراز الأول، بمعنى أنه متنوع القراءات وليس محصوراً في مجال واحد، رغم أن تركيزه كان على كتب الشريعة واللغة والأدب، إلا أن بيتنا كان يضم كتبا في معظم مجالات المعرفة. وأذكر من الكتب التي قرأتها (جواهر الأدب والنظرات والعبرات)، وكثيراً من الروايات مثل

روايات إحسان عبدالقدوس ويوسف السباعي ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وبعض الروايات العالمية المترجمة مثل (لمن تقرع الأجراس) و(الحرب والسلام)، و(ديفيد كوبرفيلد)، و(الشيخ والبحر)، وغيرها مما لا أذكره الآن. كذلك قرأت بعض كتب طه حسين وأحمد أمين وزكي مبارك كما قرأت بعض كتب التراث مثل (البيان والتبيين) و(عيون الأخبار) و(العقد الفريد)، و(المستطرف في كل فن مستظرف) و(روضة المحبين) و(ذم الهوى) و(طوق الحمامة) و(نفح الطيب)، إضافة إلى بعض كتب الفقه والتفسير والتاريخ وكثير من دواوين الشعر.

وأذكر أن بعض قراءاتي في تلك الكتب كان يثير في نفسي شيئاً من السخط، عندما يرد فيها شيء سلبي عن النساء كالتحذير من الثقة بهن أو وصمهن بعدم الأمانة أو عدم الوفاء، أو التوصية بعدم استشارتهن، إلا أن هذا كله كان يهون أمام تلك العبارة التي صدمتني وأنا في تلك السن الغضة، وكانت تنص على النهي عن ترك النساء يخترن أزواجهن بحجة أن المرأة لا تحسن الاختيار، "ولو تركت المرأة لنفسها لزوّجت نفسها طبالاً أو زماراً". لقد تركتني هذه العبارة أغلي في الداخل من السخط على الكتاب وصاحبه. ولعل مثل هذه القراءات المبكرة هي التي لفتت نظري إلى الحاجة إلى إعادة النظر في كثير من القضايا التي تتعلق بوضع المرأة في المجتمع.

✍ ***ما كان مصير مثل هذه التساؤلات؟ ألم تحاولي عرضها على والدك مثلاً، أو على إنسانة تثقين بها.. أم إنها كانت تتولد فيكِ فتلجمينها في داخلك؟***

* كانت أختي سعاد صديقة لي وكنا نتبادل تلك القراءات وننفس عن غيظنا بالسخرية منها، وكان والدنا يدعم ذلك فينا، فهو أيضاً لم يكن يوافق على كثير مما كان يقال عن النساء ويرى فيه تجنيا عليهن، كان والدي رحمه الله، على رغم شدة محافظته في بعض الجوانب، إلا أنه في جوانب أخرى يبدو (متحرراً)، فلم يكن ليفرق في معاملته لنا بين البنات والأولاد، وكان يكن احتراماً

وتقديراً للنساء، نلمسه في حديثه عن والدتنا رحمها الله وفي حديثه عن بعض قريباته الأخريات. ومن الأشياء الطريفة التي ترويها عنه ابنة خاله وأخته من الرضاعة، فاطمة محمد المانع أمد الله في عمرها ومتعها بالصحة والعافية، وهي خالة معالي الدكتور عبدالعزيز المانع، تروي عنه أنه لما كان يعيش في بيتهم في قطر، كان في بعض الأوقات يتسلل من مجلس الرجال إلى داخل البيت ليعلمها الكتابة خلسة حيث كان ذلك أمراً محظوراً على البنات. وتصف لنا كيف أنها كانت تبادر إلى إخفاء الأوراق كلما اقتحم عليهما المكان أحد الكبار.

✍ ***تتحدثين بكثير من الوله والتقدير عن والدك مما يجعلني أحدس بأنه كان الموجه الفكري الحقيقي لك؟***

* هذا صحيح، فالوالدة توفيت شابة.. غادرتنا ونحن لما نزل في سن الطفولة المبكرة، فنشأنا ووالدنا في حياتنا هو الأم والأب معاً.

## ● عبدالناصر في قلب نجد

✍ ***فترة الستينيات التي نتحدث شهدت المد الناصري وكان هناك مؤيدون عديدون لعبدالناصر في الحجاز وفي نجد.. هل شعرت بميل إلى ذلك المد الناصري؟***

* فترة المد الناصري كانت بالنسبة لي بداية التفتح على الدنيا، ورغم أنه كانت هناك أمور كثيرة لا أفهمها في تلك السن، إلا أني كنت أذكر أن خطب عبدالناصر كان يبدو فيها التحدي للقوى الغربية، فكان ذلك يطربني لأنه يثير في نفسي الشعور بالقوة والعزة، ومن طبيعة المراهق الميل إلى ما يشعره بذلك، ولا أنكر أيضاً أن والدي نفسه كان يثني على عبدالناصر ويذكر أفعاله باعتزاز. وأذكر أنني بكيت كثيراً لما حدثت هزيمة ١٩٦٧ وزاد في بكائي أنني عرفت أن عبدالناصر استقال، فرأيت في ذلك نهاية بائسة لحلم جميل.

✍ ***جميل.. هذا مكسب صحفي بالنسبة لي، فلأول مرة سيعرف الناس بأن الدكتورة عزيزة المانع ناصرية صميمة..***

* لا تؤلب عليّ الناس، (قالتها ضاحكة) فأنا أعرف أن هناك كثيرين لا يؤيدونه ويضيقون بمن يثني عليه، فالبعض يرى أن عبدالناصر أخطأ في مواقف كثيرة، ويكاد ينسب إليه كل ما توالى على العرب من مصائب لحقتهم فيما بعد. لكني الآن وبعد أن كبرت وأخذت أنظر إلى الموقف برؤية أكثر نضجاً من رؤية ابنة السادسة عشرة أعتقد أن عبدالناصر كان مجتهداً، والمجتهد معرض للوقوع في الخطأ، لكننا نحن العرب نريد من القائد أن يكون خيراً خالصاً بلا نقائص ولا عيوب، وهو ما لا يمكن تحققه في بشر، ولو أننا اكتفينا بأن يكون القائد مخلصاً مجتهداً في إخلاصه، لكفانا ذلك.

***ولكن كيف كنت تعالجين هذا الازدواج عندما نعلم بأن خلافاً أيدلوجياً وسياسياً كان ناشباً بين الملك فيصل والرئيس عبدالناصر في تلك الفترة.. والإنسان مطالب - واقعيا - بالانتماء إلى بلده؟ بصيغة أخرى: إلى ماذا تعزين انجذاب كثير من السعوديين إلى عبدالناصر أكثر مما انجذبوا للملك فيصل؟***

* عبدالناصر كان يجيد الخطابة ويعرف كيف يثير مشاعر الناس ويبعث فيهم الحماس، وكان يقدم لهم أفعالاً مادية تطربهم كتأميم قناة السويس وإجلاء الإنجليز والإصلاح الزراعي وإصلاح بعض الأوضاع الاجتماعية وغير ذلك. أما الملك فيصل، رحمه الله، فإنه لما قام بالإصلاحات الاجتماعية في الستينيات مثل افتتاح مدارس البنات وإنهاء الرق وإنشاء محطة التلفزيون وغيرها، كان يعمل ذلك بصمت لا تصاحبه جلبة تثير الناس ولا خطب جماهيرية تحرك عواطفهم.

## • ترسانة الإعلام الناصري

***ألا تعتقدين، مثلي، بأن الترسانة الإعلامية التي كانت بيد عبدالناصر والمتمثلة في إذاعة (صوت العرب)، كان لها كبير الأثر في تنميط صورة عبدالناصر في الأذهان العربية من الخليج إلى المحيط؟***

* أنا معك في أن الإعلام له تأثير على تشكيل أفكار الناس، ولكن النجاح في صناعة الإعلام القوي الذي يعين على تحقيق الأهداف هو دلالة قوة وعمل وذكاء، وليس نقصاً أو عيباً. ومع ذلك فإن الإعلام مهما كان قوياً لا يستطيع أن يخلق من الفاشل ناجحا، أو يصنع من المكروه محبوباً، فالزعماء الذين جاؤوا بعد عبدالناصر لم يألوا جهدا في توظيف الإعلام (لتنميط صورهم) حسب وصفك، لكنهم لم يحققوا ما حققه عبدالناصر من امتلاك لقلوب الملايين.

✍ ***ما شاء الله دكتورة.. أنت عاصرت تلك الفترة؟***

* عاصرت الديناصورات لكني لم أنقرض مثلها!

كنت شغوفة بمتابعة ما يُكتب في الصحف وما يتردد في الإذاعات وما يقال في المجالس، وفي تلك الفترة بالذات كثر الحديث عن الاشتراكية كمفهوم إسلامي، فالإسلام جعل الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار. كما كثر في تلك الفترة نشر كتب كثيرة تتحدث عن الاشتراكية من تأليف بعض علماء الدين العرب.

✍ ***يذكر المعاصرون لتلك الفترة الدور الذي قام به أحمد سعيد الذي ولا شك كنت تستمعين له، وسؤالي: هل الدور الذي قام به أحمد سعيد آنذاك، هو ما قام به الصحّاف خلال حرب العراق الأخيرة؟***

* أحمد سعيد في ذلك الوقت كان له تأثير إيجابي على الناس، أما الصحّاف فإنه لم يترك أي أثر في نفوسهم.

## ● أسباب السقوط

✍ ***ما دمنا نتحدث عن عبدالناصر، ما أسباب سقوط الناصرية في تقديرك؟***

* أولا اسمح لي في أن أختلف معك حول هذه التسمية، ما جاء به عبدالناصر ليس أيديولوجية معينة حتى تسقط أو تخلد، عبدالناصر لم يكن مفكرا يؤسس

القواعد لفلسفة محددة، وإنما هو كان يدير سياسة البلد بمحض ما تمليه عليه رؤيته للأوضاع المحيطة به في فترة زمنية معينة، فلما توفي وتولى الحكم بعده غيره، تغيرت السياسة المتبعة وفقا لرؤية الحاكم الجديد. وهذه مشكلة البلاد العربية أن الحكم فيها ليس له نظرية واضحة، أو فلسفة ثابتة، أو أيديولوجية محددة، هو مجرد رؤى فردية تتغير بتغير الحاكم.

✍ ***ولكن ماذا عن هزيمة ٦٧م التي يعتبرها معظم المحللين السياسيين سقوطاً مدوياً للناصرية؟.***

* في ظني أن في ذلك ظلما لعبدالناصر، فالحرب سجال، وقد تلت حرب النكسة حرب العبور عام ٧٣م التي عدت حربا منتصرة، ومن المعروف أن هذه الحرب حدثت بعد وفاة عبدالناصر بفترة قصيرة، ولا شك أن الاستعداد لها بدأ أثناء حياته.

## ● لقطات للاهتمامات النسائية

✍ ***دعينا نعد إلى بواكير الوعي السياسي لديك. هلا فصّلت لنا واقع المجالس النسائية في المجتمع السعودي آنذاك. مثلاً عندما تجلس نساء في مجلس عائلي حول ماذا يدور حديثهن؟***

* قبل ثلاثين عاما أو أكثر، لم يكن التعليم منتشراً بين النساء، ومن ثم فإن المعتاد أن تغلب على الحديث الموضوعات الخاصة المحصورة في نطاق البيت والأسرة والأزياء والأعراس وأخبار الناس، وما شابه ذلك من أحاديث لا تمسّ قضايا السياسة أو شؤون المجتمع، ولا تتصل بفكر أو أدب. ولم تكن تستهويني تلك الجلسات، فألوذ بالصمت.

✍ ***لعلي أتلمس من حديثك أن مجالس النساء في تلك الفترة هي ككل مجالسهن واهتماماتهن المعاصرة وحتى الموغلة في القدم!***

* لا، في هذا العصر اختلف الوضع، فقد انتشر التعليم بين النساء ودخلت الكثيرات منهن الحياة العملية، ونتج عن هذا أن فتح أمام النساء آفاق فكرية أرحب من السابق، صارت النساء الآن أكثر اهتماماً بقضايا المجتمع والفكر والاقتصاد والسياسة، وصارت أحاديثهن تدور حول أمور كثيرة أخرى غير أمور الطبخ والأزياء.

***لنعد للمرحلة الثانوية، سؤال أخف حساسية عن سؤال تاريخ الميلاد. كم كان تقديرك الذي تخرجت به؟***

* في تلك الفترة لم تكن هناك تقديرات في المرحلة الثانوية فقد كان يكتفى بمجموع الدرجات وهو رقم لا أستطيع تذكره الآن. لكني بالتأكيد لم أكن من العشر الأوليات.

***في تلك المرحلة تراود الإنسان الأماني والطموح ويبحث له عن نموذج يحتذيه.. هل ثمة كاتب معين انجذبت لقراءة كتاباته في تلك المرحلة؟***

* كنت أميل إلى قراءة طه حسين وأحمد أمين وكنت أحاول أحياناً أن أكتب في بعض الموضوعات مقلدة أسلوبيهما، لكني بعد أن أنتهي وأعيد قراءة ما كتبت، أشعر بالفارق العظيم بين ما كتبته وما كتباه فأمزق ما كتبت.

***أرى أنك أغفلت اسمي العقاد والرافعي.. ألم تقرأي لهما؟***

* قليلا، فلم يكونا مفضلين عندي، وبالنسبة للعقاد بالذات لم يعجبني في يوم أسلوبه أو فكره، فالعقاد في لغته عنف، وفي حديثه تعالٍ، وفي أفكاره مغالاة، وكنت إذا سمعت أحدا يثني عليه أبحث عن كتاب له لأقرأ فيه، لكني ما ألبث أن أمل فأتركه. ومازلت إلى اليوم لا أحب أسلوب العقاد ولا يعجبني فكره.

***قبل أن نودع المرحلة الثانوية، هل تودين إثبات حادثة أثرت عليك؟***

* لا أذكر شيئاً أثر علي أكثر من هزيمة ٦٧، كنا على مشارف اختبارات في تلك الفترة وكنت أتابع الأحداث وأشعر بالخيبة مع توالي أخبار الهزيمة.

## ● حلم المرحلة الجامعية

✍ ***ننتقل يا دكتورة للمرحلة الجامعية.. إلى أي جامعة ذهبت؟***

* كنت أتمنى دراسة الطب، لكن كلية الطب آنذاك كانت موصدة الأبواب أمام البنات. وكانت وزارة المعارف تبعث الطالبات إلى باكستان لدراسة الطب، إلا أن الوالد لم يأذن، فالتحقت بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً) تخصص اللغة العربية وآدابها.

✍ ***فلتعذريني للمرة السادسة ولكن متى كان ذلك؟***

* (ضاحكة) إصرارك على ذكر التواريخ يجعلني أشعر أني في جلسة تحقيق، فأخاف وتهرب مني الأرقام. كان ذلك عام ١٩٦٩ عندما كان الدكتور عبدالعزيز الخويطر مديراً للجامعة، وكانت دراسة البنات عن طريق الانتساب. كان عدد الطلاب في الجامعة قليلاً جداً. فدفعتنا في قسم اللغة العربية قد لا يزيد عدد طلابها عن عشرين، أما الطالبات فكنا أربعا: ثنتان منا غير سعوديتين. وأذكر من أساتذة القسم الدكتور أحمد الضبيب والدكتور منصور الحازمي والدكتور محمد لطفي الصباغ والدكتور محمد الشامخ والدكتور/ فرهود الفرهود والدكتور/ عبدالله الوهيبي.

✍ ***عفوا، هل كان د. منصور الحازمي مدرساً منذ ذلك الوقت ما شاء الله لا قوة إلا به؟***

* هو أيضا دياصور آخر؟ أضف إليه كذلك الدكتور. عبدالرحمن الأنصاري والدكتور. محمد الشعفي من قسم التاريخ، والمرحوم عبدالكريم سليمان أو سليمان عبدالكريم، لا أذكر، وهو سوري الجنسية.

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

## د. عزيزة المانع مواصلة مكاشفاتها في حلقتها الثانية:

عرفت من الطلاب في أمريكا من كان (يلعلع) بمبادئ الوطنية والحرية والكرامة وعندما عادوا إلى بلادهم ابتلعوا تلك المبادئ

- نشأت في بيئة محافظة ومتدينة وتنتمي للمدرسة السلفية.
- فقدي لأمي في سن مبكرة ترك لدي شعوراً بالحرمان العاطفي.
- إذا استثنينا عقد النكاح فالمرأة غير مطالبة شرعا موافقة ولي أمرها فيما تقوم به من أعمال.
- من السذاجة تصور أن إلغاء رئاسة تعليم البنات بحادثة حريق مدرسة مكة.
- الرسائل الجامعية تكتب لتزيين الرفوف وليس للقراءة.
- الحياة وتجاربها علمتني أن تغيير القوانين ليس بالأمر السهل خصوصاً إذا ارتبط في ذهن الناس بأمور شرعية.
- وصمت من قبل بعض طالباتي بالعلمانية وعدم الالتزام بالدين بسبب محاضراتي.
- سبب اختياري لموضوع الدكتوراة ما وجدته لدى بعض الفقهاء من كراهية تعليم النساء.
- أسندت رئاسة تعليم البنات للشرعيين لإقناع الرافضين لتعليم بناتهم بأنهم في أيد أمينة.
- كانت تنتابني الغيرة عندما أرى البنات برفقة أمهاتهن أو أسمعهن يتحدن عنهن.
- كنت أتحاشى التعامل مع الأساتذة في بدايات إقامتي في الغرب بسبب التربية المجتمعية وحيدة الجنس.

- لم تمارس علي أي سلطة ذكورية من إخوتي، وما كان لهم أن يفعلوا.
- ما حصل من دمج للرئاسة مع وزارة المعارف هو الوضع الأصلي.
- اهتم القائمون بتعليم البنات بالقشور وأغفلوا الجوهر في أمر التعليم.
- لم أشعر بالصدمة الحضارية التي أصابت بعض المبتعثين في أمريكا.
- اعتدت منذ الصغر اختيار الأعسر على الأيسر.
- لم ألحظ فرقاً بين أجيال الفتيات منذ مجيئي للجامعة عام ٨٧ م والى ٢٠٠٣م.

---

---

نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٣/ ١١/ ١٤٢٤ ه الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٣ م

## بين يدي مكاشفات

بكر بصفر، أستاذي الذي دفعني إلى عالم الصحافة، ومن تعلمت على يديه ألف باءاتها. يكرمني، وثلة من متابعي (الرسالة) بأطيافهم الفكرية المتعددة، بانطباعات أخوية كريمة عقب كل عدد. بيد أن أستاذي له ذائفة نقدية خاصة بحيث يفكك أجزاء أية مكاشفات أجريها، ويمطرني في مساءات الجُمع بملاحقات مهنية دقيقة أذهل حقيقة عن تلك الكيفية والروح التي رصد بها كل تلك الملاحظات.

أبدى أستاذي ملاحظة حيال الجزء الأول من مكاشفات د. عزيزة تمحورت حول غياب روح السجالية التي تميز (مكاشفات) عن غيرها من الحوارات الصحافية. حاولت تبرير ذلك بأنه لا مجال أمامي لذلك، فما ثمَّ إلا سرد تاريخي صرف مع الدكتورة عزيزة، وبنغمة الأستاذ المحنك المتهكمة وشت في أذني بأنها (قديمة)، وأدلق على مسمعي مكاشفتي د. العواجي والخزندار فألجمت.

*ها أنا الآن وأمامي الجزء الثاني، أحاول عبثاً أن ألمح شيئاً من تلك السجالية التي اعتادها القارئ الكريم، فلم أعثر على شيء منها سوى التاريخ الخاص بالضيفة، وهي برأيي مهمة لأنها ترصد المرحلة وتعطي وصفا اجتماعيا دقيقا..*

*بحلقت في الحوار وصعّدت النظر أفتش عن الأسباب التي جعلتني لا أتماحك وأستفز ضيفتي.. وتساءلت في نفسي عن الذي يمكن لي فعله حقا، وأنا الذي أتيت إلى كاتبتنا الكريمة وقد ألقى في روعي بأنني التقى (الناظرة) المصرية التي حدثتكم الأسبوع الماضي، لتنقلب الصورة في أول لحظات الحوار تماماً بدرجة أقدرها في تخصصي بالمائة والثمانين، وألفيت نفسي أمام سيدة في منتهى التهذيب والأدب الجمّ، وابنها الفتيّ عبدالعزيز أمامي وزوجها (الينبعاوي) بجانبي!!. فما الذي*

يمكن لي فعله كي أستفز وأساجل؟!..

وإذ يحاججني أستاذي الأجلّ بكر بصفر بمحسن العواجي، فسأزعم أن ذلك المشاغب السياسي ليجد المرء لذة في مناكفته وراحة ضمير في مشاكسته ومتعة كبرى في إضرام غيظه والرجل يساعد محاوره على ذلك. أما أديبنا الكبير عابد خزندار الممتلئ وطنية وجرأة لا حدود لهما، فيدفعك دفعا إلى سجاله رغم وقاره المهيب.

وطالما أن قضيتي خاسرة، فدعوني أفشي على ضيفة (مكاشفات) سرًا يحكى بأنها معطوبة الذاكرة تماماً أو تكاد، وخصوصاً في ما يتعلق بالأسماء والتواريخ. وإذ لمّح الأديب الشاعر فاروق بنجر في مداخلته بأن وراء ذلك سني عمرها، إلا أنّ لي رأياً يتجه إلى تكوينها النفسي الذي جبل على التطلع للأمام دوماً.. كما ذكرت هي بنفسها في المكاشفات، ولا يغرنكم حشد الأسماء والتواريخ التي تطالعونها اليوم، فقد حقنتها أكاديميتنا الكريمة في مسودة المكاشفات الأخيرة..

ويبقى لي أخيراً أن أعترف بأن تربيتي (الشرقية) قمعت المهنة لدي، وخصوصا بأن هذا أول لقاء في حياتي أجريه مع سيدة، بيد أنني انفككت من ذلك الإسار رويدًا رويدًا، وبدأت في سجالها في نهاية هذا الجزء، وسترون يقيناً في بقية المكاشفات إن شاء الله سجالاً حقيقياً ومكاشفة تستحق المتابعة.

صدى واسع، واتصالات عديدة تلقاها كاتب السطور من لدن مثقفين ودعاة، التقاهم في مهرجان الجنادرية بالرياض إضافة إلى بعض المنتديات الثقافية بجدة، أبدوا فيها كثيراً من الانطباعات الإيجابية، وأثنوا على التجربة الجديدة لمكاشفات باستضافة امرأة تمثل شخصية

*وطنية فرضت نفسها واحترامها بمواقفها للوطن، وحفرت اسمها في ذاكرة المجتمع، وكتبت تدافع عن حق المرأة في أن تعيش بكرامة، وكتبت عن حق تلك المطلقة التائهة في ردهات المحاكم، والمعوزة التي تبحث عن لقمة عيشها، والمظلومة من زوجها تجأر بشكواها..*

*لا يسع أي منصف يتحلى بشيء من الموضوعية إلا أن يشكر لهذه السيدة، رغم اختلافنا مع بعض آرائها، هذه المواقف المناصرة للمرأة.*

**وإلى الجزء الثاني من مكاشفات المانع:**

**عبدالعزيز قاسم.**

**✍ *هناك سؤال ربما تطفئ الإجابة عليه فضول القارئ حول دراستكم بالانتساب، فهذا النوع من الدراسة وفي ذلك الزمن غير معروف لدى الكثيرين. كيف كان أمر التحصيل العلمي آنذاك؟ وكيف تسنى للطالبة عزيزة المانع اجتياز الجامعة؟***

* الدراسة بالانتساب يقع العبء الأكبر فيها على الطالب، وأذكر أننا كنا نحصل على المحاضرات من بعض زملائنا الكرام من الطلاب الذين كانوا يتبرعون بإمدادنا بما يدونونه في دفاترهم من محاضرات الأساتذة، بالإضافة إلى هذا، كانت هناك قائمة طويلة بالمراجع الدراسية التي كان مطلوباً منا الرجوع إليها لدراستها. وفي أيام الاختبارات كان يعقد اختبار الطالبات المنتسبات في بهو الجامعة الكبير في شارع الجامعة في الملز، وكان يدير الاختبار بعض أساتذة الجامعة وكان أغلبهم من غير السعوديين، وأذكر أنه في إحدى المرات كان من بين المشرفين على الاختبار أستاذ أمريكي أو بريطاني، لا أذكر، إلا أنه فاجأني إذ إنّه بعد أن تم توزيع الأسئلة واستقر الوضع وانشغلت الطالبات بالإجابة، توجه إلى مكتبه في رأس القاعة، وأخرج كتاباً من الدرج وأخذ يقرأ فيه. كان

هذا التصرف بالنسبة لي غريباً، فما اعتدته أن من يراقب يكون يقظاً وتظل عينه تدور بين المقاعد تتفرس الوجوه وترصد الحركات حرصاً على أن لا تفوته شاردة أو واردة من محاولات الغش الطلابية التي قد تبتدر في لحظة من لحظات الغفلة. لكن هذا الرجل لا يبالي، ويشغل نفسه بالقراءة بدلاً من (البحلقة). في تلك الأيام فسرت الأمر بأنه إهمال وتفريط، لكني فيما بعد أدركت أنه اختلاف ثقافي ما بين مجتمعنا والمجتمع الذي جاء منه.

✍ ***عفواً دكتورة، مازلت لا أستطيع تصور تحصيلك الذاتي هذا؟***

* بالنسبة لنا لم تكن الدراسة بالانتساب صعبة كما قد تتخيل، ويكفي أن تعرف أن تقديراتنا كانت مماثلة لتقديرات الطلاب المنتظمين، وقد تفوق بعضهم أحياناً. ولعل هذا يعود إلى ما غرس فينا منذ الصغر من قيم ومبادئ سلوكية، فنحن اكتسبنا منذ سن مبكرة مبادئ أساسية سقاها لنا الوالد رحمه الله، أجد أنها أفادتنا كثيرا في الحياة، منها تقوى الله في السر والعلن، والالتزام بالصدق، والوفاء بالوعد، والاعتماد على النفس. وكان الوالد يمثل لنا القدوة في ذلك كله، فهو في تعليمه كان معتمداً على ذاته في التعلم، وقد دربنا على ذلك منذ أن كنا صغارا، فكان إذا سألناه عن شيء لا نعرفه، يأخذنا إلى ما لديه من مراجع ليشركنا معه في البحث عما نريد معرفته، فتعلمنا منذ البداية كيف نرجع إلى معجم كلسان العرب لنبحث عن معنى كلمة لم نفهمها، وكيف نسترشد بكتاب (كالمغني) مثلاً، لنفك غموض حكم فقهي نشتبه فيه، أو غير ذلك.

✍ ***هنا دكتورة، ألست معي، وأنا بازاء الأكاديمية والكاتبة الشهيرة عزيزة المانع، بأن ثمة خبرات تعليمية وحياتية مختلفة قد فاتتك بسبب عدم احتكاكك المباشر بأساتذة ومعلمات، دعيني السؤال بصورة أوضح، ألم يكن من الممكن أن تكتسبي علوما وخبرات ومعارف وتختصرين الزمن أكثر مما حدث لك مع التعلم الذاتي؟***

* إني أتفق معك تماما في أن التعلم بالانتساب يحرم الطالب من اكتساب خبرات أوسع، فالتعلم في المدرسة أو الجامعة يتيح الفرصة للطالب لأن يحتك بالمعلمين والزملاء ويتعرض لمواقف مختلفة تنمي خبراته العلمية وتصقل مهاراته الاجتماعية. ولست من الذين يؤيدون التعلم بالانتساب مطلقاً؛ لأني فعلاً أعتقد أنه يحرم الطالب من تلك الامتيازات.

إلا أنه من جهة أخرى، قد يكون للتعلم بالانتساب ميزات لا ينبغي تجاهلها، ومنها أن الطالب يعتاد الاعتماد على النفس في اكتساب المعرفة، ويكتسب المهارة في التعامل مع مصادر المعلومات، وتنمو لديه الثقة في قدراته الذاتية، وتتبلور لديه القدرة على الحكم على الأشياء بصورة أفضل.

✍ ***على خلفية إجابتك ازداد يقيني بأن لوالدك الدور الكبير في حياتك، لكن كيف كان استقبالك لفقدان الوالدة التي فقدت حنانها في سن مبكرة، لا بد أنه أثر عليك ربما بشكل لا يستطيع الوالد مهما فعل تعويضه، بصراحة أكثر، إلى أي درجة أثر فقدك لحنان الأم في تكوينك النفسي واختياراتك الفكرية والمهنية المستقبلية؟***

* فقدت أمي بعد أن تفتحت مداركي على حنان الأم وتذوق حبها ورعايتها، فلما فقدتها، انتابني نوع من الإحساس بفقد الأمن، ومن الأشياء التي أتذكرها، أني كنت أتخيل أن والدي سيتزوج امرأة أخرى، وستكون هذه المرأة شريرة وقاسية فتؤذيني وإخواني وأخواتي، فتكيد لنا وتسعى إلى تدمير حياتنا. وهذا الخيال التعيس المليء بالصور المخيفة عن زوجة الأب هو بالتأكيد وليد قراءاتي الكثيرة لقصص الأطفال المليئة بالصور البشعة لزوجة الأب وما تحمله من كره لأبناء الزوج، فلا أذكر أني في طفولتي قرأت قصة فيها زوجة أب تحب أطفال زوجها، أو على الأقل لم تكن شريرة معهم وقاسية عليهم، وتجسيم مثل هذه الصور في قصص الأطفال ليس في صالحهم أبداً.

الشيء الآخر الذي أذكره هو أني كنت أشعر بالحرمان من وجود الأم في حياتي فكانت تنتابني الغيرة عندما أرى البنات برفقة أمهاتهن أو أسمعهن يتحدثن عنهن، وأذكر أنه في تلك الأيام كانت هناك أغنية مشهورة عن الأم (ست الحبايب) وكنت أكرهها، لأنها تذكرني أن (المغنية ومن يحب أغنيتها) لهم أمهات يهدون الأغنية لهن، أما أنا فلا أم لي. وأحمد الله، أننا كنا وما زلنا، أسرة مترابطة، ولعل فقدنا لأمنا قرب بيننا أكثر، ومع ذلك يظل فقد الأم مؤثراً. وأجدني اليوم، أسبغ حناناً وحباً كبيرين على أولادي، قد يكون ذلك مجرد مشاعر طبيعية من الأم، وقد يكون لخوف كامن في اللاوعي أن أفارقهم قبل أن أشبع ما لديهم من حاجة إلى الحب والحنان كما حدث لي.

✍ ***ربما أركز سؤالي بشكل أدق، كيف أثر غيابها في اتجاهاتك الفكرية لاحقا؟***

* أظن أن فقد الأم في سن الطفولة يؤثر على النواحي الوجدانية أكثر من النواحي الفكرية، فأنا لا أستطيع تبين منحىً فكري معين سرت فيه بسبب فقد الأم. لكني أظن أن فقدي لأمي وأنا مازلت طفلة ترك لدي شعوراً كبيراً بالحرمان العاطفي، فالوالد كان يقدم الرعاية الفكرية والمادية، لكنه لم يستطع أن يسد الفراغ العاطفي الذي حدث بسبب فقد الأم.

✍ ***هل تزوج الوالد بعد وفاة الوالدة؟***

* تزوج، لكن زواجه لم يدم أكثر من عام واحد، يبدو أنه لم يستطع التكيف مع الحياة الجديدة المختلفة، ثم لم يتزوج بعد ذلك.

## ● طغيان موجة أم كلثوم

✍ ***في تلك الفترة من الستينيات أيام كانت الناصرية في أوجها كان لموجة أم كلثوم طغيانها أيضاً. هل كان لأم كلثوم كما لعبدالناصر دور في التأثير على وجدان الفتاة المراهقة عزيزة المانع وجيل الفتيات آنذاك؟***

* كان التأثير لعبدالحليم حافظ، أم كلثوم لم أتذوق أغانيها إلا عندما اقتربت من العشرين. إلا أنه بشكل عام، لم يكن بيتنا يحفل كثيراً بالطرب، فرب الأسرة كان يعد متزمتا في هذا الجانب، ولم يكن يعجبه مطلقاً أن يرانا نستمع إلى الأغاني، وكان من القصائد التي ألزمنا بحفظها قصيدة ابن الوردي التي مطلعها:

**اعتزل ذكـر الأغانـي والغـزل وقل الفصل وجانب من هزل**

لهذا كانت صلتنا بالغناء والطرب تتم خلسة، وما كان اختلاساً لا يكتب له العيش طويلاً.

***ذكرت قبلا أن لك إخوة هل كانوا أكبر منك؟***

* لي أخ أكبر مني، أما البقية فأصغر.

***هل مورست عليك السلطة الذكورية من قبل إخوتك كما هو حالها في كل مجتمعنا؟***

* ما كان لهم أن يفعلوا ذلك وقد نشأوا في بيت مثل بيتنا. كان والدنا يتعامل معنا بعدالة، ولا أذكر أنه أباح شيئا للأولاد وحرّمه علينا، فما كان يراه خلقاً فاضلاً يلزم به الجميع، وما كان يراه غير ذلك يحظره على الجميع. وإخواني، والحمدلله، أعتز كثيراً بأخوتهم وأفخر بهم، وأرى فيهم مثالاً رائعاً للرجل كما ينبغي أن يكون في تعامله مع المرأة.

***من الواضح أن والدك كان يخالف التربية الاجتماعية السائدة آنذاك؟***

* ربما.

## ● الحياة الجامعية الأزهى

***نعود للدراسة الجامعية، في أي قسم تخصصت؟***

* في قسم اللغة العربية وآدابها، وأكملت دراستي الجامعية في أربع سنوات، وقبل أن تسألني عن التاريخ (ضاحكة) تخرجت عام ١٩٧٢ .

✍ ***وكيف كان انطباعك عنها؟***

* عندما أقارن بين الفترة التي درست فيها، والفترة التي أدرّس فيها حالياً، أشعر أن المستوى العلمي للجامعة في تلك الفترة كان أفضل. كان أساتذتنا يحيلوننا إلى النصوص والمصادر الأولية، وكانوا يطالبوننا بقراءات عديدة ومتنوعة، أما الآن فقد ظهر التوجه إلى الاكتفاء بكتاب واحد أو ببعض الملخصات والمختصرات مما يحصر الطالب في نطاق ضيق من المعرفة ويحرمه من الاتصال بمصادر المعلومات الواسعة كما ينبغي.

## ● دمج الرئاسة:العودة للأصل

✍ ***باعتبارك أستاذة جامعية وتربوية متخصصة، كيف تنظرين إلى مسألة دمج الرئاسة العامة لتعليم البنات مع وزارة المعارف؟***

* في تصوري أن الدمج هو الأصل، فأن تفصل الإدارة التعليمية إلى إدارة خاصة بالأناث وأخرى بالذكور، هي حالة استثنائية، وما حصل من دمج يمثل، في رأيي، العودة إلى الوضع الأصلي.

✍ ***دعينا نتناول الموضوع بعلمية أكثر، في رأيك دكتورة ما هي الإيجابيات التي انعكست أو ستنعكس على فتياتنا جراء هذا الدمج بتقديرك؟***

* إيجابيات الدمج تظهر من جوانب متعددة أهمها الجانب الاقتصادي، فالدمج يحد من الازدواجية التي كانت قائمة في الأنظمة وفي المناصب الوظيفية وفي الكتب والمناهج والمباني الإدارية وما شابه ذلك، وهذا يعني أن يثمر الدمج في توفير نفقات كثيرة كانت تستهلك قدراً ضخماً من ميزانية التعليم يمكن الاستفادة منه في تحسين مستوى الخدمات التعليمية.

✍ ***اسمحي لنا أن نعود قليلا إلى مرحلة ما قبل الدمج، فمن المعروف أن العلماء الشرعيين والتيار الديني هم من تولوا تعليم المرأة في وطننا، سؤالي كيف تقيمين تلك الفترة بإيجابياتها وسلبياتها ودائماً من خلال تخصصك التربوي***

***والأكاديمي، خاصة وأن الأجيال الجديدة فتحت عينيها على مشكلات وتجاذبات مجتمعية وإعلامية لا حصر لها حيال مرحلة الرئاسة التي نتحدث عنها فلم يتسن لها القراءة الموضوعية؟***

* إذا كان هناك إيجابيات من إسناد الإشراف على تعليم البنات إلى متخصصين في علوم الشريعة، فهي الإسهام في إقناع الرافضين لتعليم البنات بأن التعليم لن يؤذي بناتهم ولن يكون سبباً في إفساد أخلاقهن كما قد يخشون. إلا أن ما كان يؤخذ على تعليم البنات أن شدة حرص القائمين عليه على إقناع الأهل بأن المدارس مكان أمين على بناتهم، أدى بهم إلى الاهتمام بالقشور وإغفال الجوهر في أمر التعليم، فصار الاهتمام منصباً على الزي وألوانه، وتسريحات الشعر وأشكالها، ونوع الأحذية وكعوبها، وحقائب الطالبات ومحتوياتها وما يمكن أن يصادر فيها من مرايات وأمشاط وأصابع روج، أو مجلات وصور، وفي خضم الانشغال بهذه الشكليات أغفل الاعتناء بالتعليم الجيد وبناء الشخصية والفكر والعقل. أضف إلى هذا ما شاع بين الناس من تذمر من كثرة التسيب الإداري ونشاط الواسطة والمحسوبيات.

***عفوا دكتورة، اسمحي لي بمقاطعتك، لأن الفساد الذي تتحدثين عنه ليس مقتصراً على تعليم البنات، فهو موجود في كل الوزارات بنسب مختلفة، هو والتسيب والإهمال والمحسوبيات والواسطات، وليس هذا من الأسرار. والأمير عبدالله حذر كثيراً من ذلك. وزارة مثل الشئون البلدية والقروية يوجد بها الرشوة والفساد لم تتعرض من قبل الكتاب إلى حملات إعلامية كالتي تعرضت لها الرئاسة، حريق الحائر مثلاً، كيف تفسرين هذا؟***

* هذا صحيح، فوجود الفساد ليس مقصورا على جهة دون غيرها وهو قد يظهر في أي مؤسسة وأي مكان، ولكن نسبة ظهوره تتفاوت حدتها من مؤسسة لأخرى. كذلك يبدو لي أن الأمر يرتبط بنوع الخدمات التي تقدمها الوزارة أو

المؤسسة، فالمؤسسات أو الوزارات التي ترتبط خدماتها ارتباطاً مباشراً بالناس كوزارة الصحة أو التعليم أو الكهرباء أو المواصلات أو ما شابهها، تكون عرضة أكثر من غيرها لرصد الجمهور لنشاطها وما يحدث فيها من أخطاء وتقصير، وبالتالي تكون واقعة تحت طائلة اللوم والنقد والتذمر أكثر ممّا ينال البقية.

✍ ***بصراحتك الموضوعية، كيف قرأت دكتورة الحملة الصحافية الكبيرة على رئاسة تعليم البنات بعد حريق مدرسة مكة حتى يقال إنها السبب في إسقاطها؟***

* في تصوري من السذاجة أن يربط الناس قرار إلغاء رئاسة تعليم البنات بحادثة حريق مدرسة مكة وما رافقه من حملات اللوم الموجه للرئاسة على تقصيرها في مراعاة سلامة الطالبات. في ظني أن السبب أكبر من هذا بكثير، أما إن كان حقاً أن الرئاسة ألغيت لهذا السبب فذلك ليس سوى القشة التي قصمت ظهر البعير.

## • التخصص الجامعي والزواج

✍ ***لنعد إلى مسيرتك، وننتقل إلى مرحلة ما بعد الجامعة، نلت البكالوريوس من قسم اللغة العربية، وماذا بعد ذلك؟***

* تزوجت، وسافرت مع زوجي إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة الدراسة

✍ ***مباشرة؟***

* لا، عملت لمدة عام تقريباً معلمة لغة عربية في معهد إعداد المعلمات الثانوي بالرياض. وأذكر أني قوبلت بترحيب كبير من الطالبات فقد كنت أول معلمة سعودية في المعهد وقد سرهن ذلك.

✍ ***ماذا كانت جنسيات زميلاتك المعلمات؟ والطالبات اللواتي ما زلت تذكرينهن؟***

* كانت المعلمات خليطا من السوريات والمصريات والعراقيات. أما الطالبات فلا أتذكر واحدةً منهن مع الأسف.

**✍ ثمة لحظات لا ينساها الإنسان، منها وقوف المعلم أمام طلابه لأول مرة في حياته، كيف كانت مشاعرك دكتورة وأنت تقفين أمام طالباتك لأول مرة؟**

* كنت أشعر بعظم المسئولية، وكان ذهني منصرفاً إلى أمرين: كيف أجعل الدرس شائقاً غير ممل، وكيف أتمكن من إفهام الطالبات. وقد سبب لي ذلك مشقة، فقد كنت أقضي مساء كل ليلة في إعداد الدروس وصياغتها بالشكل الذي أطمع أن يحقق تلك الغاية.

**✍ هل كان ثمة من وعي معين أو فكر حرصت على بثه وترسيخه لدى طالباتك؟**

* في تلك السن، لم يكن لدي أي اهتمام في أن أبث أفكاراً، كنت فقط أريد أن أكون المعلمة المفضلة التي يفهمون درسها ويحبونه.

**✍ أظن أنك مكثت سنة تعملين هناك؟**

* نعم، بعد ذلك انتقلت للعمل في وزارة العمل والشئون الاجتماعية. كانت زميلتي في الدراسة الأميرة سارة بنت محمد آل سعود تعمل في الوزارة وكانت آنذاك في منصب مديرة مكتب الإشراف النسائي، فاقترحت علي نقل خدماتي من الرئاسة العامة لتعليم البنات إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لأقوم بإدارة دار التربية الاجتماعية للبنات، فقبلت. وكانت بالنسبة لي مسؤولية كبيرة فالدار تمثل سكنا داخليا لليتيمات وكان عددهن كبيراً، إضافة إلى عدد آخر من العاملات والمشرفات فشعرت وأنا في تلك السن في بداية حياتي العملية بلا خبرة سابقة، أن الحمل ثقيل، وأني مهما اجتهدت لن أستطيع الوفاء بواجباتي كما ينبغي. إلا أن الله أنقذني فتزوجت في ذلك العام وتركت العمل هناك لأسافر برفقة الزوج.

**✍ إلى أمريكا؟**

* نعم.

## ● السؤال: لماذا أمريكا؟

✍ ***سأتوقف معك في سؤال شخصي هنا ولكنه يبدو لي مهمًا للباحث في مسيرتك وفكرك، لماذا أمريكا بالذات، مع أن اختيارات أخرى عديدة ربما بدت أكثر ملاءمة لوضعك كامرأة سعودية، كالدراسة في مصر مثلا؟***

* كأنك تقرأ الأحداث بسؤالك هذا، فبالفعل كانت خطتي مواصلة الدراسة في مصر، وقد حصلت على موافقة وزارة العمل على ابتعاثي إلى جامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير، إلا أن قدر الله تدخل لأتزوج من طالب مبتعث للدراسة في أمريكا، فكان أن حولت البعثة إلى أمريكا بدلاً من مصر.

✍ ***يقال إنك كنت من أوائل السعوديات اللائي سافرن إلى الولايات المتحدة الأمريكية؟***

* لا أظن، فقد سبقتني كثيرات مثل الدكتورة فاتنة شاكر، والدكتورة ثريا عبيد، والدكتورة ثريا التركي والدكتورة عايشة المانع وغيرهن.

✍ ***ما قرابة الدكتورة عايشة المانع بك؟***

* الدكتورة عايشة المانع تربطني بها صداقة ومعرفة، ولكن لا تربطني بها قربى.

✍ ***الدكتورة هند الخثيلة، إحدى حفيدات زعيم من زعماء الإخوان الذين كانوا ضد تعليم المرأة، هي أول سعودية تحصل على الدكتوراة من أمريكا، هل هذه المعلومات صحيحة؟***

* الذي أعرفه أن الدكتورة هند حصلت على الدكتوراة عام ١٩٨١ وأن الأسماء المذكورة أعلاه تخرجن قبل ذلك التاريخ.

✍ ***المتتبع لأحوال المبتعثين السعوديين يجد أنهم كثيرا ما تعتريهم الدهشة أو ما نسميه الصدمة الحضارية التي تجعل الواحد منهم يعيش في تساؤلات واستفهامات كبرى، هل انتابك شيء من هذا القبيل؟***

* لا أذكر أني شعرت بشيء كهذا، ربما لأنني كنت مسبقاً أتوقع ما شاهدت فقد قرأت كثيراً عن الحياة في المجتمعات الغربية وشاهدت أفلاماً كثيرة تصور طبيعة الحياة هناك، وأظن ذلك ساعدني على تقبل الاختلاف. وهذا لا يعني أني لم أشعر بالفروق الكبيرة بين المجتمعين، ولكنه شعور لم يبلغ حد (الصدمة).

## ● يوميات امرأة سعودية

***هنا دكتورة أطمع كرصد تاريخي لسيدة سعودية تعيش في أمريكا في تلك الفترة، أود أن تصفي لنا بالتفصيل يومياتك كامرأة سعودية من حمولة محافظة إن صح التعبير أو بعبارة مباشرة دكتورة، ربما كنت في نظر البعض خالفت التقاليد المجتمعية وأنت تسافرين هناك، هل أطمع بيومياتك في مجتمع منفتح لآخره؟***

* عندما سافرت، سافرت برفقة الزوج، وهذا لا يعني في العرف العام مخالفة، بل يعد واجبا على المرأة الالتزام به. أما في العرف العائلي فقد كان أبي فخوراً ببناته محفزا لهن على التعلم والاستمرار فيه، وقد شجع أختي سعاد ونزيهة على السفر إلى مصر للدراسة العليا فحصلتا على درجة الماجستير من جامعة القاهرة.

وفي السنة الأولى لاغترابي كنت في حاجة كبيرة إلى التكيف، ليس مع المجتمع الغريب الذي وفدت إليه فحسب، بل أيضاً في حياتي الخاصة، فقد كنت حديثة عهد بالحياة الزوجية، وهذا يعني أن أبدأ في تكييف نفسي مع نمط حياة مختلف عما اعتدت عليه قبل الزواج، وهي مهمة ليست هينة على الإطلاق.

وفي تلك السنة درست في معهد اللغة، وكان المعهد يضم طلاباً وطالبات من مختلف مناطق العالم، فكنا نشكل خليطاً شديد التباين من الثقافات والعادات وقد أفادني ذلك في التعرف على كثير من ثقافات الشعوب التي لم أكن أعرفها من قبل، خاصة ما كان يتصل ببعض تفاصيل الحياة الاجتماعية الصغيرة التي لا تعنى بها الكتب عادة.

كذلك أذكر أن الطلاب العرب كانوا في تلك الفترة يشكلون عدداً كبيراً في الجامعة من ليبيا والكويت والمملكة ولبنان والعراق وغيرها، وكان كثير منهم لهم نشاط سياسي ضمن جمعية الطلاب العرب، وقد اعتادوا تنظيم المظاهرات وتوزيع المنشورات وعقد الاجتماعات حسب ما تمليه الأحداث السياسية في تلك الفترة، كذلك كانت الجمعية تعقد محاضرات ثقافية وتقيم أحياناً حفلات ترفيهية لجمع بعض التبرعات للمقاومة الفلسطينية. وكنت في العام الأول لحضوري أشارك في بعض نشاطات الجمعية لكني مع مضي الوقت لم اشعر بالتفاعل مع الجو العام السائد فيها فانقطعت عن المشاركة.

***هل واصل الدكتور عبدالله ارتباطه بالجمعية؟***

* نعم

***وعدت أنت إلى عزلتك كأي سيدة سعودية..***

* نعم، ولكن بصورة أخرى (قالتها ضاحكة)، لقد كونت لي صداقات مختلفة كما ظل ارتباطنا بالطلاب العرب المتزوجين قائماً.

## • لقطات من مرحلة الاغتراب

***بقيت هناك سنوات، ألم تحاولي الاندماج في المجتمع العربي في الغرب؟***

* المجتمع العربي هناك كان منقسما إلى فئتين: الطلاب العرب الذين يقيمون بشكل مؤقت لغرض الدراسة، والمهاجرين العرب الذين يقيمون بشكل دائم. وفي السنوات الأولى كانت صلاتنا أكثر بمجتمع الطلاب العرب، لكنا شيئاً فشيئاً فضلنا الانسحاب بعيداً عن التفاعل الاجتماعي الذي كان يختلس كثيرا من الوقت، خاصة وأني كنت قد أنجبت ابني البكر تيم، وكان الاعتناء به يقتطع جزءا ثمينا من وقتنا فما يتبقى بعد ذلك زمن فائض لأي تفاعل اجتماعي.

***ما هي المشاعر التي انتابتك وأنت تتعاملين للمرة الأولى في مجتمع مختلط؟ هل تقبلت ذلك بسهولة، وهل كان لديك استعداد مسبق من خلال قراءاتك مثلا؟***

* ما دامت التنشئة الأولى تمت في عالم وحيد الجنس (رجالي أو نسائي)، فإن الحاجز النفسي الذي يفصل بين المرأة والرجل يظل قائماً، وتظل العلاقة بين الاثنين يشوبها قدر كبير من المحافظة والرسمية، حتى وإن زال فيما بعد ما يفصل بينهما. وأذكر أني في العام الأول كنت أجد شيئاً من الحرج أثناء التعامل مع الأساتذة، خاصة وأني بطبعي خجول، فكنت أتحاشى التحدث إليهم أو مقابلتهم في مكاتبهم عند الحاجة. وكانت معي زميلة من فنزويلا، لاحظت عزوفي عن الاشتراك في بعض الأنشطة التعليمية التي يكثر فيها الطلاب، فأخذت على عاتقها أن تخرجني من عزلتي، وصارت تصحبني معها في كل ما تذهب إليه من أنشطة ومحاضرات وندوات، وأنا أدين لها بذلك.

***قرأنا وسمعنا عن تيارات ماركسية واتجاهات سياسية كانت مسيطرة على تلك الأجواء في جمعيات الطلاب العرب وغيرها، كيف كنت تنظرين إليها وتتعاملين معها؟***

* في أواخر السبعينيات الميلادية كان وهج المد الشيوعي قد بدأ يذبل بعد أن فقد الفكر الماركسي ألقه السابق، وكان يغلب على الطلاب آنذاك الشعور بالصراع والتذبذب ما بين الولاء للعروبة والكراهية للإمبريالية الأمريكية من جهة، والإعجاب والتقدير للحضارة الأمريكية في كل ملامحها والازدراء لكل ما هو عربي من جهة أخرى. وقد عرفت من بين أولئك الطلاب من كانوا (يلعلعون) بمبادئ الوطنية والحرية والكرامة إلخ، ثم لما رجعوا إلى بلادهم ابتلعوا مبادئهم ونسوا حظاً كبيراً مما نادوا به.

✍ ***هل أفهم أن تلك البطولات التي دندنوا عليها مجرد انفعالات عاطفية وقتية غير متجذرة بمعنى آخر، هل كان مجرد ترف فكري عاطفي؟***

* ربما.

✍ ***أشعر أنك قاسية عليهم، لم لا يكون بعضهم قد دجن بالوظائف بعد عودته وكسبوا حياتهم بترك قيمهم التي دندنوا بها، ربما كانوا صادقين في تلك المبادئ؟***

* هذا يتوقف على مفهوم (الصدق في المبدأ)، وإن كان يدخل فيه (سرعة النبذ) متى اقتضت الحاجة ذلك.

✍ ***من من هؤلاء باقٍ في ذاكرتك؟***

* أفضل عدم ذكر الأسماء.

## ● الرؤى الماركسية تصيغ العقول

✍ ***مما سمعنا أيضاً أن تلك المحاضن هي التي أعادت تشكيل صياغة عقول الكثير من المبتعثين السعوديين سواء من الناحية السياسية أو الفكرية، حتى حملت عقول هؤلاء أفكارا ورؤى لا تنطلق من قيم الأرض التي خرجوا منها، ما تعليقك على هذا؟***

* في ظني أن التغير الذي يحدث في اتجاهات الطلاب المبتعثين أو إعادة صياغة تفكيرهم لا يحدث بسبب تلك الجمعيات، وإنما بسبب وجود الطلاب في مجتمع يحمل أفكارا ورؤى واتجاهات تختلف عن المجتمع الذي خرجوا منه، خاصة في تلك الفترة التي لم تكن فيها وسائل الاتصال بهذا النشاط الموجود حاليا. فكان معظم الطلاب يعيشون داخل مجتمعاتهم حياة عزلة وانغلاق فكري، فينشؤون وهم لا يعرفون سوى رأي واحد ولا يسمعون سوى صوت واحد، ثم عندما يبتعثون ويخرجون إلى العالم المختلف يفاجأون بوجود آراء متعددة ووجهات نظر مختلفة فتتغير تبعا لذلك نظرتهم ويعيدون حساباتهم في كثير من المسلمات السابقة عندهم.

***من تذكرين من الطلاب؟***

* هناك قائمة طويلة من الطلاب العرب والسعوديين، ولو مضيت أعدهم لما كفاني الوقت.

***حبذا لو ترصدين لنا حياتكم التي عشتم كجالية من المبتعثين السعوديين كيف كانت يومياتكم، كيف كنتم تجتمعون؟***

* كنا نلتقي بين حين وآخر في بيت أحد منا لتناول العشاء معا، وأحيانا في أيام السبت أو الأحد نلتقي في بعض الحدائق العامة. وكانت طبيعة اللقاء بسيطة، والوجبات صغيرة تخلو من تعدد أصناف الطعام المبالغ فيه، وكنا نعمل معا في إعداد الوجبات وغسل الأطباق وكان بعض الأزواج يعرضون علينا المساعدة أحيانا، فنسند إليهم الأعمال (الهامشية) كإعداد السلطة مثلا.

***هل كان اللقاء يتم بنفس التقاليد الموجودة في السعودية، الرجال في غرفة والنساء في غرفة أخرى؟***

* لا، كنا نجتمع في مكان واحد نساء ورجالاً وذلك في أواخر السبعينيات عندما كان عدد الطلاب قليلاً، ثم لما كثر العدد وأخذت تفد جماعات من الطلاب

لا تحبذ اجتماع النساء والرجال في مكان واحد، صرنا نلتقي في مكانين منفصلين.

✍ ***لا بد أن هناك نوادر وأشياء طريفة قد حدثت في تلك الفترة؟***

* هذا صحيح، لكني مع الأسف، لي ذاكرة مليئة بالثقوب فيما يتعلق بالمواقف الطريفة فلا أتذكر شيئاً منها.

✍ ***ذكرت لتوك أن الإخوة المحافظين كان لهم دور في إعادة التقاليد الاجتماعية في أجواء البعثات هناك، مما يستدعيني لسؤالك عن الجمعيات الإسلامية في تلك الفترة، ألم تكن ثمة واحدة تلتقون فيها؟***

* كان يوجد في المدينة مسجد كبير تقام فيه الصلوات وتعقد فيه بعض الحلقات الدينية وتؤدى فيه صلاة التراويح والعيدين، وفي رمضان كان يقام فيه إفطار جماعي في نهاية كل أسبوع.

✍ ***إذن أنت لم تدركي فترة ظهور تلك الجمعيات الإسلامية في أمريكا؟***

* ما أتحدث عنه يتصل بالمدينة التي كنت أقيم فيها، وقد تكون هناك جمعيات في أماكن أخرى لا أعرف عنها شيئا.

✍ ***نعود للدراسة، هل كانت رسالتك للماجستير في مجال تخصصك التربوي الحالي؟***

* في مرحلة الماجستير كانت الدراسة مقتصرة على الساعات الدراسية دون تقديم أطروحة.

## ● رسالة الدكتوراة المثيرة للجدل

✍ ***رسالتك في الدكتوراة، أظن أن عنوانها كان "السياسة التاريخية والمعاصرة لتعليم المرأة في المملكة العربية السعودية"؟***

* هذا صحيح.

**لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات؟**

* كانت في ذهني الضجة التي ثارت عند إنشاء تعليم البنات الرسمي في المملكة وما دار بسبب ذلك من صراع بين المؤيدين والمعارضين لتعليم البنات، ثم ما تلاه من صراع حول المضمون العلمي الذي ينبغي أن يقدم للبنات أو يحجب عنهن. لقد أثارني هذا الجدل فأردت أن أبحث عن تعليل لكراهية بعض الرجال تعليم النساء، واشتراط من يسمح منهم بتعليمهن أن يكون ذلك التعليم في حدود ضيقة، مع أن الدين الإسلامي جاء ليحض على طلب العلم دون تحديد للجنس. وقد جرني ذلك إلى دراسة وضع المرأة في التاريخ الإسلامي وإلى الاطلاع على آراء كثير من علماء المسلمين ومفكريهم فيما يتعلق بتعليم البنات. وقد أثارني ما وجدته لدى بعض الفقهاء من كراهية لتعليم النساء، خاصة تعليمهن الكتابة ورواية الشعر، وقد نص على ذلك الإمام القابسي في القرن الثالث الهجري بقوله: إن سلامة المرأة من تعليم الكتابة (أنجى لها). وقد ردد من بعده فقهاء آخرون هذه الفكرة المتضمنة الخوف من تعليم المرأة، وقد ذكر الشيزري في (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) النهي ضاربا المثل بأن من يعلم المرأة الكتابة كمن يسقي الحية سما.

**ولكن ألا يوجد في المقابل فقهاء آخرون في تأريخنا كله يؤيدون تعليم المرأة؟**

* بالطبع يوجد، وفي مقدمتهم الفقيه ابن حزم الذي لم يكتف بتأييد تعليم المرأة بل مضى إلى أبعد من ذلك بأن جعل فرضا عليها الارتحال لطلب العلم متى لم يوجد في بلدها من تتعلم منه. وفي ظني أن كراهية تعليم النساء تولدت في أذهان الرجال مع انتشار الرقيق الأبيض في المجتمع الإسلامي، فقد شاع في العصر العباسي الإقبال على تعليم الجواري وتثقيفهن بمختلف أنواع العلوم وكان ثمن الجارية يزيد بزيادة علمها وثقافتها، كما كان ذلك أدعى إلى المباهاة بها،

إلا أن أولئك الجواري كن، بحكم الرق، بعيدات في مسلكهن عن الشرف أو التمسك بالفضيلة، فارتبط تعليم المرأة في أذهان الناس بالسلوك المبتذل الذي كانت تتسم به الجواري. وبدا لهم أن الابتذال في الأخلاق والتهاون في الفضيلة أمر يرافق تعليم الأنثى، فكرهوا تعليمهن لذلك السبب.

✍ ***دعيني أطرح سؤالي من زاوية أخرى، كانت أمامك موضوعات لا تنتهي يمكن أن تختاري أياً منها كأطروحة دكتوراة، لماذا هذا الموضوع الذي تدركين حساسيته المجتمعية على الصعيد السياسي والديني، هل كان ذلك الاختيار نابعاً من روح التحدي المتجذرة في نفسيتك؟***

* لا أدري، ربما، فقد اعتدت منذ الصغر أنه متى عرض لي أمران: أحدهما ميسور مطروق والآخر عسر قليل الطرق، أختار العسر. كما أتذكر أن أستاذي المشرف على الرسالة سألني أكثر من مرة إن كنت متأكدة أن ما جاء في الرسالة لن يضرني بعد عودتي للمملكة، فكنت أجيبه بأني لم أكتب شيئاً غير ما أظنه الحقيقة، إضافة إلى أن الرسائل الجامعية تكتب لتزيين الرفوف وليس للقراءة.

✍ ***لا حول ولا قوة إلا بالله (مبتسما)، ولكن ألم تكن للأطروحة تبعات عليك رسمية أو شعبية؟***

* كنت أتوقع بعض الاحتجاج أو المساءلة من الرئاسة العامة لتعليم البنات لأني نصيت على نقدها في بعض النواحي، إلا أن توقعي لم يصدق، إما لرحابة صدر الرئاسة وإما لعدم العلم بما قلت.

## ● الأنموذج والقدوة

✍ ***دعيني أسألك عن النموذج أو الشخصية الأكاديمية التي أثرت عليك، سيما وأنت تدرسين لأول مرة وجها لوجه بعد سنوات المنازل والانتساب، ما الذي علق في ذاكرتك من الأساتذة هناك؟***

* رغم أن الأساتذة كان يغلب عليهم الانغماس في العلم والانشغال الطويل بالدراسة والبحث، إلا أنهم كانوا يثيرون دهشتي بما يبدونه من تواضع جم في نظرتهم إلى علمهم، فهم في نقاشهم مع الطلاب لا يطرحون أفكارهم ورؤاهم كأحكام مسلم بها وإنما غالباً هي تطرح كوجهة نظر قابلة للتقليب والتأمل، فلا شيء يقدم كرأي نهائي، وإنما كل شيء قابل للأخذ والرد.

كذلك أذكر أني تعلمت من أستاذي المشرف على دراستي مزايا جديدة حاولت أن أطبقها في حياتي، مثل الإصغاء الجيد، وإتاحة الحرية في التعبير، وعدم إملاء الرأي، والتواضع، سواء في النظرة إلى الذات أو عند التعامل مع الآخرين. كما بهرني منه انقطاعه للبحث وتحصيل العلم، وقد ساعده على ذلك أنه كان متفرغا لا تشغله مسئوليات الأسرة، فكان يقضي معظم يومه في مكتبه يقرأ ويبحث، وكان ذلك يدفعني إلى الاجتهاد في العمل، بصراحة، كنت أغار منه، كلما جئته وجدته منكباً على عمل جديد ينتجه.

***ربما مرت عليك فورة من هذه الفورات في تصحيح وضع المراة في السعودية في تلك الفترة وأخذتك حمى تغيير العالم، وكلنا يمر بمثل هذه المواقف. هل يمكن أن نعرف الهاجس الذي كان يشغلك في تلك الأثناء حيث يظن الإنسان أنه يستطيع أن يغير العالم وغير ذلك من هذه الأحلام الوردية التي تنتابنا؟***

* هذا الشعور الذي تتحدث عنه اعتراني أثناء فترة المراهقة وبدايات الشباب، كان في أعماقي احتجاج غاضب على المجتمع الذي يتيح للرجل من الفرص والمزايا ما لا يتيح مثله للمرأة. وقد تولد لدي رفض للوضع السائد، فقد شعرت أن القيود المفروضة على المرأة انتقاص من قدرها خاصة حين تربطها تلك القيود بالرجل فتجعلها تابعة له لا استقلال لها. كان ذلك يضايقني جدا.

لقد بدا لي أن المجتمع يظلم النساء وأنه يستند في ظلمه لهن على بعض القوانين التي تشرّع له ذلك وتعينه عليه، ولو عدلت تلك القوانين لاستقام أمر المجتمع. وكنت بغرور وسذاجة المراهقة أطمح إلى أن أنجح في يوم من الأيام في تغيير بعض القوانين التي كنت أراها مجحفة في حق النساء. إلا أن الحياة وتجاربها علمتني أن تغيير القوانين ليس بالأمر السهل خاصة متى ارتبط بعضها في أذهان الناس بأمور شرعية.

✍ ***هل هي قوانين شرعية أم قوانين عرفية أم مشتبكان؟***

* هي قوانين وضعية، لكنها تقدم للناس في لبوس شرعي، فتكتسب قدسيتها من ذلك اللباس. مثلا في الشريعة الإسلامية (ذا استثنينا عقد النكاح) فإن المرأة لا يشترط عليها موافقة (ولي الأمر) فيما تقوم به من أعمال أو تنجزه من اتفاقيات، لكن قوانينا الوضعية ترغم المرأة على إحضار موافقة ذلك الولي في كل صغيرة وكبيرة من شئونها، عند تقدمها لطلب العمل أو الدراسة أو استخراج جواز أو تجديده، أو للحصول على بطاقة الأحوال أو عند السفر أو غير ذلك من الاحتياجات الإنسانية في حياة النساء.

✍ ***سوف نستفيض في ذلك لاحقاً، متى انتهيت من مرحلة الدكتوراة؟***

* عام ١٩٨٤ .

✍ ***وعدت مباشرة بعدها؟***

* لا، بقيت هناك سنتين أخريين، عدنا عام ١٩٨٦ والتحقت بالعمل في جامعة الملك سعود عام ١٩٨٧

## ● طالبات جامعة الملك سعود

✍ ***أعود لسؤالي القديم عن وصف مشاعرك وأنت الآن أستاذة في الجامعة وعن رسالتك الفكرية وعن الطالبات هل هن مثل طالبات الستينيات؟***

* كل جيل له محاسنه ومساوئه، بشكل عام الطالبات هذه الأيام أكثر جرأة من الطالبات في الماضي، وأكثر اعتداداً بالنفس، ولعله من العسير المقارنة بين طالبات هذا الجيل والأجيال الماضية وذلك لاختلاف التركيبة الاجتماعية للطالبات، ففي الماضي كان عدد الطالبات صغيراً وكن يشكلن شريحة اجتماعية منسجمة، أما اليوم فإن عدد الطالبات أصابه التضخم وأثر ذلك على التركيبة الاجتماعية لهن، فالطالبات الآن يأتين إلى الجامعة من مختلف أنحاء المملكة وفيهن الآتية من قرية أو من البادية أو من الجبل أي: إنهن يشكلن شرائح اجتماعية مختلفة حضارياً واقتصادياً وفكرياً، وهذا ما يجعل من الصعب المقارنة بينهن وبين طالبات الماضي اللاتي كن يمثلن شريحة واحدة من المدينة ويتقاربن في الثقافة والمستوى الاقتصادي والحضاري.

***عندما عدت إلى السعودية في عام ١٩٨٦ كان تيار الصحوة في أوجه، هل كان الحضور الإسلامي كبيراً وسط الطالبات أيضاً؟***

* حدث ولا حرج، (قالتها ضاحكة). في بداية عملي في الجامعة كنت أطمح أن أعالج قضايا المجتمع من خلال صقل فكر الطالبات، وقد ساعدني على ذلك أني أدرس مواضيع ذات صلة بالمجتمع ومشكلاته مثل (علم الاجتماع التربوي) و(أصول التربية الإسلامية) و (تاريخ التربية) و (التربية المقارنة)، وفيها مجال واسع لمناقشة قضايا مثل دور العقل في اكتساب المعرفة، أو دور الحرية والديمقراطية في التربية ومدى ممارستها في البيت والمدرسة ونصيب البنات والأولاد منهما. فكان أن انقسمت الطالبات في تلقي ذلك إلى ثلاث فرق: فرقة انجذبت صاحباتها إلى الحوار وأيدن الخوض في تلك المشكلات، وفرقة عارضت ذلك واستنكرته وعدته خروجاً على العرف والتقاليد ونوعاً من إدخال المفاهيم الغربية إلى المجتمع، وفرقة ثالثة التزمت صاحباتها اللامبالاة وكان كل همهن النظر إلى الساعة متى تنتهي المحاضرة.

وعلى إثر هذه الانقسامات وصمت بالعلمانية وعدم الالتزام بتعاليم الدين، وبدوت في حاجة إلى بعض دروس الوعظ. فبادر الذين يحبونني ويخشون علي مغبة أفكاري، إلى إهدائي كثيراً من خطابات النصائح والوعظ، وكان أحياناً يرفق معها بعض الكتيبات والأشرطة الصوتية الوعظية، وكانت تلك الهدايا تسرب إلى مكتبي من تحت الباب فلم يتح لي معرفة المهدي الكريم لأشكره.

***أحتاج كتوثيق تاريخي دكتورة أن تحددي النسبة إن أمكن بين فئاتك الثلاث، هل كانت الأغلبية هي الفئة التي لم تهتم مثلاً؟***

* أظن ذلك.

## ● بداية سجال المكاشفات

* اسمحي لي باتهامك دكتورة بأنك تتحملين أنت جزءاً من المسئولية في ذلك، خاصة إذا علمنا أن في تراثنا أثراً يأمرنا بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، وأنت آتية للتو من الغرب وبكل حماسة تريدين تغيير واقع للمرأة ممتد لقرون، على افتراض أن هذه الأفكار من مدارس فقهية إسلامية متسامحة، وربما كانت أفكارك مصادمة لطالبات نشأن في بيئات محافظة ودينية من مدرسة سلفية سائدة، كيف تعلقين؟

* لا يا أخي، أنا لم أتعرض لأمور دينية، كما أني أنا نفسي نشأت في بيئة محافظة ومتدينة وتنتمي إلى المدرسة السلفية أيضاً، فأنا لست غريبة على المجتمع. كنت في حديثي مع الطالبات أتناول أمور التربية والنظريات الحديثة في تربية البنات والأولاد، وهي في بعضها نظريات تميل إلى تطبيق الحرية والاستقلالية، وتنتقد بشدة تطبيق الطاعة المطلقة التي تجرد الفرد من ممارسة الاختيار وترغمه على الاتباع دون رغبة داخلية. لكن فيما يبدو كانت هذه الأفكار تطرق سمع بعض الطالبات لأول مرة، فاصطدمت بما سقي لهن من قيم

الطاعة والخضوع وما زرع فيهن من الخوف من الاستقلالية والاعتماد على النفس، فتخيلن في ذلك كله خروجاً على قيم الدين. ومن يحتك كثيراً بالطالبات يلاحظ أن كثيرات منهن لديهن خوفاً من الأفكار الجديدة، لكنهن يفسرن ذلك الخوف بالحرص على الدين.

✍ ***نحن نتحدث الآن عما كان عليه جيل ١٩٨٧، ولكن ماذا عن جيل ٢٠٠٣م؟ لاشك أن البون شاسع بين الجيلين، والفضائيات أحدثت تحولاً كبيراً، كيف ترى الدكتورة عزيزة بنات الجيل الحالي؟ هل أما زالت نسب الأقسام الثلاثة كما هي أم إنها تغيرت؟***

* قد تستغرب لو أخبرتك أني لم ألحظ فرقاً. الفرق الوحيد هو اختفاء فئة حاملات الهدايا. فلم تعد هناك هدايا تسرب الى المكتب من تحت الباب.

✍ ***كيف اختفت، هل بسبب انحسار التيار أم أن للرسمي يداً في كبح تلك المجموعات؟***

* في تصوري أن ما يدور في داخل الجامعة هو انعكاس لما يدور خارجها، فلما تم ضبط تلك النشاطات خارج الجامعة أمتد الأثر إلى داخلها.

✍ ***سأعود إلى عام ١٩٨٧م ومباشرتك التدريس في الجامعة، عندما حدث ذلك ألم تقدمي، طالما أنت صاحبة رسالة، على التواصل مع بعض أساتذة الجامعة من أصحاب التوجه الإسلامي للبحث عن نقاط التقاء مشتركة ويتفهمون عبرها طروحاتك الجديدة؟***

* لم أحاول، فأنا أولاً: لا أؤمن بجدوى النقاش على المستوى الفردي في حل مشكلات اجتماعية، وثانياً، سبل التواصل الفكري بين النساء والرجال غير متوفرة في مجتمعنا، ولن أضع نفسي في موقف قد يفسر تفسيراً غير صحيح، وهناك أساليب أخرى أفضل من هذه أستطيع بها عرض أفكاري، فأنا أطرح

رؤيتي من خلال ما أقدمه من دراسات علمية وما أشترك فيه من ندوات عامة ومؤتمرات، وما أنشره في الصحف.

## ● الإسلاميات والتقارب

✍ ***إذا افترضنا جدلاً صحة ما ذهبت إليه فثمة أكاديميات إسلاميات كالدكتورة رقية المحارب مثلاً؟***

* الدكتورة رقية المحارب اسم معروف في المجتمع وهي شخصية محبوبة ومتحدثة بارعة، ومن المؤكد أن من مصلحة النساء في مجتمعنا أن يكن يداً واحدة للوصول إلى حياة أفضل، لكن مع الأسف لم يتح لنا أن نلتقي، وعلى أية حال أنا أظن أننا نتفق في الأهداف وإن بدونا مختلفتين في الخطاب.

✍ ***بهذا المعنى، هل تتكئين في خطابك على رأي شرعي من مدرسة شرعية بعينها، فلربما كانت رؤيتك الشرعية تنطلق من وجهة غير تلك التي ينطلق منها مخالفوك؟***

* لا أرى أني، في ما أدعو إليه، أخالف الشرع في أي صورة، ففي رأيي أنه إذا كان القرآن الكريم تعامل مع النساء على أنهن كاملات الأهلية ففرض عليهن من التكاليف الشرعية مثل ما فرض على الرجال، وجعلهن معرضات للعقوبات التي يتعرض لها الرجال، فهذا دليل واضح على أن المرأة ليست قاصراً، فالقاصر ليس عليه تكليف ولا تقع عليه عقوبة، ومادام القرآن الكريم ينفي صفة القصور عن المرأة فلا يحق للمجتمع أن ينسب إليها تلك الصفة. وما أدعو إليه هو أن يراعى عند سن القوانين ذات الصلة بالنساء أن تكون متفقة مع كمال أهليتهن التي أقرها الله سبحانه لهن.

✍ ***أكرمينا بمزيد من التفصيل لتدللي للمجتمع والقراء على صحة رأيك؟***

* في تاريخ نساء المسلمين نماذج كثيرة يتبين منها كيف أن المرأة كانت تمارس حياتها باستقلالية دون وصاية من الرجل. ولو رحت أستعرض تلك النماذج لما كفاني الوقت، ولعل من أبرزها أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بايع المؤمنات لم يطلب منهن (موافقة) (أولياء أمورهن) بل عدهن أهلا للمبايعة مسئولات مسئولية كاملة عما يأتينه من سلوك وما يلتزمن به من عهد. ومثل ما يذكره التاريخ أيضاً من أن أم هانئ شقيقة علي بن أبي طالب عندما أجارت أحد المشركين عام الفتح لم يعجب ذلك أخاها علياً وأراد أن يقتله، فاشتكت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأمضى إجارتها ولم يشترط موافقة أخيها. فتقييد إقرار أعمال النساء بموافقة (ولي الأمر) هو إنكار لكمال أهليتهن، وأراه أحد مخترعات العصر الحديث.

✍ ***إذن أفهم أن منطلقك شرعي في أطروحاتك حيال المرأة دكتورة؟***

* وهل يعتريك شك في ذلك؟

✍ ***عفوا دكتورة، ولا يخفى على مثلك رسالتي من سؤالي. مرة أخرى هل أفهم يا دكتورة أن ما قلت دعوة منك للأخوات الأخريات للحوار والنقاش في بعض مسائل المرأة مما يمكن أن ينعكس على خير الوطن؟***

* بالتأكيد، فالغاية ليست إصلاح وضع المرأة فقط، وإنما تبرئة هذا الدين العظيم مما ألحق به من صور التخلف في معاملة النساء.

## ● البيئة والصديقات

* أنتقل إلى محور آخر، بعد تلك الفترة بدأت في تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية، هل كانت تلك العلاقات محصورة في نفس بيئتك الفكرية؟

* معظم صديقاتي زميلات في العمل، وأجد بيني وبينهن التقاءً فكرياً ونفسياً في جوانب كثيرة.

**لا أعتقد أن ثمة حرج يمنعك من ذكر بعض الأسماء لنا؟**

* لدي قائمة طويلة من أسماء الصديقات اللاتي أحبهن وأعتز بصداقتهن، ولطولها لا أستطيع ذكرها، لكني أذكر لك أول من تعرفت عليهن وقامت بيني وبينهن صداقة متينة بعد عودتي من أمريكا وهما الدكتورة سهام الصويغ من قسم علم النفس والدكتورة هدى العميل من قسم رياض الأطفال.

**هل لديكم مجلس أسبوعي تلتقون فيه؟**

* لا، لدينا لقاء شهري، وهو لقاء ثقافي مفتوح للجميع، منسوبات الجامعة وغيرهن.

**لا شك أنكن كنتن تتناولن بالحديث حال المرأة السعودية وكيفية تغيير واقعها؟**

* ليس دائما، فلقاؤنا غالبا يركز على الدراسات العلمية في مجالات التخصص المختلفة، لكن الحديث عن قضايا المرأة ومشكلاتها يرد في كل جلسة من الجلسات العادية وفيه يتم الخوض في كل كبيرة وصغيرة من هموم النساء، بدءاً من أخبار التعرض لإهانات رجال الهيئة في الأسواق أو في المطاعم أو عند أبواب الجامعة، وانتهاء بأخبار التصادم مع جوازات المطار عند نسيان حمل ورقة سماح ولي الأمر بالأذن بالسفر. إلا أن هذه الوقائع تطرح كأخبار وحكايات ولم يحدث أن نوقشت بصورة جدية.

وما أشعر به أن النساء ينطبق عليهن ما ينطبق على قومهن العرب، العجز عن توحيد الكلمة من أجل بلوغ حياة أفضل، وما لم تتحد النساء فيما بينهن وتتكاتفن من أجل إصلاح أوضاعهن وحل مشكلات الحياة التي تواجههن، فإن واقعهن لن يصلح أبداً. ولكي أكون أكثر وضوحاً، فلا يتهمني مزايد بتهمة الاستغراب، فإن ما أعنيه بإصلاح أوضاع النساء أقصد به رفع الظلم الذي يقع على بعضهن حين يرغمن على زواج لا يردنه، وحين يرغمن على معاشرة زوج

كرهن الحياة معه، وحين يطلقن بلا ذنب وبلا عوض، وحين يهجرن ويتركن (معلقات)، وحين يهملن فلا يتم العدل بينهن وبين ضرائرهن، وحين يحرمن من زيارة أولادهن متى طلقن، وحين يضربن، وحين تبتز أموالهن، وحين يسقط حقهن في الإرث، وحين يحرمن من التعليم، وما شابه ذلك من حالات كثيرة يحدث فيها الظلم للنساء.

✍ ***الرجال في بعض منتدياتهم يبلورون موقفا ما ويبعثون بمطالبهم وآرائهم إلى المسئولين كل حسب اهتمامه، هل يحدث مثل ذلك في مجلسكن؟***

* أحياناً، ولكن بهدوء ودون ضجة.

---------------------------------------

---------------------------------------

-----------

علي سعد الموسى(*)

# عزيزة المانع: اكتشاف واقع امرأة

غداً قد نكون مع الجزء الأخير من مكاشفات عبدالعزيز قاسم للزميلة الدكتورة عزيزة المانع في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة. لو أن الحلقتين السابقتين بحروفهما وجملهما كانتا مكاشفة مع رجل لربما لم أقرأها لأنهما كانتا في المجمل مزيجاً من السيرة الذاتية وشيئاً من الماضي والتاريخ. لكنني سافرت معها بعمق لأنها من المرات القليلة التي تتاح فيها فرصة نادرة لقراءة حياة امرأة، فالمرأة لدينا في المجمل بلا تاريخ. المرأة في تركيبتنا الاجتماعية يجب أن تبقى بلا تاريخ. المرأة في نظر البعض خطيئة مطلقة وعورة في نظر الزوج والأب والابن وإرث من تقاليد القبيلة العربية منذ أن قال امرؤ القيس هائيته الشهيرة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي... كان ذلك قبل الإسلام بما يقارب القرن الكامل، فمن غير المصطفى صلى الله عليه وسلم في تاريخنا أعطى المرأة شيئاً من الحقوق، ومن هو الذي أعطاها بعده حين تغلبت نواميس القبيلة على تعاليم الدين فلم تكسب في ساحة بأكثر من كسبها المشين في ساحة المرأة؟

حين قادت عزيزة المانع سيارتها مع العشرات من بني جلدتها في شوارع الرياض فبكل تأكيد كانت تنتهك عرفاً اجتماعياً ومخالفة قانونية لم يكن لها حتى "خانة" في قسائم المرور. مئة سيارة نسائية في شارع واحد تعاكس في سيرها مليوني سيارة ذكورية في كل شوارعنا العمومية. كان ذلك جنون مفرط، لكن لم يكن ارتكاباً لمحرم ديني بدليل أن الذين هاجموها وطالبوا بمحاكمتها ورفعوا آيات الوعيد على الأشرطة هم نفسهم الذين يقولون اليوم علناً على صدر الصحف: إن حرمة قيادة المرأة للسيارة ليس من الثوابت ولم يرد به تحريم في أي آية أو سورة.

لست بالذي يصدر الفتوى في قيادة المرأة ولا أملك قراراً أو حتى رؤية حول النتائج. كل ما أستطيع قوله صراحة لا مواربة أن زوجتي وبناتي لن يكن وراء المقود ذات يوم لأن مجتمعنا برجاله وشبابه بالذات غير مؤهل لهذه الخطوة، ولن يكون فيما تبقى لي من الحياة، ولهذا سأجاهد من أجل قراري حتى لو سمح البعض: سأتمسك به من باب سد الذرائع.

لكنني سأجاهد بقلمي أيضاً كلما رأيت أحدهم يختطف الفتوى باسم الدين لتكون الواقعة حلالاً في عقد من الزمن بعد أن كانت حراماً في العقد الذي سبقه. هذه مزايدة لاكتساب الشعبية، وهذا قفز مجنون من أقصى الحرام المطلق إلى أقصى الحلال في غضون سنين ثم نبلع ذلك بعبارة قياسية عامة مغلفة: لقد تراجعنا عن الفتوى بعد أن بدا لنا العكس. كل ذلك يتم ونصوص هذا الدين العظيم الخالد بيننا منذ أكثر من ألف وأربعمئة عام. انتهت هنا المساحة فلنذهب إلى المكاشفات.

- أكاديمي وكاتب سعودي بصحيفة الوطن
- نشرالمداخلة في صحيفة الوطن بتاريخ ٩/ ١١/ ١٤٢٤ ه الموافق ١ يناير ٢٠٠٤ م

## د. عزيزة المانع مختتمة مكاشفاتها:

# النموذج الذي أرجوه للمرأة السعودية ليس النموذج المصري ولا الأمريكي بل نموذج متفرد منبثق من المبادئ والقيم الإسلامية الصحيحة

* لم تقم أية واحدة ممن شاركن بمسيرة السيارات برمي الحجاب أو الدهس عليه

** لو كرر لي طلب المشاركة في مسيرة لقيادة السيارات فلن أشارك لهذا السبب

* اشتراط موافقة الولي كلما سعت المرأة إلى قضاء حاجة من حاجاتها هو إنكار لاستقلاليتها التي أقرها لها الشرع

** دخول النساء إلى عالم الفقه من الضرورات التي تقتضيها الحاجة والمصلحة العامة

* الصحوة الإسلامية المحلية لم تقصر في شأن المرأة فقط.. بل لم تفعل لها شيئاً

** أنادي بمكاتب استشارية فقهية للنساء كي يعرفن ما لهن وما عليهن

* لست ممن يرين أن إصلاح وضع المرأة ينبغي أن يتم (عنوة) بل نحتاج عون الصالحين من الرجال لمسألة الإصلاح

** حول البعض مفهوم (القوامة) على النساء التي جاء ذكرها في القرآن إلى (رقابة ووصاية)

* لست مغرمة أو متأثرة بالنموذج الأمريكي أو الأوروبي، سواء للمرأة أو للحياة في المجتمع بشكل عام

** ليس كل الوسطيين معنيين بشأن المرأة ليجعلوه من أولوياتهم والبعض زعم الاعتدال مجاراة للتيار العام ونوعاً من المناورة

* لو كنت أريد أن أجامل أحدا لفعلت ذلك أيام كان ضغط التيار الإسلامي المتشدد في أوج فتوته وليس الآن وهو يمر بمرحلة الشيخوخة

** لم لا يكون هناك محاكم متخصصة في الفصل في القضايا الأسرية لتختصر الزمن وتيسر الأمر

* لم أفهم المقصود من الحوار الوطني وأقف متشككة فيه ولو دعيت إليه لن ألبي

** إصلاح أوضاع المجتمع ووضع المرأة يحتاج إلى أن ينظر إليه بعينين: عين المرأة وعين الرجل، فالعين الواحدة لا يمكن أن ترى كل الجهات والزوايا

* حادثة ١١سبتمبر زادت من تشبث البعض بأمريكا، حتى كاد بعضهم أن يكون أمريكيا أكثر من الأمريكيين أنفسهم وانظر لعبدالرحمن الراشد

---

---

*****

(*) نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٢ يناير ٢٠٠٤ م.

## بين يدي مكاشفات

دعوة سمو سيدي ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز إلى المصارحة والحوار المجتمعي، كان دافعنا إلى فتح هذه الملفات الشائكة التي ستطالعونها بين ثنايا الحلقة الأخيرة من مكاشفات د. عزيزة المانع. وسروري الشخصي كان كبيراً بهذا الوعي الذي أبدته إدارة التحرير بآماد هذه الدعوة التي يلحّ عليها قادة هذا الوطن في كل مناسبة قطعًا للطريق على الغربي الذي ما انفك يدس أنفه في شؤوننا الداخلية ليهتبل أية فرصة في زعزعة تماسكنا الداخلي وخدش نسيجنا الاجتماعي.

يتصور كاتب السطور بأن مناقشتنا بهذه الشفافية التي ستقرأون، أجدى كثيراً للوصول إلى نقاط مشتركة بين الأطياف الفكرية التي تمثل المجتمع، ومن ناحية أخرى هو دعم لموقف الكيان في هذا الظرف السياسي الذي نمر به. فبدلاً من أن تناقش هكذا موضوعات خاصة بنا في الإعلام الغربي بكل تحيزه الأعمى المقيت، أو حتى مناقشتها في الفضائيات العربية التي تطرحها بشكل فج وسطحي، وتشعر عبرها بروح التشفي أو حبّ في توسيع شقة الخلاف.. يتصور كاتب السطور بأننا أولى بأن نباشر هذه الموضوعات وأن نناقشها في إعلامنا المحلي عبر طرح متزن وعاقل يستصحب الموضوعية والعمق، ويروم خير هذا المجتمع ومصالحه من أفراد تسكنهم الروح الوطنية المسؤولة، ويشعرون عبر الحوار - وإن اختلفوا في رؤاهم - بأنهم أخوة في سفينة واحدة يحتضنهم وطن هو في الصميم من قلوبهم، قاطعين الطريق على أية مزايدات غربية أو شماتة من قريبين ربما لا يحبون الخير والتسامح أن يسود هذا المجتمع..

وإننا إذ فتحنا ملفين غاية في الحساسية المجتمعية، أولهما، المسيرة الشهيرة مطلع التسعينيات لبعض الأخوات المواطنات وطلبهن السماح بقيادة المرأة للسيارة. والآخر حول وضع المرأة السعودية وحقوقها لنرجو أن يكون اجتهادنا يصب في دعمنا لدعوة الحوار الوطني.

في الملف الأول أحببنا توثيق رصد تأريخي حقيقي بعيد عن المبالغات والمزايدات السياسية آنذاك والتي تلفعت أقوال وأفعال كل فريق. وأحببنا - ثانية - استخلاص العبر والنتائج بعد أن هدأ أوار تلك المعركة، ورأينا بأنه قد حان الوقت لقراءة شرعية وعلمية هادئة، والنظر إلى تفاصيلها بعيداً عن تلك المواقف المتشنجة التي صبغت صور تلك الحادثة، عبر منبر محايد ونزيه، ممتطين روحاً موضوعية - نزعم - وصراحة بعيدة لأقصى آمادهما ترومان التوثيق للأجيال.

أما الملف الآخر، فملف شهد تجاذبات إعلامية وفكرية لم تكن أبداً نظيفة كلها، بل وظفها البعض وشخصنها للنيل من التيار الديني، وليس لأجل عيون (قضية المرأة)، ونعرف أن كثيرين يلعلعون بحقوقها وضرورة النظر إليها من منظور حضاري، فيما إذا تفحصت تطبيقاته الحياتية لألفيته بأنه من أكثر الناس إيغالاً في هدر حقوق ابنته أو زوجته أو أخته.

أحببنا أيها السادة فتح هذا الملف، مع سيدة كان هذا الموضوع هو همّ حياتها، وأثبتت أنها تحلت بالإنصاف والصدق عبر كتاباتها. وكل ما أطلبه من سادتي العلماء والدعاة وقادة الرأي في بلادي تأمل طروحاتها عبر قراءة سمتُها الإنصاف والعدل ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ ولست بزاعم بأن كل ما طرحته د. عزيزة هو الحق، بيد أني أجزم يقينا بأن ما قالته فيه الكثير من المطالبات العادلة المنبثقة من رؤى شرعية، والتي تحتاج منا كمجتمع إلى التفكير في هذه المسائل بروح ودودة وحسن نية، ووضعه تحت مجهر الشرع بمدارسه المتعددة، منتبهين إلى التغييرات الحادة التي تتتالى علينا، وليكن التغيير الذي نريد - إن كان ثمة - بذائقتنا الشرعية وروحنا المتسامحة، لأن ذلك خير لنا ألف مرة من أن يفرضها قسراً الغربي الجاثم في خاصرتنا الشمالية..

أختتم بهمسة لكل الأخوة الذين استاءوا من هذه المكاشفات، بأن كاتب السطور يتفهم تماماً استياءكم، ويزعم أن ما بادر إليه هو اجتهاد شخصي، دافعه حب يسكن

جوارحه لوطنه وهويته وثقافته التي تنطلق من قيم الأرض التي نحيا، ويزعم أخرى أنه ملمّ بشيء من هذا الحراك الاجتماعي والذي يخشى على تماسك مجتمعه من أن يندس من لا يريد الخير له، أو أن ينحو تجاه مآلات تدمي قلب أي غيور لدينه، ودعونا أيها الأحبة نقشع عن عيوننا تلك الحجب، فليس عيبا أن نصحح ونتراجع عن أية مواقف خاطئة، فذلك ديننا وهو الذي يدعو إلى ذلك..

**ختاما..** أتجه بشكري للدكتورة الفاضلة عزيزة المانع على ما أكرمتني به من من إجابات صريحة، متوسماً من كتّابنا الكرام وقرائنا الأحبة إيلاء ما طرح في هذه المكاشفات حيزاً من كتاباتهم عبر زواياهم الصحافية أو مداخلاتهم الخاصة متمنياً سطوراً هادفة وحادبة، لنثري عبر الحوار هاته الموضوعات عمقا ورسوخا..

***عبدالعزيز قاسم***

*****

**من وحي أجواء الحوار الوطني الذي ينادي به قادتنا واهتمام شخصي من لدن سمو الأمير عبدالله، سأفتح معك وربما لأول مرة قضية قيادة المرأة للسيارة، سنسجل ذلك كتوثيق تأريخي للأجيال، المسيرة الشهيرة التي قمتم بها في أوائل التسعينيات، كيف بدأت فكرتها؟**

* جاء الموضوع عفويا دون تخطيط، وأذكر أن إحدى صديقاتي أخبرتني أنها عرفت أن مجموعة من النساء ينوين الإقدام على قيادة سياراتهن بأنفسهن وسألتني إن كنت أقبل الاشتراك معهن، فوافقت على الفور. وفي ذلك الوقت لم يكن هناك قانون يحظر على النساء قيادة السيارات، وكان الحظر أمراً عرفياً بين الناس، فأردنا أن نقضي على ذلك العرف، ورأينا أن كل ما نحتاج إليه هو أن نبدأ بتعليق الجرس.

بعد ذلك بأسبوعين أو أقل، اتصلت بي تلك الصديقة وذكرت أن مكان الانطلاق سيكون من موقف السيارات عند أسواق التميمي في طريق الملك عبدالعزيز مرورا بطريق الأمير عبدالله ثم شارع العليا فشارع العروبة ثم مرة أخرى إلى طريق الملك عبدالعزيز. كان عدد السيارات ١٤سيارة وعدد النساء سبع وأربعون امرأة، وقد تعمدنا أن تكون في كل سيارة أكثر من امرأة وأن تسير السيارات متقاربة لتحقيق نوع من الأمن النفسي، ولتحقيق الغاية من الخروج وهي أن يتقبل الناس رؤية نساء يقدن السيارات.

**عفوا لمقاطعتك، ولكن دكتورة هل كنتن كلكن ممن درسن في أمريكا وحصلن فيها على رخص القيادة؟**

* لا أدري، ولكن من المؤكد أن كل سائقة كانت تحمل معها رخصة قيادة، فقد توقعنا أن توجه إلينا تهمة القيادة بدون رخصة.

**وكيف تم إيقافكن؟**

* أذكر أن الوقت كان عصراً، والطريق خالياً نوعاً ما، فأتممنا الجولة الأولى دون أن يشعر بنا أحد، فقمنا بجولة ثانية على نفس الخط المتفق عليه، وعند عودتي إلى طريق الملك عبدالعزيز رأيت صف السيارات النسائية التي سبقتني وقد أوقفت إلى جانب الطريق وأحاط بها بعض سيارات المرور والهيئة، فسألت زميلتي في السيارة حصة آل الشيخ: ما رأيك يا حصة، هل نواصل السير أم نتوقف مع الموقوفات؟ فكان رأيها أن نقف معهن، فتوجهت بالسيارة ووقفت في صف السيارات الواقفة. كان بإمكاني العودة إلى البيت فلم يوقفني أحد، لكني لم أفعل، لأني كنت وما زلت لا أرى نفسي أمارس خطأ أتنصل منه، فأنا لم أرتكب محرماً، ولم أعص قانونًا تفرضه الدولة.

**وماذا حدث بعد ذلك؟**

* بعد دقائق من إيقافنا طلب منا التحرك بالسيارات للوقوف في مكان آخر، فقدنا سياراتنا تشق لنا الطريق سيارات المرور إلى أن وصلنا مكاناً خالياً، فطلب منا التوقف عنده. وهناك أمرنا بالتخلي عن مقعد القيادة والجلوس في المقعد الخلفي وتولى قيادة كل سيارة شرطي ركب إلى جانبه رجل من الهيئة، ثم قيدت السيارات ونحن في داخلها إلى مركز شرطة العليا.

كان رجال الشرطة بلا استثناء مهذبين في التعامل معنا، أما رجال الهيئة فقد تفاوتوا في سلوكهم، وكانت تجربة راكبات كل سيارة تختلف عن الأخرى، فبعضهن ذكرن أنهن اضطررن طيلة الطريق إلى سماع أقذع الشتائم والصفات تصب عليهن من الرجل الراكب معهن، وبعضهن ذكرن عكس ذلك. وبعد أن وصلنا إلى مركز الشرطة جمعنا في غرفة صغيرة لا تتجاوز مساحتها ١٢متراً، وكنا سبعا وأربعين امرأة، ثم بدأ استدعاؤنا للتحقيق، وبقينا في ذلك المكان إلى فجر اليوم التالي حيث طلب منا كتابة تعهد بعدم قيادة السيارة أو الركوب في سيارة تقودها امرأة، وبعدها تمّ صرفنا.

في صباح ذلك اليوم ذهبت إلى الجامعة وأعطيت محاضراتي كالعادة، وكان الجو العام هادئاً وطبيعياً، لكن في اليوم التالي زارتني في مكتبي مجموعة صغيرة من الطالبات وقلن إنهن يردن مناقشتي في أمر (السواقة) فاستقبلتهن وتحدثنا سويا حول الموضوع، وشعرت أنهن أقرب إلى فهم الأمر وتقبله أكثر من رفضه. وفي مساء ذلك اليوم نفسه هاتفتني عميدة مركز الدراسات الجامعية للبنات آنذاك، الدكتورة خيرية السقاف وذكرت أن المدير طلب منها أن تخبرنا بعدم الحضور إلى الجامعة إلى إشعار آخر. بعد تلك المحادثة انقطعت صلتنا بالجامعة لكن الأخبار لم تنقطع، فقد قيل إن هناك من يحرض الطالبات في الجامعة ضد السائقات ويدفع بهن إلى إثارة الشغب في مركز الدراسات احتجاجاً على ما حدث.

كان شغب أولئك الطالبات جزءاً من شغب أكبر عم المجتمع كله، فقد أصيب بعض الناس آنذاك بسعار تكفيري للسائقات وأقاربهن ومن يؤيدهن، بل لكل من لا يجرمهن، حتى كاد لا يبقى مسجد في الرياض وغيرها من مدن المملكة إلا وقد اكتظ بالمطبوعات وأشرطة الكاسيت والخطب التي تكفر تلك النساء وتخوض في شرفهن وعفتهن زوراً وبهتاناً، بل وتستعدي الآخرين عليهن وتهدر دمهن ودم أقاربهن الذكور.

كان واضحاً أن هناك من هو مستفيد من إيقاد تلك الفتنة التي تدثرت برداء من الحرص على حماية الدين والأخلاق لتخفي في باطنها أغراضاً أخرى غير ذلك.

**كم كانت مدة إيقافكن عن العمل؟**

* بقينا مفصولات سنتين وثمانية أشهر.

**كيف تقبلت الأمر؟**

* رغم أن الفصل من العمل كان قاسياً، إلا أني تعودت أن أجتهد في التكيف مع المواقف التي لا أستطيع تغييرها. وفي الشهور الأولى استسلمت لشيء من الركود طلباً للراحة واستعادة التوازن النفسي، فقد كنت حاملاً بابني رواح وكنا جميعا مرهقات نفسيا من الحملة الظالمة التي شنت علينا، فكان لا بد لنا من فترة نقاهة تريحنا. بعد ذلك أنجبت أصغر أولادي رواح عام ١٩٩١ وأظنه كان محظوظاً أنه ولد في تلك الفترة التي كنت فيها مفصولة من العمل فقد جعلني ذلك أتفرغ تماماً للاعتناء به. إلا أني رغم فرحي وانشغالي بمولودي الصغير كنت أشعر بقدر كبير من الفراغ النفسي، فقد اعتدت منذ الصغر أن أكون منتجة دائماً، وبقائي في البيت مقتصرة على إدارة شئون الأسرة لم يملأ لدي ذلك الفراغ، فمضيت أشغل نفسي بإعداد بعض الدراسات التربوية في مجال تخصصي واستطعت خلال تلك الفترة أن أنشر بعض الأبحاث العلمية التي ساعدني نشرها آنذاك في الحصول على الترقية إلى درجة أستاذ مشارك بعد عودتي إلى العمل. ثم خطر لي أن أجرب مخاطبة الناس عبر الصحافة إن لم أستطع مخاطبتهم عبر قاعات المحاضرات، فكتبت في صحيفة اليمامة زاوية أسبوعية أظن اسمها (هواجس)، ثم عرض علي الكتابة في عكاظ ضمن زاوية أسبوعية جديدة بعنوان (صوتها) وكانت تتناوب على كتابتها مجموعة من الكاتبات، فالتزمت بالكتابة في هذه الزاوية أسبوعياً إلى جانب زاويتي في مجلة اليمامة. ومع مرور الوقت اكتشفت في نفسي أمراً كان خافياً علي، وهو أني أجد متعة نفسية في الكتابة، فتحولت إلى كتابة زاوية يومية في عكاظ وأوقفت زاويتي في اليمامة وما زلت أكتب فيها منذ تلك الأيام.

***ذكرت في بداية حديثك أن أمر اشتراكك في زمرة السائقات للسيارات كان عفويا، اسمحي لي دكتورة وأنت الأكاديمية، هل تريدينني أن أستوعب أن هذا الحدث الذي هز المجتمع من أوله لآخره والذي يحدث لأول مرة في تاريخه كان***

***نتيجة تصرف عفوي وبدون أي تخطيط.. لكأن الأمر يحتاج منك إلى إعادة نظر؟***

* لست أنت وحدك الذي تستغرب ذلك ولا تريد أن تصدقه، ففي قسم الشرطة أيضاً كانوا مصرين على أن (الأكاديميات) هن القائدات والمنظمات والمخططات، وكأنهم يرون أن الأكاديميات لا يصلحن إلا أن يكن كذلك.

***عفواً مرة أخرى، ولكنها مفاجأة جديدة أتحفتنا بها الليلة بأن..***

* عزيزة المانع، يخطط لها ولا تخطط! (قالتها ضاحكة).

***نعم، أتيت إليك في هذه المكاشفة باعتبارك العرّاب الأول لتلك المسيرة وتفاجئينني بأن الأمر مجرد اتصال هاتفي فقط، وأنك لم تتوقعي أبداً هذه الضجة، وأنك كنت واحدة من المشاركات فقط ولم تكوني ضمن المخططات للمسيرة؟***

* هذه الحقيقة، ويبدو أنها تخالف تخيلاتك وتخيلات كثيرين غيرك لذا تجد صعوبة في التصديق. وأحب أن أهمس لك بشيء، عندما أريد التخطيط لأمر ما، فسوف يكون تخطيطي لأمر أكبر من مجرد قيادة السيارة، فطموحي للنساء أكبر من ذلك بكثير. ( .... )

***- يا ساتر.. يا لطيف.. والله إنك مخيفة(مبتسماً) هل تكرميني بأسماء من شاركن في المسيرة وخططن لها؟***

* لا أعرف من خطط، ولم يهمني في يوم أن أتقصى لأعرف من هي صاحبة الاقتراح أو من تتبناه. بالنسبة لأسماء المشاركات فهن كثيرات يبلغ عددهن سبعاً وأربعين اسما بينهن أكاديميات وطبيبات ومعلمات وطالبات وربات بيوت. وقد أعلنت أسماؤهن وأسماء أزواجهن عبر ما تم توزيعه على الناس من مطبوعات وكاسيتات.

**✍ ما زلت أطمع بتوثيق شخصي منك دكتورة عن هاته الأسماء إن لم تمانعي..**

* كان من بينهن د. عاشة المانع ود. سهام الصويغ، ود. نورة أبا الخيل، ود. فوزية البكر، ود. سعاد المانع، ود. منيرة الناهض، ود. هند الناهض، ود. بدرية الناهض. ود. ألفت فودة، ود. نضال الأحمد والأستاذات مديحة العجروش، وسلطانة البكر، ومشاعل البكر، ووفاء المنيف، ومنيرة القنيبط، ومنيرة المعمر، ومنيرة الكنعان، وحصة آل الشيخ، ونورة الصويان، ونورة العذل، وفوزية العبدالكريم، ووداد السنان، وجوهرة المعجل، وحصة الغانم ونورة الغانم التي كانت هي صاحبة الفكرة وقد عقد الاجتماع الأول في بيتها وذلك حسب ما أخبرتني فيما بعد.

**✍ أؤكد لك أن عديدين ستلجمهم هذه المفاجأة، ولكن في المقابل دكتورة ونحن إزاء مفاجأتك المذهلة، أحتاج دكتورة عزيزة وأطمع منك بتفسير حول تصوير المسيرة من قبل CNN وغيرها من القنوات العالمية، وكيف تفسرين التواجد الكبير للسفارتين الأمريكية والبريطانية وقتها؟**

* أنا شخصياً لا أعرف أن أحداً من تلك السفارات كان موجوداً، ولكن على أية حال، عندما تعلن سبع وأربعون امرأة نيتهن في الخروج لقيادة سياراتهن بأنفسهن بدلاً من السائق، ويتفقن في تنفيذ ذلك على مكان معين وساعة محددة، فإن ذلك لا يكون سراً، ومن المتوقع أن يعرف به أصحاب الاختصاص الذين يقتضي عملهم أن يكونوا موجودين في مواقع الأحداث. وقد عرفت فيما بعد أن صالح العزاز، رحمه الله، كان موجوداً ضمن المصورين وأنه سجل الموكب بكاميرته فكلفه ذلك حريته شهوراً طويلة.

**✍ يدهشني كثيراً حديثك هذا يادكتورة، اعذريني.. لم أستوعب بأن الأمر تمّ بهذه العفوية، أصارحك بأن الكثيرين يظنون بأنك المخططة والمنظّرة، ولطالما ربطوا المسيرة بك؟**

* ربما هم يظنون ذلك لأنهم يعرفون عني كثرة الحديث عن حال المرأة في المجتمع واهتمامي في أن يناله شيء من الإصلاح. والناس لا يلامون على ظنهم، لكنهم يلامون عندما يتعاملون مع الظن على أنه حقيقة.

## ● انتهازية سياسية لظرف الدولة

***هنا دكتورة. ألا تعتقدين أن ما قمتن به هو نوع من الانتهازية السياسية واستغلال ميكافيلي للظرف السياسي والمجتمعي العصيب الذي كانت تمر به الدولة؟***

* الأمر كما أراه كان وليد الظروف الاجتماعية آنذاك، فخلال ذلك العام كان شبح الحرب يهدد المنطقة وقد تسبب ذلك في مغادرة بعض الخدم والسائقين للبلاد، إضافة إلى أن بعض الناس كانوا راغبين في التخلص من سائقيهم وخدمهم خوفا من أن تتكرر معهم تجربة الكويت أيام احتلال العراق له وما تعرض له بعض الكويتيين من غدر وخيانة بعض خدمهم. ويمكن القول إن مثل هذه الظروف هي ما أثارت حماس النساء لتجربة سياقة السيارة بأنفسهن بدلاً من السائقين.

***تكثر الشائعات، بطبيعة الحال، في مثل هذه الأزمات. وسؤالي للتأريخ، هل تعرضت حقا لأي نوع من الأذى خلال التوقيف؟***

* أثناء التوقيف، لا، وإنما الأذى وقع بعد ذلك، عندما انطلقت الألسن تخوض في حديث الإفك، وتتبارى في قذف السائقات بلا خوف من الله. وشعرت تلك الأيام أني قد سببت كثيرا من الحرج لإخواني ولأفراد عائلتي الذين وقع عليهم الأذى دون ذنب منهم، فأنا حين قررت الخروج لسياقة السيارة لم أستشر أحداً سوى زوجي، الذي أيدني في ذلك ووقف إلى جانبي يسندني فيما بعد.

***دعينا نتوقف عند بعض المنشورات التي وزعها معارضوكم بعد مسيرتكن، وما ستقولينه توثيق تأريخي دكتورة، فإحداها قالت بأن بعضكن ألقين بالعباءات***

***وكن يرددن بغيظ: نريد الحرية أو بعبارات قريبة من هذا. أود الاستفسار منك وأنت شاهدة على ذلك التاريخ؟***

* * من الغريب أن مثل هذا البهتان والافتراءات كان يصدر من قوم يزعمون أنهم ينكرون سياقة المرأة للسيارة حفاظا على الدين وحماية للأخلاق. فبين كل ما أطلق من منشورات لا تكاد تجد منشوراً واحداً يخلو من الكذب وتشويه الحقيقة. بل إن بعض تلك المنشورات كان لا يتورع فيها راوي الخبر من الحلف كذبا بأنه (رأى بأم عينه) السائقات (يلبسن الشورتات) أو (يرقصن في مركز الشرطة) أو ما شابه ذلك من السخف الذي غايته (تجريم) السائقات زوراً لإثارة الشغب في المجتمع.

***(مقاطعا) ولم يك ثمة قذف للحجاب والدهس عليه، وتكرار ما فعلته هدى شعراوي؟***

* أظن أن الذين شاهدوا الفيلم الوثائقي الذي بثته محطة CNN رأوا السائقات منقبات أثناء قيادتهن السيارات. فكل ما قيل في هذا الشأن مجرد أكاذيب وهي قد..

***جعلت الناس تغلي وتتوتر..***

* هذا صحيح. وكانت السائقات كبش الفداء، فقد استغل بعض أصحاب الأهداف السياسية ذلك الحدث ليجيروه لخدمة أغراضهم مستغلين اسم الدين، فصوروا قيادة المرأة للسيارة وكأنها قيادة إلى الوقوع في الرذيلة، ثم صوروا الدولة وكأنها ترعى وتحمي ذلك. ورغم أن الدولة فصلتنا من أعمالنا كنوع من التأديب، إلا أنهم تجاهلوا ذلك واستمروا في حملتهم الهجومية، حتى بلغ بهم الأمر أن تضمنت بعض منشوراتهم تعرضا لأمير الرياض نفسه مصورين الجهات الرسمية راعية للفساد، ومن الواضح أن تلك الحملة الظالمة لم تكن

صادرة عن أفراد عاديين وإنما كانت هناك قيادة تديرها وتؤججها مستغلة سذاجة الكثيرين وعاطفتهم الدينية لتوظفها فيما يخدم أغراضها السياسية.

✍ ***سأحاججك هنا دكتورة.. تقولين حول ردة الفعل الشعبية تجاه المسيرة إن بعض الفئات حاولت استغلالها وأججتها دينيا بصورة غير مبررة. ولكن سؤالي يستفسر منك عن موقف بقية الشرائح المجتمعية والتي استنكرت تلك المسيرة بدورها أيضا ولم يكن الأمر قاصراً على المتدينين فقط كما توحي إجابتك؟***

* نحن لم يزعجنا أن بعض الناس لم يتقبلوا أمر سياقة النساء للسيارات، فلكل منهم الحق في أن يقبل ما يشاء ويرفض ما يشاء مما يرى فيه خيراً أو شراً، ما أزعجنا هو التعدي علينا زوراً وبهتاناً، فما نسج عنا من قصص وأكاذيب، وما ألصق بنا من تهم وضيعة هو ما كان مؤلماً بالنسبة لنا.

من جانب آخر، من المستبعد في مثل ذلك الوضع المضطرب المليء بالغضب على السائقات ومن يؤيدهن، أن تجد من يقف مجاهراً بتأييده لهن فيعرض نفسه للأذى كما تعرضن. لهذا فإني أفترض أن المؤيدين التزموا الصمت، ومن يصمت لا يشعر بوجوده أحد. وبقي المجال خاليا لترتفع فيه الأصوات المعارضة وحدها، وحتى هذه الأصوات المعارضة، لم تكن كلها تنطلق في معارضتها من اقتناع بعدم صلاحية سياقة المرأة للسيارة، وإنما هي في بعضها كانت تعلن ذلك تزلفا وتلبسا برداء الصلاح والتقوى، الذي جُعل من يؤيد سياقة النساء عاريا منه.

✍ ***دكتورة. اسمحي لي بسؤال خاص.. الآن..، في هذا الوقت تحديدا، هل ستوافقين في ما إذا كررت الدعوة لك على المشاركة في مسيرة مماثلة؟***

* لقيادة السيارة؟

✍ ***نعم***

* لا أعتقد، فقيادة السيارة كانت باباً واحداً من أبواب كثيرة مغلقة في وجوه النساء، وقد جربنا طرق ذلك الباب، وأمامنا أبواب أخرى غيره ما زالت مغلقة في حاجة إلى أن تطرق.

## • ابتسار وحصر مخلّ

***لا أدري دكتورة.. ولكن يقال بأن المتعاطين مع قضية المرأة في السعودية اختصروا قضيتها في مسألة قيادتها للسيارات فقط. كيف تعلقين؟***

* أولا أنا لا أعرف في المجتمع جهة معينة ذات هوية محددة تعنى بقضايا المرأة ليقال عنها ذلك، وما هو موجود لا يمثل سوى آراء فردية لا يربط بين أصحابها رباط، وهم يختلفون فيما بينهم، فبعضهم يرى إصلاح وضع المرأة يتمّ بتبني المجتمع للجوانب المظهرية المتعلقة بحياة المرأة مما هو مطبق في كثير من دول العالم، وبعضهم الآخر، يهدف إلى إصلاح أبعد عمقا، هذا في داخل المملكة. أما في خارجها، فيبدو لي أن تركيز الناس على مسألة حظر قيادات السيارات على النساء ناتج من كون المملكة - حسب علمي - هي الدولة الوحيدة في العالم التي تنص قوانينها على حظر قيادة السيارات على الإناث، وهو حظر يبدو للكثيرين غير مفهوم على الإطلاق، فيثير دهشتهم ومن ثم تتصاعد التساؤلات عن الأسباب. إضافة إلى أن الأجنبي الذي يزور المملكة لا يعرف غالباً من أوضاع المجتمع سوى ما يراه ظاهراً أمام عينيه، وما يراه الأجانب بارزاً أمام أعينهم أمران: عزلة النساء وحجابهن، وحظر سياقة السيارات عليهن، فينصب اهتمامهم عليهما، أما ما كان غير ذلك من أوضاع أخرى تتعلق بالنساء فإنها عادة تكون مدفونة لا تظهر على السطح ولذلك لا يشعر بها الغريب.

***بعد تلك المسيرة وإلى الآن، لايزال هذا الأمر يثار بين الفينة والفينة ما بين معارض ومؤيد في تجاذبات إعلامية مملة، ولعلك اطلعت على ما يقوله***

***معارضو الفكرة وتبريراتهم الشرعية والاجتماعية وغيرها، أريد منك وأنت في هذه السن، وهناك بون شاسع بين الدكتورة عزيزة المانع التي أتت من الولايات المتحدة والدكتورة التي أمامي.. بعد كل هذه السنين.. ما الذي خرجت به من تلك التجربة؟***

* أولا أريد أن أزيح من ذهنك تصورا لاحظته منك، وهو أنك تفترض أني أول عودتي من أمريكا كنت متأثرة بالحياة هناك. وهذا التصور غير صحيح، فلست مغرمة بالنموذج الأمريكي أو الأوروبي، سواء للمرأة أو للحياة في المجتمع بشكل عام. إلا أن هناك بعض المبادئ العامة التي تطبق في الغرب وتؤسس عليها الحياة الاجتماعية تعجبني، ومنها الإقرار بأن للمرأة سنا تبلغ فيه الرشد لا ينبغي بعدها أن يوضع عليها وصيّ يملي أفكاره ورغباته، ويقود خطاها وفق ما يحب هو لا هي. وهذا المبدأ تتعلق به أمور أخرى كثيرة تتصل بأهلية المرأة وكفاءتها.

ولعل من أسوأ ما يشيع في مجتمعنا النظر إلى المرأة على أنها عرضة للانحراف، لا يمنعها من الوقوع في ذلك سوى وجود رجل يفرض رقابته عليها، فانظر إلى أي حد يساء الظن بالنساء وإلى أي حد تفقد الثقة في قدرتهن على ضبط النفس أو معرفة الخير من الشر.

وبالنسبة لموقفي من قيادة المرأة للسيارة، مازلت على نفس الرأي. وكل ما يقال من أن سياقة النساء ستؤدي إلى فساد في المجتمع، يبدو لي غير مقبول، فالمرأة حين تقود سيارتها هي لا تفعل شيئاً يختلف كثيراً عما يحدث الآن، فكل ما سيحدث هو أنها ستنتقل من المقعد الخلفي الذي تجلس فيه وراء سائق أجنبي عنها، لتجلس في المقعد الأمامي وتدير بنفسها دفة القيادة، فمعظم النساء حالياً يخرجن بالسيارات منفردات إلا من صحبة سائق أجنبي عنهن. ولا أظن ان وجود ذلك السائق هو الذي يحمي الأخلاق ويحول دون الفساد؟

✍ ***أنا سعيد دكتورة برأيك حيال موقفك من نمط الحياة الغربي الذي وقع فيه الكثيرون، وأشكرك على هذا الإيضاح المهم. وأستكمل معك سؤالاتي: ذكرت أنكن أوقفتن عن العمل، هل كانت تصرف رواتبكن خلال فترة الإيقاف؟***

* صرفت لنا رواتب عامين.

✍ ***هذا مما يحسب للدولة ولاشك، لأن زملاءكن ممن تقدموا بمذكرة النصيحة في جامعة الملك سعود أوقفت رواتبهم بعد أن فصلوا، ويتلوى الدكتور محسن العواجي غيظا من سبب صرفها وإيقافها عنهم، كيف تعلقين؟***

* هذا يعود إلى المسؤولين، لكن من وجهة نظري، نحن لم نفعل ما يستحق العقاب، فنحن لم نرتكب محرماً، ولم نخالف قانوناً، (قانون حظر القيادة على النساء لم يصدر إلا بعد ذلك)، ولم نؤذ أحداً، فما هو الذنب؟ على أية حال، أبلغ الدكتور العواجي عسى أن يخف غيظه، أننا حرمنا من رواتب ثمانية أشهر ومن خدمة عامين مع العلاوة.

✍ ***يادكتورة الحمد لله، كما في مثلنا الحجازي (ريحة أبو علي ولا عدمه)، ولكن كيف رجعتن للعمل؟***

* طوال فترة إيقافنا لم نفقد الأمل في العودة إلى العمل، لذلك أخذنا نتصل بالمسؤولين نطلب إعادتنا واستمررنا في تكرار الطلب إلى أن استجيب لنا.

✍ ***ألم تطرح آنذاك فكرة اللجوء إلى منظمات خارجية كمنظمة حقوق الإنسان مثلا التي أصبحت تهتبل أية فرصة لدس أنفها في هكذا موضوعات محلية؟***

* لا. فقد كنا مقتنعات أن ذلك لن يعيدنا إلى أعمالنا.

## ● المرأة السعودية: الملف الشائك

✍ ***دعيني أفتح معك الآن ملف المرأة السعودية، وأنت من المشتغلات بهذه القضية منذ فترة مراهقتك، هل ترين أن الواقع الذي تعيش فيه المرأة السعودية حالياً فيه نوع من الظلم الاجتماعي؟***

* (بحرقة) كثير.

✍ ***يا ساتر.. إذن لنأخذها نقطة نقطة. هل تتفضلين وتوضحين لنا الظلم الاجتماعي من أين أتى؟ هل هو من الأعراف المجتمعية المطبقة في الواقع، أم من الثقافة الدينية السائدة بما يقول به البعض، أم إنه آت من النظام السياسي مثلاً؟***

* أتصور أنه آتٍ من كل ذلك. فالعرف الاجتماعي غالبا ما يشيع وينتشر بين الناس متلبسا بلباس ديني، ثم يأتي القرار السياسي ليدعمه فيزداد ثباتاً وعمقاً. وإلا كيف لنا أن نفهم أن تشترط الجامعات لقبول الطالبات للدراسة العليا في مرحلة الماجستير والدكتوراة إحضار ورقة بموافقة ولي الأمر؟ وهذا مثال واحد فقط من أمثلة كثيرة مشابهة.

✍ ***عفوا دكتورة. ربما يتكئون على ولاية الرجل للمرأة؟***

* أي ولاية يا أخي؟ في الفقه الإسلامي لا يطلب (الولي الشرعي) إلا في عقد النكاح، أما ما عداه فالمرأة ليست في حاجة إلى ولي (تؤخذ موافقته) على ما تقوم به من بيع وشراء أو طلب علم أو ممارسة مهنة أو غير ذلك من أمور الحياة. إن اشتراط موافقة الولي كلما سعت المرأة إلى قضاء حاجة من حاجاتها هو إنكار لاستقلاليتها التي أقرها لها الشرع، ففي الفقه الإسلامي ليست المرأة ملزمة بالحصول على موافقة الزوج أو غيره من المحارم كي تبيع ما تملكه أو تشتري شيئا تحتاج إليه أو ما شابه ذلك. فالنظام الذي يجعل موافقة (الولي الشرعي) شرطاً أساسياً لمنح المرأة بطاقة أحوال أو استخراج جواز سفر أو الالتحاق بالجامعة أو السفر إلى خارج المملكة أو ما شابه ذلك هو يدعم العرف الاجتماعي، الذي يميل إلى ربط شئون المرأة بالرجل.

✍ ***أما بالنسبة للولاية، فهذا مبحث شرعي لا أتدخل فيه ولا يحق لي أن أتجادل معك بشأنه، وربما مطالعو هذه المكاشفات من الشرعيين يكرموننا برؤيتهم. ولكننا***

***تعرضنا للتو إلى مسألة العرف الاجتماعي. السؤال دكتورة: هل الواقع المطبق على المرأة هو جملة من الأعراف القبلية العشائرية المتوارثة - بما يزعمه بعض المشتغلين بقضية المرأة - ألبست لبوس الإسلام.. هل توافقين على هذا الكلام؟***

* في بعض منها هي كذلك. كما أن بينها ما قد يكون منبثقاً من رؤية اجتهادية لبعض الفقهاء، تكونت لديهم نتيجة اجتهاداتهم الخاصة، إلا أن الناس ألزموا أنفسهم بتلك الرؤية الاجتهادية وتعاملوا معها كما لو أنها نص شرعي لا يمكن الحياد عنه، ويتضح هذا فيما يصدره أحياناً بعض فقهائنا المعاصرين من أحكام تستند إلى ما قال به بعض (السلف) حتى وإن كان قولهم فيه مخالفة للمنطق أو العدل ولا يستند إلى نص ثابت من القرآن الكريم أو السنة، فمثلاً في الأسبوع الماضي أثيرت ضجة حول ما ذكره الشيخ عبدالله الجبرين حين سئل في مجلة اليمامة إن كان يجب على الزوج الإنفاق على علاج زوجته عندما تمرض؟ فكان رده أن الزوج غير ملزم بذلك، وإن إنفاقه على علاجها هو من باب كرم الخلق والرحمة فيما بينهما، لكنه ليس واجبا عليه يكلف به. فهذا الحكم الفقهي بعدم إلزام الزوج بعلاج الزوجة ليس موجوداً في نص التشريع الإسلامي، و إنما هو حكم اجتهادي من بعض الفقهاء، فما جاء به النص الشرعي هو وجوب نفقة الزوجة على الزوج بشكل عام دون تفصيل. أما تحديد ما يدخل وما لا يدخل في النفقة فإنه مما جاءت به اجتهادات الفقهاء وتصنيفهم لذلك بما يمليه عليهم تفكيرهم وثقافتهم وبيئتهم.

***وربما أيضا الفترة الزمنية التي يعيشون فيها؟***

* بالتأكيد، فالفقيه الذي يجتهد ليصدر حكماً معيناً بناءً على المؤثرات المعاصرة التي يعيشها، من المحتمل جداً أنه لو عاش في عصر غير عصره لأصدر حكماً مختلفاً، وهذا ما يجعلني أقول إن بعض الأحكام الاجتهادية تتمثل فيها رؤية الفقيه الخاصة التي يدخل فيها تأثره بالعرف الاجتماعي ونمط الحياة السائد في عصره إلى جانب ما لديه من العلم الشرعي واللغوي.

**لعلي أستشف من حديثك بأنك تطالبين بإعادة النظر في الخطاب الفقهي وضرورة تجديده بناء على المستجدات؟**

* ليس فقط بناء على المستجدات، بل أيضاً بناء على العدل والإنصاف، فبعض ما تحويه كتب الفقه ينظر إلى القضايا ذات الصلة بالنساء من منظور الرجل وحده ولا يتنبه إلى ما قد يقع على النساء من ضرر، فمثلاً الفقهاء الذين يجيزون للرجل الزواج بنية الطلاق، هم ينظرون إلى مصلحة الرجل في أن يحصن نفسه متى اضطر إلى ذلك فلا يقع في الحرام، لكنهم لم يعنهم في شيء ما يقع على المرأة من ضرر حين تخدع فتتزوج رجلاً تعتقد أنها ستمضي حياتها معه بينما هو يكتم في نفسه أمر تطليقها بمجرد انتهاء حاجته إليها.

وأظن أن هذا أمر متوقع حدوثه طالما أن النساء بعيدات عن المشاركة في وضع الأحكام، فالرجل مهما بلغ من علمه وحرصه لا يمكن أن يكون حاضراً في ذهنه دائما المنظور النسائي، وهذا ما يجعلني أرى أمر دخول النساء إلى عالم الفقه من الضرورات التي تقتضيها الحاجة والمصلحة العامة.

**هل تقصدين أن يكنّ فقيهات؟**

* ليس فقيهات فقط، وإنما أيضاً مشاركات في مراجعة الأحكام الفقهية التي يظهر فيها إجحاف بالمرأة كالمثالين السابقين المتعلقين بالنفقة على علاج الزوجة والزواج بنية الطلاق وغيرهما.

## ● الصحوة المحلية وقضية المرأة

**بودي سؤالك هنا طالما نحن نتصدى لأحوال المرأة. هل ترين أن التيار الديني والصحوة الإسلامية بشكل أكثر تحديداً التي هبت على المجتمع خلال العشرين عاماً الماضية قصّرت في حق المرأة؟**

* قصرت في حق المرأة؟ بل قل ما الذي فعلته من أجل المرأة؟ في تصوري هي لم تفعل أي شيء إيجابي للمرأة، فالمرأة يتكرر وقوع الظلم عليها داخل الأسرة وخارجها، لكن تلك الصحوة ترى ذلك وتصمت عنه، هي تشغل نفسها بشيء آخر لا ينفع المرأة، فهي تنشغل بنقد أوضاع المرأة الغربية وما تتعرض له من استغلال وابتذال، وتظن أن نقدها لوضع المرأة الغربية يصلح وضع المرأة المسلمة، ولا أدري كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ فالمرأة في مجتمعنا لا تعاني نفس المشكلات التي تعانيها المرأة في الغرب، المرأة في مجتمعنا لا تعاني من مشكلة الاختلاط بالرجال، ولا هي تبتذل في الإعلانات، ولا هي معروضة في الطرقات حاسرة الرأس متكشفة البدن، المرأة في مجتمعنا تعاني من مشكلات أخرى مختلفة تماما، فهي تعاني من ظلم الأب الذي بإمكانه أن يعضلها من الزواج أو يرغمها على زواج لا ترغب فيه، ومن ظلم الزوج الذي يهجرها أو يؤذيها بالضرب أو الحبس أو يبتز مالها، ومن ظلم الأخوان الذين أحيانا يحرمونها من الإرث ويستأثرون به دونها، وغير ذلك من صور الظلم الذي يقع على المرأة ولا تجد من يعينها على رفعه عنها. وقد يقال إن المرأة بإمكانها أن تشتكي ولو أنها اشتكت لأنصفتها المحكمة. لكنه قول نظري يصعب تطبيقه في الواقع، فكيف ستذهب المرأة إلى المحكمة في وسط هذه القيود الاجتماعية المفروضة حولها؟ ولو ذهبت واشتكت، هل يمكنها العودة بعد ذلك لتعيش تحت سقف واحد مع أبيها أو زوجها الذي اشتكته؟ وهل هناك من يحميها إن هو انتقم منها بمزيد من التعذيب والإيذاء؟ فالنساء في حاجة إلى تنظيمات واضحة محددة تحفظ لهن حقوقهن بيسر وسهولة ولا تضطرهن إلى الوقوع في مصادمات مباشرة مع الأب أو الزوج أو غيره من المحارم المقربين، لكن أهل الصحوة الذين تتحدث عنهم لم يعنهم لتحقيق شيء من هذا للنساء فبقيت أوضاعهن كما هي في ظلمتها تفتقر إلى قسط من نور.

✍ ***لا أدري دكتورة ولكني أشعر أنك قسوت بهذه النظرة في اتجاه واحد، وعلى كل، أنتظر من الأخوة المتداخلين مناقشتك في هذه القضية، وكي لا يستغرقنا الجدل، سأستشرف منك دوافعك من دعوتك بإيجاد مكاتب استشارات شرعية وفقهية للنساء كنوع من تعليم وتثقيف النساء بحقوقهن في النفقة والزواج..***

* كثير من النساء في المجتمع جاهلات، لكنهن يحملن في قلوبهن خشية عظيمة من الله، وهن حين يسمعن عن فضل الزوج ووجوب طاعته، يدخل في روعهن أن كل شيء من حق الزوج وأنهن لا حق لهن، فتظلم المرأة بالهجر أو حبس النفقة، أو بالضرب والإيذاء البدني والنفسي أو تحرم من حضانة الأطفال أو ما شابه ذلك، لكنها تصبر ظنا منها أن ذلك من ضمن ما جاء به الشرع، لهذا يكون وجود مكاتب استشارية فقهية هو مما يساعد أمثال هؤلاء النساء على معرفة ما لهن وما عليهن.

## ● المرأة تنتظر الرجل

✍ ***أولى مشكلات المرأة لدينا - بما يقوله البعض - أنها تنتظر من الرجل أن يقوم بإنصافها وإيلائها حقوقها بينما هي لا تفعل شيئا، ويكمل أولئك البعض بأنه إذا لم تقم المرأة بأخذ حقوقها عنوة فلن ينصفها أحد، ما هو تعليقك؟***

* أنا أؤمن تماماً أنه ما حكّ جلدك مثل ظفرك، لكن لكي تستطيع حكّ جلدك بظفرك لا بد أن يكون لك ظفر أولاً. ومشكلة النساء أنهن لا ظفر لهن، فالغالبية من النساء ما زلن يعانين الجهل وما زالت الأمية ترعى بين كثيرات منهن. والمعيار في هذا ليس سكان المدن الكبرى، وإنما سكان المملكة إجمالاً، أنظر إلى القرى والبادية والمناطق الجبلية القصية تجد الجهل والأمية هما ما يسود بين النساء. فكيف تتوقع ممن هذه صفتهن أن ينهضن من كبوتهن بمفردهن من غير عون؟ النساء في حاجة كبيرة إلى مساندة ودعم الصالحين

من الرجال، وما لم يعنهن الرجال في ذلك فإن تحقيق العدل في حياتهن سيتأخر طويلاً. ولا تنسَ أيضاً أن الرجال هم الذين يمسكون بمواقع القيادة في البيت وفي المجتمع، وهم الذين يصدرون القرارات في كليهما.

كما أني لست معك في أن إصلاح وضع المرأة ينبغي أن يتم (عنوة)، فنحن ننتظر من الصالحين من الرجال التعاون والإقرار بحاجة النساء إلى إصلاح أوضاعهن، فالغاية هي طلب الخير والسعادة لهذا المجتمع بجنسيه الرجال والنساء، وليس الغاية إثارة الشغب بين الطرفين.

✍ ***سأستأذنك في تحديد هؤلاء الصالحين من وجهة نظري. ألست معي بأن الرجال الذين يمكنهم فعل هذا واختصار الزمن على المرأة هم فئة المشايخ والعلماء والدعاة. عن طريقهم تستطيع المرأة - إذا كان لديهم شيء من الاستنارة عن حقوق المرأة - أن تنال حقوقها لأن المجتمع يطمئن، عادة، إلى رموزه الدينية والتجارب السابقة أثبتت أنهم الأكثر تأثيرا والمجتمع ينقاد لهم؟***

* هذا (عز الطلب) كما يقال. ولكن متى توجد تلك الاستنارة التي تشير إليها؟ إن معظم تلك الفئات لاتزال تبدو في خطابها متشبعة بالفكر التقليدي الذي يرى في المرأة قصورا يقتضي حاجتها الدائمة إلى وصاية. حيث وظف أولئك التقليديون مفهوم (القوامة) التي جاء ذكرها في القرآن توظيفاً أخرجها من مفهوم تكليف الرجل برعاية المرأة والإنفاق عليها إلى (رقابة ووصاية)، لتظل المرأة وفقا لهذا المفهوم (قاصراً) مهما بلغت من السن أو العلم والمعرفة. وهو مفهوم يجرد المرأة من قدرتها على حسن التصرف وعلى الحكم الجيد على الأشياء، أو على ضبط النفس، فتبدو بذلك غير أهل للتخاطب معها خطاباً عقلياً مما يقتضي إسناد قيادها إلى رجل تدار أمورها من خلاله.

وطالما أن هذا المفهوم يمثل جوهر نظرة التقليدين إلى المرأة فإنه من المستبعد أن يسهموا في تغيير شيء مما تشكو النساء منه، لأن معظمه يرتبط بهذا المفهوم.

***دعيني أخالف نظرتك الموغلة في التشاؤم هذه، وأزعم أن ثمة جيلاً به كثير من الاستنارة والوسطية بزغ من التيار السلفي الموجود، وبالذات في منطقتكم في نجد، فضلاً عن رموز صحوية تفهمت في طورها الاعتدالي كثيراً من مطالب المرأة وحقوقها. ما يستدعيني لسؤالك: هل كان بينك وبين هؤلاء الوسطيين أي نوع من التواصل؟***

* أظن التواصل موجوداً من خلال الندوات وما ينشر في الصحف، ويعرف هذا المتابعون. إلا أنه ليس كل المعتدلين معنيين بشأن المرأة ليجعلوه من أولوياتهم، كما أن ليس كل من زعم الاعتدال هو معتدل بالفعل، فبعض الناس يفضل مجاراة التيار العام القوى كنوع من المناورة، والتيار العام هذه الأيام في صالح الاعتدال، لهذا يكثر رافعو ذلك الشعار ظاهرياً، وإن كانوا في أعماقهم لم يتزحزحوا شعرة عما يؤمنون به من فكر مغالٍ، ويمكنك أن تكشف ذلك من خلال ما يبدر منهم من تناقض في القول أو الفهم لبعض الأمور. إضافة إلى هذا هناك كثير من المعتدلين الذين تشير إليهم ما زالوا غير قادرين على الفكاك من شباك المفاهيم التقليدية فيما يتصل بالنساء وقضاياهن، وأذكر أن الأستاذ علي المحمود أشار إلى شيء من هذا في أحد مقالاته (الساخنة) التي ينشرها في صحيفة الرياض، عندما ذكر أنه حتى (المستنيرين) من الرجال عندما يتحدثون عن قضايا المرأة يكون تناولهم لها على أنها ثانوية الأهمية تأتي بعد قضايا الرجال (الأهم) وضرب لذلك مثلاً بما يقال غالباً عند معالجة قضية بطالة النساء: "وهل قضينا على بطالة الرجل حتى نقضي على بطالة المرأة"؟ فحتى من تراهم معتدلين ما زال بينهم من تتسم نظرته إلى المرأة بالوقوع في قبضة المفاهيم التقليدية المتوارثة.

أخيراً لا تنس أن القلة المعتدلة في موقفها من قضايا المرأة، تكون عادة موضع هجوم ومعاداة من غيرهم، وغالباً ما يتم إقصاؤهم وعزلهم، وهو ما يضعف دورهم في الإصلاح.

✍ ***من جهة أخرى دكتورة، يلاحظ أن جملة ممن كانوا يتعاطون قضية المرأة وإعادة حقوقها، كانوا يتعاطونه بعيداً عن المعطيات الإسلامية، نشهد في الآونة الأخيرة أن لهجتهم بدأت تجنح نحو الشريعة في هذه القضية بالذات، هل وجد هؤلاء فعلاً أن الطريق إلى إقناع المجتمع بحقوق المرأة لا بد أن يمر عبر الشرعي؟ أم أن عامل السن له دور في هذا التحول؟ أم أنها صدمة الحادي عشر من سبتمبر؟***

* ألاحظ أن سؤالك فيه إبهام. ولو أنك ذكرت لي أسماء بعينها لسهلت علي الإجابة. فأنا الآن لا يطوف بذهني اسم معين أستطيع أن أتخذه مثلا، فإن كان ما تذكره حقاً، فإنه ظاهرة حميدة تدل على قوة تأثير الدين في هذه المرحلة في تسيير حياة الناس.

وتفسيري للأمر هو أن التغير سنة الحياة، وأفكار الناس تخضع لتلك السنة، وقد مرت بالمجتمع العربي خلال القرن الماضي تيارات فكرية مختلفة منها الصالح ومنها ما هو غير ذلك، وكانت قضية المرأة لها نصيب كبير في تلك التيارات، فخلال الستينيات والسبعينيات وما قبلهما كان الناس متأثرين في نظرتهم إلى المرأة بما كان سائداً آنذاك من فلسفات وأفكار مثل الفلسفة الوجودية التي كانت تقوم على رفض وضع ضوابط على سلوك الفرد، أو مثل الشيوعية التي تركز اهتمامها على الجوانب المادية في الحياة، فتبع ذلك إغفال تام للجانب الروحي والأخلاقي. ثم ظهرت التيارات المغالية في التدين، فصب المغالون جام حرصهم على تقييد المرأة وعزلها، وهم لا يرون في سلوكهم ذاك إساءة إلى المرأة وإنما هم يرون أنفسهم يحافظون على القيم والأخلاق،

ويصونون المجتمع من الفساد، وربما يكون ذلك بفعل ما ساد المجتمعات من ابتعاد عن الدين في تلك المرحلة من التاريخ. وفي أيامنا هذه أرى الناس يمرون بتيار الدعوة إلى الاعتدال والتوسط، ومن المتوقع أن يمس ذلك موقفهم من قضايا المرأة.

***دعيني أطرح اسم الدكتورة عزيزة المانع وغيرها ممن أخذت كتاباتهم، تجنح نحو الأسلمة، بما يقول به الكثيرون، وأن أهدافهم لم تتغير بل تراجعت لغتهم، هل هذا تراجع تكتيكي أم مجاملة للتيار الإسلامي الضاغط؟***

* أشعر من سؤالك يا أخي عبدالعزيز، أنك لم تطلع على ما كتبته من قبل، ورغم أن تاريخي في الكتابة قصير، إلا أنك لو اطلعت على ما كتبته سابقاً وما أكتبه حالياً لما وجدت فرقا يذكر في الخطاب أو في الفكر، وذلك لسبب بسيط هو أني وأنا أكتب لا أفكر إن كان سيرضى عني فلان أو فلان، فما يهمني هو أن أقول ما أؤمن بصوابه، وأن أحسن التعبير عنه. ولو كنت أريد أن أجامل أحداً لفعلت ذلك أيام كان ضغط التيار الإسلامي المتشدد في أوج فتوته، وليس الآن وهو يمر بمرحلة الشيخوخة.

***أدلل على ما ذكرت وأضرب مثلا وقع في أوج الهجمة على المناهج، حيث كانت الكثير من كتابات الليبراليين السعوديين تنال بقوة منها، انبرت الدكتورة عزيزة المانع ودافعت بموضوعية ومنهج ربما لم يعهد عنها من قبل؟***

* دفاعي عن المناهج منبثق من إيماني بأنها ليست السبب في خلق روح العداء لدى الشباب ضد الآخرين، وليست السبب في إيقاد شعلة الغلو في صدور الناشئة. فأنا أظن أن المتسبب في ذلك هو (المنهج الخفي) الذي كان يمرر إلى عقول الطلاب والطالبات ضمنا على أيدي بعض غلاة المعلمين، وكذلك في (المنهج الإضافي) الذي كان يتلقاه الناس خارج المدرسة وليس داخلها، فقد اكتظت المساجد والمكتبات والمعسكرات بذلك المنهج المحمل بالغلو والعدائية، فتسبب في خلق فكر مشوه لدى الفتيان والفتيات ليودي بهم فيما بعد.

لكن هذا الدفاع عن المنهج وتبرئته من تلك التهمة المنسوبة إليه، لا يعني أني أراه صالحاً بأكمله، فمن المؤكد أنه في حاجة إلى مراجعة وتنقيح وتعديل، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يتم وفق رؤية أجنبية عنا، وإنما يجب أن يكون الإصلاح منبثقاً من الداخل من خلال ما نراه نحن نافعاً لنا وملبياً لاحتياجاتنا وغاياتنا. فالذين يطالبوننا بتغيير المناهج، من خارج المجتمع، لا يهمهم في شيء أن نغيرها إلى ما يصلح مجتمعنا أو يحقق احتياجاته، وإنما همهم أن لا يكون في مناهجنا ما يسيء إليهم فحسب.

أما قولك إن كتابتي عن المناهج كانت بموضوعية لم تُعهد فيّ من قبل، فأحيلك إلى مقالاتي السابقة ليكون حكمك أكثر دقة. وما أظنه هو أن الذين يرون أني كتبت عن المناهج أو غيرها بموضوعية (لم تعهد في من قبل)، هم يرون ذلك، لأن كتابتي عن المناهج كانت تتفق معهم في التوجه ولا تتصل بقضية المرأة التي يختلفون معي حولها، فسهل عليهم رؤية الموضوعية فيها. أما حين تكون كتابتي في أمور أخرى يختلفون معي حولها فإنه يصعب عليهم رؤية الموضوعية في ما كتبت.

✍ ***لا شك أن الموضوعية التي تميزت بها شيء يفرحنا، والأكثر كونك بهذه الأصالة التي كتبت فيها عن المناهج.***

* أشكرك على هذه المشاعر.

## ● صدمة ١١ سبتمبر

✍ ***دعيني أسحب السؤال إلى وجهته الأخرى الأكثر عمومية ربما. بعضا ممن كانوا يصنفون بأن أفكارهم وهواهم مع الغرب، صدمتهم أحداث ١١سبتمبر وما يفعله الأمريكي بالعالم وبطريقة الكاوبوي ضارباً بقيمه الديموقراطية عرض الحائط. فأفاقوا من وهم مكثوا عليه دهورا، وأضحت كتاباتهم أكثر محافظة والتزاماً، وبدأوا يتعاطون بعض القضايا الإسلامية بروح إيجابية. هل تشعرين بذلك بشكل عام؟***

* السياسة الأمريكية القائمة الآن ليست جديدة في اتجاهاتها، وأطماع أمريكا الإمبريالية ليست وليدة أحداث ١١ سبتمبر، كما أن تجاوز أمريكا لقيم الديموقراطية والحرية متى اقتضت مصلحتها ذلك له سوابق عدة في التاريخ الأمريكي، لهذا فأنا أستبعد أن من هواهم مع أمريكا (كما تصفهم) صدموا بسياستها الحالية، أو أنهم تبدى لهم منها وجه آخر غير الذي يعرفونه عنها. وما أراه غير ذلك، فحادثة ١١سبتمبر زادت من تشبث البعض بأمريكا، حتى كاد بعضهم أن يكون أمريكياً أكثر من الأمريكيين أنفسهم في درجة الولاء والمسايرة لكل ما تفعله أمريكا. وانظر إلى ما يكتبه عبدالرحمن الراشد أو أحمد الربعي لترى كيف أن تأثير ١١سبتمبر كان له عليهما أثر مختلف عما تقول.

***سأحاججك بغازي القصيبي؟ ألا تلاحظين أنه تغير في الفترة الأخيرة؟ أم أنك ترجعين ذلك لعامل السن الذي يجفل منه؟***

* أخشى أن يكون الحكم بالتغير على الدكتور غازي القصيبي مبنياً على غير علم، كما بني الحكم السابق علي. فأنا شخصياً لا أستطيع تبين تغير في فكر أو أحكام الدكتور غازي في هذه الآونة عما كان عليه قبل بضع سنوات. كما أن المنصب الرسمي الذي يمثله المفكر، يلزمه بالتحفظ عند التصريح بآرائه، لأن الناس غالباً يخلطون بين رأيه الخاص والمنصب الذي يمثله.

## ● تحديد المشكلة بأولوياتها

***دعيني أَعُدْ إلى مشكلة المرأة. هذه الأصوات الصارخة الباكية عن قضاياها، وأنت قلت بكثرتها. بودي هنا دكتورة تحديد القضايا الأكثر إلحاحاً للمرأة في السعودية والتي تشعرين بهضم لحقوقها وظلم واقع كما أسلفت عليها؟***

* هناك ثلاث قضايا تبدو ملحة فيما يتعلق بوضع المرأة أولها:

الظلم الذي يقع على المرأة وغمط الحق، وهو يأتي في صور مختلفة: أذكر منها صوراً ثلاثاً: ظلم ذوي القربى (الأب أو الأخوان أو الزوج أو غيرهم من ذوي

الرحم) وفيه يتم إيذاء المرأة بدنياً ونفسياً وابتزاز مالها واستغلالها لمصالح خاصة كمن يعضل قريبته من الزواج لينتفع من بقائها في بيته لترعى فرداً معاقاً في الأسرة أو تربي صغاراً لا يوجد من يربيهم أو خشية أن ينقطع عنه تحصيل راتبها الوظيفي أو غير ذلك من المصالح.

والصورة الثانية هي ظلم الأنظمة الرسمية التي تأتي أحياناً منحازة ضد المرأة بلا مبرر شرعي. كما تفعل بعض الوزارات أو المؤسسات أو الهيئات التي تميز في أنظمتها ما بين النساء والرجال. وانظر إلى ما تفعله شركة الاتصالات التي تفرض شروطاً إضافية على المرأة لا تفرض مثلها على الرجل. وانظر إلى ما يفعله صندوق التنمية العقاري الذي يحرم المرأة من الإقراض ما لم تكن مطلقة أو أرملة، بل انظر إلى المؤسسات العلمية العليا كالجامعات التي يفترض أن من فيها يمثلون النخبة المثقفة ذات الفكر المستنير، إلا أنها هي أيضا (تبرّ) الذكور من أعضائها بما تحرم منه الإناث، كما فعلت عند توزيع منح الأراضي التي حجبتها عن النساء بارة بها الرجال وحدهم.

أما الصورة الثالثة، فهي ما يتجسد في المجتمع من أعراف وتقاليد تتعامل مع المرأة على أنها مخلوق لا يحسن التفكير، وليس موضع ثقة أو أهلاً حتى لإدارة شئونها الخاصة.

***طالما حددت هذه الصور الثلاث. بودي إكمال (جميلك) وإتحافنا برؤيتك عن الحلول العملية التي تراعي الواقع الزماني والمكاني والظرف السياسي الذي تمر به الدولة والتأزمات المجتمعية المتشابكة بين نخبة المثقفة والدينية في الوضع الحالي؟***

* من المؤكد أنه لا يمكن حل كل ذلك بجرة قلم واحدة. ولكن لنبدأ عمليا باتخاذ خطوات مبدئية نحو الإصلاح، فمثلا فيما يتعلق بقضايا الظلم الأسري الذي تعاني منه النساء، هناك حاجة إلى إصلاح أنظمة المحاكم ليسهل على النساء

الوصول إليها، والتعجيل بإصدار الأحكام والإشراف الكامل على تنفيذها. فالنساء حالياً يعانين من صعوبة الوصول إلى المحكمة ومن تأخر صدور الحكم ومن عدم التنفيذ متى صدر، خاصة في أحكام النفقة أو زيارة الأطفال، فلم لا يكون هناك محاكم متخصصة في الفصل في القضايا الأسرية لتختصر الزمن وتيسر الأمر، ويكون فيها قضاة متخصصون في تلك القضايا؟ وأذكر أن الدكتور يوسف عبداللطيف الجبر اقترح مرة شيئاً من هذا كنوع من الحلول المطروحة لحفظ حق النساء في هذا الجانب.

والخطوة الثانية، مادام أنه صار لدينا هيئة لحقوق الإنسان، فلم لا تتولى حمل مسؤولية متابعة ما يوجد في المؤسسات والوزارات والهيئات الاجتماعية المختلفة من أنظمة سافرة الانحياز ضد المرأة للضغط على تلك الجهات للعودة إلى الصواب؟

أما الخطوة الثالثة، فتتصل بتطوير مضمون التعليم الذي يقع عليه العبء الأكبر في توجيه أفكار الناس، فمضمون التعليم في حاجة إلى أن ينقى مما فيه من صور مسيئة إلى النساء والتي تجعل المرأة تبدو دائماً في مكانة فكرية أدنى من الرجل. كذلك هو في حاجة إلى أن يتبنى بث قيم تقدير المرأة بين الطلاب والطالبات، وأن يعمل على محو ما هو مزروع في الأذهان من موروثات الحطّ من قدر الأنثى..

**✍ القضية الثانية يا دكتورة؟**

* تتعلق بقضية تقييد قرارات المرأة فيما يخصها من شؤون بموافقة (الولي الشرعي) كرغبتها في أن تلتحق بالجامعة أو بعمل أو باستخراج جواز سفر أو بطاقة أحوال أو ما شابه ذلك من احتياجات. ومثل هذا التقييد قد لا يشكل للمرأة ضرراً طالما كانت علاقتها بذلك الولي حسنة، لكن، ليس في كل الأحوال يكون الأمر كذلك، فيقع الضرر على المرأة حين يجنح الولي إلى استغلال تلك

السلطة التي مكنه منها النظام المفروض، فيأخذ في معاندة المرأة أو ابتزازها وإملاء شروطه عليها قبل أن يعطيها موافقته على إنجاز ما تريد. وأذكر أن مديرة مكتب التوظيف النسائي في وزارة الخدمة المدنية روت لي مرة قصة شابة في أشد الحاجة إلى العمل لإعالة نفسها وأمها وأخواتها، بعد أن تخلى أبوهن عن إعالتهن نكاية بأمهن المطلقة، لكن والدها رفض السماح لها بالعمل إمعاناً في الإذلال والإيذاء، فاضطرت المديرة، لمعرفتها بشدة حاجة الفتاة وأسرتها إلى العمل، إلى تمرير الطلب دون موافقة الوالد. فلما بلغ الأب خبر تعيين ابنته غضب وهدد بالشكوى إلى المسؤولين إن لم تفصل ابنته، فتم فصلها لتبقى المسكينة تتقلب هي وأمها وأخواتها في ذل الفقر والحاجة.

في مثل هذه الحالات يتضح كم هو مجحف ذلك الشرط الذي يتيح للولي المريض نفسياً أو الحاقد أن يستغل سلطته أسوأ استغلال.

***وماذا عن القضية الثالثة؟***

* ضرورة تمكين المرأة من الوصول إلى مواقع صنع القرار، فإصلاح أوضاع المجتمع ككل وليس وضع المرأة وحده يحتاج إلى أن ينظر إليه بعينين: عين المرأة وعين الرجل، فالعين الواحدة لا يمكن أن ترى كل الجهات والزوايا.

***كأن يكون لها وجود في مجلس الشورى مثلاً؟***

* نعم، وإن كان مجلس الشورى صلاحيته محدودة.

***لعلك ترمين إلى تعليم البنات.. تتولى القيادة فيها مثلاً..***

* وفي تعليم البنات أيضاً، بصراحة في كل مكان يتيح للمرأة أن يكون لها دور قيادي، أنا أطمح إلى إيصال المرأة مجلس الوزراء.

***يا ساتر. مرة واحدة هكذا.. عموما سأجبن وأسحب الموضوع إلى وجهة أخرى. أتصور دكتورة بأنك قارئة جيدة لحركة المجتمعات والتاريخ، ما الذي تتوقعينه لواقع المرأة في السعودية؟ هل سنلحق في غضون سنوات قليلة بالمجتمع المصري مثلا مقارنة بما كان في مصر في حقبة الخمسينيات والستينيات؟***

* أن (نلحق بالمجتمع المصري)، هذا لا يمثل طموحي لا لمجتمعنا ولا للمرأة في المملكة. فعندما ننظر إلى تاريخ مصر وتاريخ المملكة خلال القرن الماضي، نجد أننا في شؤون كثيرة بما فيها وضع المرأة، نتقدم بسرعة أكبر من إخواننا المصريين. كانت مصر في القرن الماضي رائدة للدول العربية في مجال الفكر والأدب والثقافة والعلوم والحضارة، وكانت تسبقنا كثيراً، كثيراً جداً. ولكن انظر إلى حالنا وحالها اليوم، تجد أننا لم نلحق بها فحسب، بل سبقناها في بعض المجالات، وأقربها مجال الطب، فبعد أن كنا نذهب لنتعالج في مستشفيات مصر صار الآن المصريون يأتون ليتعالجوا في مستشفياتنا. وبالنسبة لوضع المرأة بالذات، فإني لا أرى حال المرأة المصرية أفضل بكثير من حال المرأة لدينا، فرغم أن المرأة هناك بلغت منصب الوزارة، إلا أن النظرة العامة للمرأة ومكانتها في المجتمع ما زالت لا تختلف عما هو موجود عندنا، وفي مصر من القوانين والأنظمة المنحازة ضد المرأة ما يماثل ما هو موجود لدينا، فالنموذج الذي أرجوه للمرأة ليس النموذج المصري، ولا الأمريكي، وإنما هو نموذج متفرد منبثق من المبادئ والقيم الإسلامية الصحيحة، يعكس الصورة الحقة للمرأة المسلمة في مجتمع مسلم عادل غير منحاز.

## ● مؤتمرات المرأة وآثارها

✍ ***سأكرر سعادتي دكتورة بطموحك في نموذج المرأة السعودية، وأسألك عن مشاركاتك في المؤتمرات النسائية العديدة، ولعل آخرها في القاهرة.***

* كان ذلك في العام الماضي في مؤتمر المرأة والإبداع

✍ ***هل تعتقدين أن هذه المؤتمرات كان لها تأثير على واقع المرأة العربية؟***

* التأثير موجود، ولكن نحو أي اتجاه؟ على أية حال ما لفت نظري في بعض هذه المؤتمرات أنها لم تعد مكاناً خاصاً بفئة الليبراليات، فظهرت فيها إسلاميات ذوات فكر مستنير معتدل. وظهور مثل هذه الشخصيات في مثل هذه المؤتمرات

له أهمية كبيرة من حيث كونه يحدث نوعا من التوازن، ويحفظ للاتجاه الإسلامي صورة مشرقة بعيدة عن سمة الانغلاق والجمود.

✍ ***مضطر أنا لمقاطعتك والاستيضاح عمّن تنعتيهن بالمستنيرات.. أطمع بأسماء.***

* أذكر منهن الدكتورة أميمة بكر من مصر والدكتورة خديجة مفيد من المغرب.

✍ ***أعود لسؤالي ما الذي تستشرفينه بالنسبة لواقع المرأة من هكذا مؤتمرات؟***

* لا خلاف في أن عقد المؤتمرات والندوات نشاط فكري يساعد الناس على فهم أفضل لأوضاعهم وتبين ما فيها من وجوه الصواب والخطأ. وبالنسبة لواقع المرأة بالذات، يبدو لي أن كثيراً من الإصلاحات التي تمت في وضع المرأة في العالم كانت وليدة أفكار منبثقة من تلك المؤتمرات التي تعقد لمعالجة قضايا المرأة، وهذا ما يجعلنا نتوقع مزيداً من الإصلاح مع توفر المزيد من اليقظة الفكرية.

✍ ***كي لا أتهم بأنني ضد المرأة وحقوقها.. هل لك كلمة في موضوع المرأة قبل أن ننتقل لموضوع الحوار الوطني؟***

* وهل أبقت لي أسئلتك شيئاً؟

## ● الحوار الوطني: آفاق وجدوى

✍ ***كيف تنظر الدكتورة عزيزة لمؤتمرات الحوار الوطني؟***

* أصدقك القول إني لم أفهم بعد ما المقصود بهذا الحوار الوطني؟ هل هو مجرد كلام و(فضفضة)؟ أم هو عمل جاد ينحو نحو طرح قضايا محددة ليخرج بقرارات تأخذ طريقها إلى التنفيذ؟ وما الفرق في الدور بينه وبين مجلس الشورى، مادام أن الحوار يتم بعيداً عن الجمهور، والمتحاورين يتم اختيارهم مسبقاً والمواضيع المطروحة للحوار منتقاة ومفروضة؟ ألا يبدو هذا الحوار في شكله الذي يقدم فيه موجهاً للتوفيق بين أسماء وفئات محددة ومعروفة مسبقاً وليس معنياً بالجميع؟ هذه التساؤلات تجعلني أقف موقفاً متشككاً تجاه إيجابية الحوار الوطني.

✍ ***رغم أن إجابتك فتحت شهيتي لخبطة صحافية (تصطف إلى جانب خبطات أسأل الله السلامة منها) إلا أنني ربما أخالف نظرتك التشاؤمية الممتدة معي في هذه المكاشفات. التجربة الأولى لمؤتمر الحوار كانت ناجحة إلى حد بعيد، ونزعم ذلك من خلال ماتحدث به بعض المشاركين. وللمرة الأولى على مستوى الوطن يجلس الشيعي مع السني مع الصوفي في جو حواري صريح، وتسربل أجواءهم الروح الودية. أليس هذا مكسباً مقارنة مع ما كان في السابق؟***

* ما معيار النجاح عندك؟ هل ترى ان المتحاورين خرجوا باتفاقيات وقرارات ذات طابع تطبيقي؟ وهل تريدني أن أصدق أن خلافاً في الفكر والاتجاه يمتد قروناً بعيدة يمكن القضاء عليه في بضع ساعات؟ دعني أسألك: هل تضمن الحوار البحث عن حلول لبعض المشكلات القائمة التي يشكو منها الشيعة مثلا؟

✍ ***ما زلت أؤكد أن مجرد الجلوس والحوار يعد مكسبًا، وأننا في بداية طريق طويل. استقرئي الماضي وما كان يسوده من الحدة والاتهامات إلى التكفير أحياناً؟***

* في هذا الشأن قد يكون ذلك صحيحا، ولكن..

✍ ***ياساتر يادكتورة.. لماذا لا تبدين متفائلة بالذي يحدث؟***

* لأني لا أرى جديداً.

✍ ***برر البعض عدم مشاركته بأنه ما دام أن هذا الحوار كان تحت مظلة رسمية فإن مصيره الفشل، لأن ما يريده السياسي سيكون هو المآل، بصراحة هل أفهم أنك مع هذا الرأي؟***

* لا، عدم اقتناعي بجدوى الحوار الوطني في شكله الحالي لسبب آخر مختلف. ففي تصوري أن الحوار له غايتان: إحداهما، نشر الوعي بين الناس والتقريب بينهم في وجهات النظر لإحداث أكبر قدر ممكن من الانسجام الفكري بين أفراد المجتمع، وهذا مكانه وسائل الإعلام ليطلع عليه الجميع ويستفيد منه الجميع، لا أن يكون مغلقاً بين أفراد معدودين.

أما الغاية الأخرى، فهي البحث عن حلول مثلى لمشكلات قائمة في المجتمع، وهذا مكانه المؤسسات والهيئات الرسمية ذات الصلاحية لاتخاذ القرارات. ولا أرى أن أياً من الغايتين تتحقق في الحوار الوطني كما هو قائم الآن.

✍ ***لأحسم المسألة معك و(أخلص). باختصار: لو دعيت د. عزيزة المانع إلى هذا الحوار، فهل ستلبين؟***

* لا أعتقد.

✍ ***لا حول ولا قوة إلا بالله. دكتورة كنت أتمنى أن يكون رأيك غير ذلك، وسأسوق لك حجة في رأيي هذا. ثمة رموز أصحاب جماهيرية وتأثير من الذين نعوّل على أن يسهموا في التغيير كسلمان العودة وعوض القرني وعايض القرني وحمزة الفعر وجملة أسماء شرعية. ربما إذا استمعوا إليك وإلى طروحاتك وشعروا بهذه الغيرة والوطنية التي لستها أنا شخصياً منك. فلربما يصل صوتك عبرهم وتتحقق مصلحة ترومينها.***

* لا أظن أن الدكاترة الأفاضل الذين أشرت إليهم يجهلون ما أطرحه من فكر، ولا أظن أن الاختلاف بين رؤيتي ورؤيتهم سينتهي بمجرد لقاء في الحوار الوطني.

## ● تراجعات دعاة التكفير

✍ ***على ذكر المشايخ. هل من تعليق لك دكتورة وقد شهدنا هذه التراجعات من رموز دينية متشددة كالمشايخ علي الخضير وناصر الفهد وأحمد الخالدي في آراء لهم تكفيرية ومتطرفة؟***

* ما زالت هناك آراء أخرى غيرها تنتظر منهم ومن أمثالهم الاعتراف بخطئها والتراجع عنها.

✍ ***لن أستغرق معك وأنا أخوض في طريق شائك، ولكن ألا تعطيك تلك التراجعات أملا في المدرسة الفقهية السائدة أن تعيد رؤيتها حيال المرأة وحقوقها ووضعها بحسب العصر ومستجداته؟***

* حدوث ذلك يرتبط بحدوث محرك قوي يدفع بها إلى إعادة الرؤية والتراجع عن بعض الأفكار، وما لم يظهر ذلك المحرك فلا أمل لدي.

✍ ***في النهاية أريد منك كلمة ختامية نختم بها هذه المكاشفة، ولا أخفيك بأنني استمتعت حقيقة بما تملكينه من فكر واستفدت منه؟***

* أشكرك كثيراً على حسن إصغائك وتحملك لهذري الطويل. وقد أعجبني فيك روح المغامرة التي تدفع بك إلى خوض (المخاطر). وقاك الله مغبتها.

## فاروق بنجر *: في مداخلات عابرة:
# قول د. عزيزة بأن الناصرية (ليست أيدلوجيا) فذلكة فيها نظر

انداحت لي نهزة من الوقت المتاح لقراءة حوار الإعلامي المثقف الأستاذ عبدالعزيز قاسم في (مكاشفات الرسالة) - بصحيفة المدينة - مع التربوية والأديبة والمثقفة د. عزيزة المانع، على امتداد ثلاث حلقات أسبوعية، بدأت بعدد يوم الجمعة ٢٥ شوال ١٤٢٤، وانتهاء بعدد يوم الجمعة ١٠ ذي القعدة ١٤٢٤هـ.

كانت قراءة الاستجلاء وإمعان النظر في تلافيف ما بين السطور تتوقف بي مليا محتشداً لاستقرار الأفكار المتجلية في جملة من إشكاليات قضايا فكرية واجتماعية استنطقتها أسئلة وتساؤلات المحاور المستفز المتيقظ، في وعي وإدراك لما يمكن أن تنجلي عنه رؤية أكاديمية مفكرة ناءت بمحمولات هموم (المرأة العاملة) و(المرأة المثقفة) و(شراكة المرأة) في مبادءات (الوعي النسوي) الذي بقي متنحياً أو متنائياً عن حوار الأبعاد المقصية في أمداء (البيئات الذكورية) و(المجتمع الذكوري).

وفي المجتمع الذكوري يخفت صوت (الأنثى) في صخب وضجيج الأصوات المتعالية التي ما زالت ترى قوامة الرجل وأهليته السائدة مفهوماً ذا شمولية لسلطوية تتقدم خطوات النصف الآخر في مبادرات العلم والفكر والثقافة والمسؤولية الاجتماعية وسواها من قيم الأشياء والمفهومات المتشبثة بالتقاليد والأعراف العالقة بالأذهان والأفكار.

لقد اتسمت هذه (المكاشفات) بغير قليل من الصراحة والمصارحة والجهر بالرأي العام النسوي المكتوم عن مصارحة الرأي الحر على المستوى الإعلامي، وعلى صعيد الحوار المجتمعي المسكون بالتطلع نحو الوحدة الثقافية والاجتماعية، وللمة مفهومات ونزعات الاختلاف في إطار المبادئ التي يمكن أن تسود وتضبط العلاقات

الإنسانية في مثل مجتمعنا المتنائي عن تلاقي حقوق وضوابط التعايش والعدل الاجتماعي. وقد حاولت المحاورة - غير مرة - أن تضع القضية في حاقّ موضعها، وإن تلفعت بقليل من التحفظ أو التوجس والتحوُّط الفكري، حتى اقتنصت من مدى (الحلقة الثالثة) مساحة لطرح تفاصيل القضية في مبحث وثيق التناول.

ولقد بدا لي، منذ الحلقة الأولى التي تفردت بخصوصية السرد التاريخي للسيرة الشخصية والتكوين الاجتماعي والثقافي، أن منظومة الحوار ستقضي - بوعي المحاور وتحينه للفرصة الساخنة - إلى اختراق فضاءات منفتحة ينفذ منها لطرح سؤال الأفكار أو المواقف الفكرية التي كان ينتظر من مثل (عبدالعزيز قاسم) أن يلامسها بقدر من العمق في استقطاب واستغوار أبعاد الرؤية الفكرية المستترة في أعماق المحاورة (بفتح الواو) حول جدلية (التعليم النسوي) والوعي الثقافي، و(حقوق المرأة) و(النقد الاجتماعي).

وعلى ما بدا من ذلك التوقع جاءت الحلقتان الأخيرتان، بما أتيح للمحاور المتبصر أن يقتنص إليه المداخل والمسارب، وأن تنبلج (مكاشفات عزيزة المانع) ببوح جريء الصوت، محكم اللغة، صادق اللهجة، قوي التناول والمحاجة والاستدلال، وإن كانت ثمة رؤى مما يقع في دائرة الاختلاف في المنظور والتحليل والاستنتاج، وأخرى تبدت مخضبة بنظرة تشاؤمية مريرة الإحساس. ولكنها كانت - في مجملها - تنطلق من تطلع واعٍ مستبصر نحو مطالب التغيير الذي يحقق العدالة الاجتماعية، ويتيح للآخر أن يظفر بالنصيب المستحق في موقعه من البناء الاجتماعي والحضاري.

والحق أن مكاشفات (المانع) قد أتاحت منافذ من النظر في ظواهر قضايا المرأة، وحرية الرأي، وثقافة الحوار، وما يبدو من ملاحظ حول ما أفصحت عنه من ذكريات وشجون، وما جهرت به من آراء وأفكار قابلة للأخذ والرد والتعليق، حيث أفضت بمكنون من الخبر النافذ والرأي الحر، بعد أن كان قول الشاعر يتردد كثيراً في الظلال دون أن يطلع صدى صوت جهوري يستلفت الانتباه:

استعجمت دار (ميٍّ) ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

وهنا جملة من المداخلات والتعليقات والملحوظات التي لا تقلل من أهمية وقيمة هذه (المكاشفات) المعتدة الجريئة التي جاءت في الوقت المناسب، مواكبة للحوار الوطني، مطلقة إشعاعاً من صوت الإصلاح.

## ● مدرسة البنات لا مدرسة الفتيات

✍ ذكرت د. عزيزة المانع أنها تلقت تعليمها الابتدائي في مدرسة (الفتيات الأهلية) بمكة المكرمة، ومن زميلاتها فايزة عاشور، وصالحة مجدوي، ومريم باخطمة.

والواقع أنه ليس ثمة مدرسة بهذا الاسم، ويبدو أنه التبس عليها الاسم في غمرة السنين، فقد كانت هناك مدرستان رائدتان ضمن عقد من عدة مدارس أهلية رائدة للبنات ظهرت منذ منتصف القرن الهجري الماضي متطورة من نظام (الكتاتيب الراقية). وهاتان المدرستان.

١ - مدرسة (البنات الأهلية) التي أسستها نخبة من علماء وأعيان الجالية (الإندونيسية) مؤسسي (مدرسة دار العلوم الدينية عام ١٣٥٣هـ، وكان تأسيس هذه المدرسة في ١/ ٣/ ١٣٦١هـ - ٧/ ٤/ ١٩٤٣م، في (حي الشامية)، وقد ساهمت في نهضة تعليم الفتاة في بلادنا، وتعلمت وتخرجت فيها صفوة من الرائدات والقيادات التربوية والأكاديمية.

ومن الرائدات الأكاديميات اللائي تعلمن وتخرجن فيها من حاملات (الدكتوراة): ابتسام عبدالرحمن حلواني، وهانم حامد ياركندي، ونجلاء فخر الدين رضا، ونوال حامد ياسين، ومحاسن حسن أبو منصور، وآمنة أرشد بنجر، ووفاء محمد بنجر، وثريا عبدالله إدريس، وثريا مصطفى عقاب، ورقية عبداللطيف مندورة.. وغيرهن كثيرات، وقد أحرزت جملة من هذه الأسماء درجة الدكتوراة من جامعات أمريكية.

٢ - مدرسة (الفتاة الأهلية) أسسها المربي الشيخ محمد حسين بن عبدالغني فلمبان وزوجته الأستاذة صالحة فلمبان - التي كانت أول مديرة لمدرسة البنات السابقة مدة خمس سنوات - وكان تأسيس هذه المدرسة في فجر العام الدراسي ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، في (حي الشامية) ثم في (حي الفلق). وقد واكبت أختها الكبرى السابقة في الأدوار التربوية الرائدة، وما تزال قائمة حتى يومنا هذا.

*ومن الرائدات الحاملات درجة الدكتوراة المتعلمات والمتخرجات فيها:*

حياة محمد علي خفاجي، وزكية بكر مهندس، وجواهر محمد باسلوم، وفتحية حسن حسنين، وفوزية حسن حسنين، وآمنة حسين جلال، وسمر رشاد نقيب، وفايزة محمد سجيني، وحسناء محمد حسين فلمبان، وليلى محمد علي عجيمي.. وغيرهن. ومن هذه الأسماء من أحرزت درجة الدكتوراة من أمريكا.

ويبدو من المؤكد أن د. عزيزة المانع قد تعلمت في المدرسة الأولى (البنات الأهلية)، بدليل ذكرها لأسماء زميلاتها الثلاث السابقات، وهن من تلميذات المدرسة المذكورة.

ومما يجدر تصحيحه أن جملة معلمات هذه المدرسة مواطنات من أصول إندونيسية وغيرها، وليس ثمة باكستانيات، وقد استعانت المدرسة بمعلمات مصريات وعربيات بجوار المواطنات.

## • الموقف من تعليم البنات

في إجابتها عن سؤال المحاور: (هل عشت أجواء المعركة المجتمعية التاريخية الشهيرة التي كانت دائرة عن تعليم البنات في نجد؟) قالت د. عزيزة: (لعلها كانت في القصيم وليس في الرياض، في الرياض كان كثير من الناس متلهفين على تعليم بناتهم).

والواقع أن الفترة التي تحدثت عنها هي بعد أن استتب فرض تعليم البنات الرسمي ١٣٨٠هـ، وقد تأخر تعليم البنات في غير الحجاز (مكة - المدينة - جدة) أكثر من ربع قرن لأسباب معروفة. وقد أشار الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ (ثاني

وزير معارف) في معرض حديثه عن نشأة تعليم البنات إلى أن (العرف الاجتماعي الذي كان سائداً في بعض الأوساط، خصوصاً في نجد، كان يدعو للتريث بعض الوقت في فتح المدارس الحكومية لتعليم البنات، إذ كان لا يزال هناك بقايا من معارضة للتعليم الحديث الحكومي عموماً، وللتعليم النسوي خصوصاً، واعتباره مفسدة أو مقدمة لخروج المرأة عن وظيفتها الأساسية في الحياة).

وهذه الرؤية السلبية تتناغم مع تلك التي تناولتها الدكتورة في (الحلقة الثانية) حول ما شاع منذ العصر العباسي من إقبال على تعليم وتثقيف الجواري، وأنهن بحكم الرق وبعد مسلكهن عن الشرف والفضيلة واتصالهن بالسلوك المبتذل ما حمل على الظن بأن الابتذال في الأخلاق والتهاون في الفضيلة أمر يرافق تعليم الأنثى، فكرهوا تعليمهن لذلك السبب، والذي يبدو أن هذا المفهوم ليس سائداً على إطلاقه، وأنه يتعلق ببعض البيئات دون سواها، بحسب شيوع الأمية والأمية الفكرية والعزلة الثقافية، وذلك ما كان من أسباب تأخر تعليم الفتاة، فلما انجلى وهم المفهوم وتبدت الحقيقة في صورتها الجلية الصافية - بعد تمهيد الزمن - استقر في الأذهان تقبل الأمر والامتثال لصدقه وأهليته.

## • مفارقات الناصرية

ومما استلفت النظر ذلك الشغف المرحلي بالناصرية والانحياز إلى الرؤية الناصرية التي رفعت شعارات (القومية) و(الحرية) و(العدالة الاجتماعية) و(الوحدة العربية) و(الاشتراكية/ أو الماركسية).. وسواها، على ما اعتورها من مفارقات الرأي والمواقف الفكرية والسياسية، وتسييس الأفكار والمبادئ لمصلحة الفكرة الناصرية والزمرة الناصرية. فهل أدَلُّ على صور المفارقات المدهشة والمواقف الظالمة من الموقف تجاه (الإخوان المسلمين)، والإقامة الجبرية الجائرة للرئيس الأول (محمد نجيب)، وفساد الإدارة السياسية؟ أما القول: (إن الناصرية ليست أيديولوجية معينة حتى تسقط أو تخلد) ففذلكة فيها نظر.

## • على ذكر المرحلة الجامعية

على ذكر المرحلة الجامعية وأساتذة قسم اللغة العربية في كلية الآداب - بجامعة الرياض بين عامي ١٣٨٨ - ١٣٩٢هـ، فقد ذكرت د. عزيزة أسماء عدد من الأساتذة، حتى إذا استدنت ذِكرَ اسم أصعب أساتذة قسم اللغة العربية مراساً، أوردت اسم (فرهود الفرهود)، ولتصويب الخطأ فإنه الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي فرهود (أستاذ النحو والصرف والعروض)، وخريج مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن - عام ١٩٦٦م. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فأذكر أنني أحد خريجي ذلك القسم والكلية عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م (في دفعة د. عزيزة)، ومن أساتذتنا الذين فات عليها ذكرهم: د. أحمد خالد البدلي والمرحوم د. محمد صديق العوضي (وهما أستاذا اللغة الفارسية وآدابها)، ود. عبدالعزيز الفدا (أستاذ الأدب الأندلسي)، ود. عزت خطاب (أستاذ الأدب الإنجليزي)، ود. عبدالله العنقاوي (أستاذ التاريخ).

ولقد ذكرت النفر الذين اتصلنا بهم من أساتذتنا في قسم اللغة العربية في قصيدتي المطولة التي وجهتها إلى د. منصور الحازمي، ونشرت في ملحق (الأربعاء) بصحفية المدينة، ثم في ديواني (زمن لصباح القلب)، ومنها هذه الأبيات:

أتذكُر إذْ كنَّا لدى الدرس (دَرزَنّا
من الفتية الشادين في الفن موطِنا؟
مشارب من نهج العقول تشامست
وألفها خيط من الفن هيمنا
وأنت حفيٌّ بالعقول تجاوبت
على الأدب السامي، أهاب وأفتنا
أمنصور، ما أخبار رَبعِكمُ الأُلى

شهدنا نداهم: باسط الظل.. والجنى؟
أما زال (خطاب) مضيئاً وملهماً
يفيض بآداب (الفرَنج) تَفَنُّنا!
وهل تم للفرس احتفاء بفنهم
لدى (البَدليِّ) النَّدب: علماً ومُجتنى؟
وما حظ أبعاد الرصانة بعدما
رعى (الشامخ) المهد الأصيل، وحصَّنا؟
وأين تُرَى أرسى (الضبيب) لواءه
ومرفؤه، حَذوُ التراث، توطَّنا؟
وكيف مضى بـ(الشاذلي) سبيله
على العيس؟ هل ألفى لدى (النمو) مأمنا؟
وماذا لدى الربع الميامين من خطى
توطئ (للضاد) المهاد المؤَمَّنا؟

## ● المرأة القضية

كُرِّست (الحلقة الأخيرة) لقضية القضايا عند (عزيزة المانع)، قضية المرأة وظلم ذوي القربى، وموقع المرأة والمفهوم المجتمعي، والحيف الذي نالها وما يزال في زوايا التقاليد والأعراف والدوائر المغلقة وإهمال النظر في كثير من حقوقها المدنية والاجتماعية.

وقد أتاحت أسئلة (المحاور) الواعية، واستيعابه لطروحات القضية، أن يتسع للمحاورة مجال ضبط التناول في معالجة موضوعية معززة بالشواهد والاستدلال المنطقي المسلح بالبحث العلمي الموثق. وقد ألحّت (المحاورة) على أن الحيف الاجتماعي الواقع على المرأة - في مجتمعنا - تأتّى من اجتماع عوامل متكاتفة. (دون الاقتصار على اختيار واحد منها مما توقعه صاحب الحوار) - وهي: الأعراف المجتمعية - والثقافة الدينية السائدة - وبعض الجهات الضابطة. وقد كان ربطها

هذا التصور بأن (العرف الاجتماعي غالباً ما يشيع وينتشر متلبساً بلباس الدين، ثم يأتي القرار من بعض الجهات ليدعمه فيزداد ثباتاً وعمقاً)، وهذا الاستنتاج الاستقرائي (إن صح التعبير) - مع أمثلته - مبني على تجربة في الواقع، مما يتعين إمعان النظر فيه من أهل القرار، ويتصل بهذا توفرها على المطالبة المستحقة بأن تنال (المرأة) حق استقلاليتها - في ظل ضوابط الشرع - وأن تفهم (الولاية) ويؤخذ بها وفق حدودها في (الفقه الشرعي). ويحسن - هنا - أن يؤخذ بربط رأيهما بالشواهد المحددة التي تمثلت بها، دون تجاوزها إلى مسائل أخرى تضيّق فهم حقوق المرأة وإقامة مكانتها واستقلاليتها في التصور الإسلامي العادل، وحقها في المشاركة في اقتراح ووضع الأحكام وفي المشاركة الفقهية، بعد أن غدا - لدينا - دارسات وباحثات متخصصات في الدين والفقه الإسلامي، وانفسحت آفاق للمرأة في المشاركة في الحوار واتخاذ القرار وبناء القيم المجتمعية المشتركة.

على أن مطامح ورؤى (عزيزة المانع) وسواها من ذوات الفكر والرأي والاستنارة - وهن كثيرات بالتأكيد - في أن يتاح للمرأة دور قيادي في التعليم وغيره مما يجدر النظر إليه من زاوية (حسن النوايا)، وأن تقرأ رؤيتها (المكتنزة بالأفكار والمطامح المستشرفة قراءة علمية بعيدة عن نوازع الإقصاء والغيرة ومصادرة الوعي المبصر المستنير.

- **باحث تربوي وأديب وشاعر سعودي**
- نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م
- --------------------------------------------------------

## محمد صادق دياب *:

## وقوفاً أمام حوار عزيزة!

كنت أتابع ملحق الرسالة على مدى الأسابيع الثلاثة الماضية مستمتعا بمستوى النضج في إجابات الأخت الدكتورة عزيزة المانع في ذلك الحوار الذي أجراه معها الصديق الصحافي عبدالعزيز القاسم، ذلك الحوار الذي ولّد بعض الحوارات خارج الصحيفة بين المثقفين الذين تباينت آراؤهم وتوزعت حول بعض الآراء والأفكار التي طرحتها الدكتورة المانع، ولو تخلص أخي عبدالعزيز القاسم قليلاً من هيمنة رقابتة الذاتية التي ظلت أسيرة مخاوفه من أحكام هذا التيار أو ذاك، ولو تجاوز الزميل القاسم ضعف النفس الإنسانية وهو يحاول دفع عجلة الحوار إلى محطات قناعاته لكنا أمام واحد من أهم الحوارات دون جدال، وحسنا فعلت الدكتورة المانع حينما احتمت بشجاعتها وفكرها وثباتها في صد بعض الأسئلة ذات الغائية التوافقية التي لن تكون فيها عزيزة المانع هي ذاتها.

لكن لماذا هذا الحوار؟.. وما الذي يميزه؟.. وما الجديد فيه؟

هذا الحوار من وجهة نظري يكتسب أهميته من سياقه الزمني ومن تميز الشخصية، فلقد تزامن مع فترة مفصلية مهمة تتعلق بحقوق وتطلعات وآمال المرأة التي ظلت قضاياها طويلا تحتل مواقع هامشية في سلم اهتمامات المجتمع، واعتبارها - دون وعي - من قبل البعض في إطار التبعية التقليدية ضمن مكونات الثقافة الذكورية المهيمنة.

أما ما يتصل بتميز شخصية الدكتورة عزيزة المانع، فيمكن أن نتلمسه من كل إجابتها التي قالت فيها كل ما تريد قوله دون صخب أو غوغائية أو ادعائية، فلقد كان بإمكان المانع أن تمتطي صهوة بعض الأسئلة السخية حيث يكون لها الخيار لأن ترتدي قبعة "هدى شعراوي" أو تدعي دور (شيرين عبادي)، ولكنها اختارت أن تظل

عزيزة المانع بأصالتها وانتمائها ومرجعياتها الاجتماعية، بلا ادعاء أو تكلف أو تضخيم للذات، حتى وهي تتحدث عن النموذج الذي ترجوه للمرأة السعودية لا تحاول استيراده من الشرق أو الغرب، ولكنها تحاول أن تنبته من رحم هذه الأرض، إذ تقول: "النموذج الذي أرجوه للمرأة ليس النموذج المصري ولا الأمريكي، وإنما هو نموذج متفرد منبثق من المبادىء والقيم الإسلامية الصحيحة، يعكس الصورة الحق للمرأة المسلمة في مجتمع مسلم عادل غير منحاز).

عزيزة في هذا الحوار هي ذاتها شخصية متفردة وهي تشير بهدوء إلى أماكن جراح المرأة في المجتمع، تلك الجراح الأكثر إلحاحاً وحاجة للعلاج مثل: الظلم الذي يقع على المرأة وغمط الحق من ظلم بعض ذوي القرابة وبعض الأنظمة الرسمية وبعض أعراف وتقاليد المجتمع.

ولعل هذا الحوار الطويل الذي امتد في الزمن والصفحات يستحق أهمية من صحيفة المدينة تثبيته وما يكتب عنه ويعقبه من مداخلات لفترة طويلة في موقعها الإليكتروني كي يطلع عليه أكبر قدر من القراء رغم البطء وكثرة النواقص الفنية التي يعاني منها هذا الموقع الإليكتروني..

ولأخي عبدالعزيز القاسم الصحافي الذي أجرى الحوار رجاء بأن يتفهم بأن ما ورد في مقدمة المقال من ملاحظات تخصه لا يمكن أن تقلل من مكانته في دواخلنا بأنه أحد الذين شكلوا إضافات تطبيقية مهمة للإعلام الإسلامي في الصحافة المحلية..

فله ولكاتبتنا ومفكرتنا المبهرة عزيزة المانع أصدق الإعجاب.

*** كاتب وأديب سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الأربعاء بصحيفة المدينة بتاريخ ١٥ / ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠٠٤ م

## د. خالدعبدالله القاسم*:

# المطالبة بحقوق المرأة لا تأتي من خلال المظاهرات أو تحدي المجتمع

نشكر لكم الجهود المبذولة في تطوير هذا الملحق والذي ننتظره أسبوعياً، ونتطلع إلى أن يكون صحيفة مستقلة، وفقنا الله وإياكم لكل خير.

كما اطلعت على مكاشفات الدكتورة عزيزة المانع في ملحق الرسالة الذي يتألق أسبوعياً ولقد ذكرت الدكتورة وفقها الله أموراً يجب الإشادة بها ومنها:

- حرصها على الدفاع عن قضايا المرأة والمطالبة بحقوقها. ولاشك أن هذا مطلب شرعي هو واجبنا جميعاً وهو موقف طيب.
- نفت عن نفسها أنها مغرمة بالنموذج الغربي بشكل عام، وهذا لا يعني ترك ما لديهم بالكلية.
- ذكرت أن البعض يسيء إلى المرأة في مجتمعنا ويفرض عليها وصاية ليست شرعية وربما ظلمها وهذا أمر للأسف موجود وهو منكر ومخالف للشرع المطهر ويجب على العلماء والخطباء والقضاة والمعلمين القيام بدورهم في هذا الجانب.
- ذكرت أن بعض فئات مجتمعنا تسيء في الولاية الشرعية للمرأة وهذا أيضاً للأسف موجود حيث يقوم بعض الأولياء بعضل المرأة وعدم تزويجها لأسباب غير مقبولة، أو يجبرها على الزواج بمن لا تريد. أو يظلمها في مالها وهذا كله مخالف للشريعة، ويجب توعية المجتمع بحقوق المرأة مالها وما عليها. ولكن بحسب ملاحظاتي (لا توجد إحصائيات) أن هذا الأمر محصور وشاذ في مجتمعنا ولله الحمد، حيث إن أغلب المجتمع يقدر المرأة ويحفظ حقوقها ولكن لا يعني هذا عدم الاهتمام بإصلاح الفئة الأخرى وقيام المؤسسات باتخاذ التدابير اللازمة لحفظ حقوقهن.

- كما ذكرت استغلال البعض لهذه الخلافات وتجييرها سياسياً، وكلامها حق في كثير من أمورنا التي نختلف فيها للأسف بدلاً من الوصول إلى الحق الذي يسعى إليه الجميع نجد أن البعض للأسف يستعدي السلطة للآخرين في مجالات اجتهادية يضر بالقضية، وهذا للأسف ما نراه من البعض في محاولة لاستغلال ظواهر التفجير لتعميم الأمر على أهل الخير والصلاح وتجيير ذلك لمحاربة مدارس تحفيظ القرآن والعلوم الشرعية دون مناقشة صادقة للأسباب والعلاج وكان الأولى التفاهم حولها بالحوار والحجة.

كما أن لي بعض الملاحظات الاجتهادية في بعض ما تطرقت له الدكتورة وفقها الله:

المطالبة بحقوق المرأة لا تأتي من خلال المظاهرة أو التجمع لقيادة السيارة بشكل استفزازي وتحد للمجتمع (وإن كنت أرى أن قيادة المرأة للسيارة ليس فيها مانع شرعي لذاتها ولكن موانع مصلحية واجتماعية يجب عدم القفز عليها).

ما يتعلق بحقوق المرأة في العلاج ونحوه فإن الرجل شرعاً مطالب بالنفقة على الزوجة بشكل عام، وتحديد هذا راجع إلى العرف، فمثلاً في العهود الإسلامية الأولى لم يكن عرفاً العلاج على الزوج لأن العلاج آن ذاك لا يحتاج إلى نفقة بقدر ما يحتاج إلى رعاية فكانت أم الزوجة أو أختها ترعى ابنتها أو أختها.

وفي الوقت الحاضر فإن الأعراف السائدة أن العلاج بحاجة إلى نفقة يتحملها الزوج وهذا الأمر ليس خاصا بالمسألة هذه فإن الشريعة على سمعتها جعلت كثيراً من الأمور المتغيرة بناء على الأعراف والمصالح.

ومثال ذلك طبخ المرأة لزوجها لم يذكر العلماء الأوائل أنه واجب عليها بل هما يشتركان في ذلك، وذكر ابن تيمية رحمه الله أن الأعراف في زمنه تجعل إعداد الطعام في الحضر واجباً على النساء وفي السفر واجباً على الرجال ونحن الآن نرى في السعودية أن الأعراف عند الموسرين في الولائم يتحمل الرجل العبء الأكبر في الإنفاق على المطاعم والمطابخ بل ويلزمه ان يؤجر خادمة لزوجته عند حاجتها.

والمسألة بين الزوجين مبنية على قوله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وقائمة على المحبة والمودة لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وإنما رسم الخطوط العامة من قوامة الرجل على زوجته (وليس ولاية النكاح فقط كما ذكرت الدكتورة) وطاعتها له.

وترك كثير من التفاصيل للأعراف والمصالح المعتبرة، وليست العلاقة بين الرجل والمرأة قائمة على الندية واتهام العلماء بمراعاة مصالح الرجل فقط لأنهم رجال، وهذا لا ينافي إمكانية أن تكون المرأة عالمة وفقيهة، كما كانت بعض الصحابيات، وعدم وجود ذلك تقصير من المرأة نفسها، وقلة العلم الشرعي موجود في الرجال والنساء، وطبيعة الرجال تجعلهم أكثر حظاً في العلم والبصيرة في الدين، والتاريخ الإسلامي شاهد على ذلك.

بل في كافة المجتمعات حتى المعاصرة والغربية منها فإن الرجال بما حباهم الله من قدرات هم الأكثر تفوقاً في أكثر مجالات السياسة والاقتصاد والعلم والقضاء. وبل وحتى في بعض مجالات المرأة نفسها كالطبخ والأزياء.

وليس ذلك ظلما للمرأة بل يجب الاعتراف بأن كل منهما له طبيعة ووظيفة يجب مراعاتها وعدم القفز عليها.

والأمثلة كثيرة التي تطالب بها بعض النساء المساواة مع الرجال متجاوزات الشريعة وطبيعة المرأة والرجل وسنكتفي بالمثال الذي ضربته الدكتورة نفسها وسمته ظلم بعض الأنظمة الرسمية وضربت مثال صندوق التنمية العقاري الذي يحرم المرأة من الإقراض ما لم تكن أرملة أو مطلقة.

والظلم محرم بل من أشد المحرمات وهذا حكم شرعي وإطلاقه بهذه الصورة دلالة حاجة الدكتورة إلى التفقه في الدين، فليس مطلوباً من الصندوق مساواة بين الرجل والمرأة في الإقراض (علماً ان الرجال أنفسهم ينتظرون لسنوات) والرجل هو المطالب بتوفير السكن للمرأة سواء كانت زوجة أو أماً أو أختاً أو بنتاً، والمرأة

مكفولة، فالمساواة بين المختلفين هو الأولى أن يكون ظلماً. ومراعاة الصندوق للحالات الخاصة التي لا تجد المرأة عائلاً كالمطلقة والأرملة دليل تفهم حاجات المرأة فأين الظلم؟

ونحن نتحدث عن مثال اختارته الدكتورة نفسها مما يدل على أن كثيراً من الأحكام الأخرى بحاجة إلى مراجعة.

أما ما يتعلق بقولها إن الصحوة لم تقصر مع المرأة فقط بل هي لم تقدم شيئاً للمرأة فهذا حكم مجحف وتدخل للهوى وهذا ما يضر بنا في حواراتنا حيث إنكار الحق الذي مع الآخر. وهذا لا يسهم في تقبل الآخر، فهناك مكتسبات ممتازة للمرأة وإنكار الدكتورة لها أمر مستغرب رغم ظهورها.

فأين الجمعيات الخيرية النسائية، وأين جمعيات تحفيظ القران الكريم، وأين الندوات والمحاضرات النسائية، وأين المجلات النسائية (الشقائق، أسرتي، الأسرة، المتميزة...) إلا إذا كانت الدكتورة تقصر ما يقدم للمرأة في مفاهيم محددة مختزلة لديها.

وأخيراً قولها (لم تقم أي واحدة ممن شاركن بمسيرة السيارات برمي الحجاب) عبارة غير صحيحة فقد حدثني من رأى ذلك، وعموماً قولها بحسب علمها والمثبت مقدم على النافي ونفيها دليل على احترامها للحجاب وإحسان الظن منها بالمشاركات بالمسيرة وهو أمر طيب.

هذه بعض المداخلات وكثير منها يحمل وجهة نظر قابلة للصواب والخطأ، شاكراً للرسالة ما تقوم به من تغطيات ممتعة.

*** إعلامي وأكاديمي بجامعة الإمام**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م

## محمد المبارك*:

## السؤال: هل د. عزيزة المانع تمتلك الأهلية في النظر في الأدلة الشرعية وتميزها

في خضم الترقب والمتابعة الذي شغل أذهان الكثيرين من المتابعين لوقائع مؤتمر الحوار الوطني؛ تبُزّ لنا "الرسالة" بأستاذها الكريم "عبدالعزيز قاسم" بإحدى مكاشفاته الجديدة، وكانت المفاجأة والجدّية فيها أنها مع إمرأة وليست أي امرأة، إنها "المثيرة للجدل" عند البعض الدكتورة القديرة (عزيزة المانع)..

ومن اللطيف؛ أني كنت أقول لمن حولي؛ وأهمس قائلاً: إن "المانع" تغيّر أسلوبها في الكتابة خاصة بعد أحداث ١١ أيلول سبتمبر؛ وهذا متضح للمتابع.. وأنا ممن يزعم أنه يُعجب كثيراً بمقالاتها، واتفق معي غير واحد في هذه النقطة التي زاد شغفنا أن نعلم سر هذا التغير والتبدل الذي كنا نرجو أن نجد شيئاً شافياً في المكاشفات لكن للأسف كانت تقاوم هذا الزعم وتراه ادعاءً لا أساس له، وأخشى أن يكون ذلك خوفاً من جلد الذات الذي يتنافى مع هذه الشخصية الجسورة الجريئة.. شكراً لك عبدالعزيز مرة أخرى ؛ وتحية عطرة للدكتورة القديرة عزيزة المانع..

ولتأذن لي الدكتورة عزيزة أن أبدي شيئاً من الملاحظات والخلجات التي تختلج في صدري ؛ سواءً مما وصل إليه واستقر به رأيي في كونه إيجابياً يستحق الشكر والثناء ؛ ومما رآه فهمي القاصر أنه سلبي أو مبهم أضع عليه علامة "؟" وكل ذلك تفاعلاً مع هذه المكاشفات.. التي كشفت شيئاً من شيء كبير ؛ وجزءاً من كُل..

١ - جاءت المكاشفات تأريخية في حلقتها الأولى وجزء من الثانية وإن كان البعض يرى أنه أخذ حيزاً يمنع من حصول أكبر قدرٍ من التوضيح للحقائق التي ينشدها المتابع لعزيزة المانع لكن أرى أن الجانب التأريخي وخلفيات النشوء هي

الأساس والركيزة المهمة لمعرفة دواخل وجوانب الضيف، ولا أخفي أيضاً اندهاشي و مفاجأتي بعمر الدكتورة فلم أكن أظن أنه يبلغ ما بلغ؛ وأدعو الله لها بالتوفيق والرشاد.

٢ - في واقع الأمر عزيزة المانع مع احترامي البالغ لما تكتبه لكونها تعبر عن رأيها بصدق ووضوح، ولا تتخذ من الدين "معلاقاً" ترمي عليه أي عوارٍ وخطيئة اجتماعية أو إدارية أو شرعية تطبيقية أكسبها ذلك احترام الكثيرين ممن يضجرهم ويؤلمهم من يحارب كل ما يمت للتدين و الإسلام مهما كان تطبيقاً كان أو تأصيلاً؛ و مع أننا نختلف معها في بعض الآليات أو المنطلقات إلا أنه لا يمنع المتابع المنصف أن يسجل شكره لتألقها في مواطن قل فيها الرجال قبل النساء. مع كل هذا إلا أن الدكتورة الكريمة لا تُعتبر - في واقع الحال - رمزاً اجتماعياً بارزاً أو علماً نسائياً تُعلّق عليه الحركة النسائية الشيء الكثير، لكن أحداث قيادة السيارات هي التي ألقت باسم "عزيزة المانع" على السطح أو "الصفيح" الملتهب الساخن دفعة واحدة.. وقد يكون لها دور فاعل في أوساط عوالم المرأة لكنه لا يتجاوز النخب على حد متابعتي، والمقصد من ذلك أن حادثة "قيادة السيارات" هي الصبغة التي عُرفت بها عزيزة المانع مما منع المتابع أن يعرف عنها غير ذلك أو يبحث عن أي جهد خارجي، اللهم إلا ما بدأ من تواصلها الدائم مع صحيفة "عكاظ" ما أسهم في تشكيل جديد لاسم "عزيزة المانع".

٣ - من الجميل استقاؤك من المصادر الشرعية في كثيرٍ من منطلقاتك وهذا يدل على اهتمامك البالغ في شرعية ما تقومين به وتنطلقين لأجله، لكن السؤال المنبغي طرحه، هل الدكتورة تمتلك الأهلية في النظر في الأدلة الشرعية وتميزها؟ أم هل تمتلك النظرة الأصولية في التمييز بين الأقوال والخلاف المعتبر وغير المعتبر ؛ ومراعاة القواعد الشرعية الكلية التي لم يختلف عليها أحد من أهل الإسلام؟ لا أتوقع أن تملك الدكتورة كل تلك الأدوات التي بالكاد

ينالها المتخصص في سنوات كثيرة مع دراسته الأكاديمية، ولا يعني هذا أن لا ينظر الفرد إلى النص القرآني بمفرده وننسج "رجال دين" من غير أن نشعر؛ ولكن لا بد من فقه أمرٍ في غاية الأهمية وهو: أن النظر في الأدلة الشرعية وفهم مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى أدوات وآلات كثيرة توصل إلى ذلك، فلا يصح أن يأتي إنسان ويقول: لدي مراجع تقول إن هذا محرم أو حلال ضارباً بالأدلة والنظر الصحيح عرض الحائط. لذا جاءت بعض مستمسكاتك الشرعية فيها قصر نظر سببه قلة البضاعة وعدم التصور الكامل لمقاصد الشرعية. ويتضح هذا في النقطة الملحقة هنا..

٤ - من خلال مقالات الدكتورة الكريمة يتضح بُعدها عن معرفة بعض الوقفات المهمة مع سمو الأحكام الشرعية العامة والمتعلق منها بالمرأة، وأضرب مثالاً: فرحها وسعادتها بكتاب الدكتور صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى الذي يتعلق (برفع الحرج في الشريعة الإسلامية)؛ وأثنت على الكتاب والكاتب لأنه أبرز صورة مغيّبة، وأعلق هنا أن رفع الحرج في الشريعة يجده المسلم البسيط عند تلاوته لكتاب الله جل وعلا عندما يقرأ ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ والحديث العظيم «**تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون حتى إذا صليتم العصر غسلتها**» حديث حسن، وهذه دعوة من القلب أن تتأمل بعناية محاسن الشرع الكريم الجميل الذي اجتهد في إخراج مكنونه الفريد للبشرية الغربيون الذين عرفوا أنه الحق.

٥ - تعجبت في قولك عن والدك عندما ذكرت أنه كان لا يسمح لنا بسماع الأغاني مجاهرةً فوسمت ذلك بنوع تزمّت؟!! فعجباً.. فالأمر لا يدور بين فاضل ومفضول.. أو جائز ومباح.. أو حسن وأحسن.. إنه محرم قطعاً والخلاف فيه لا عبرة به عند المسلمن عامة.

٦ - يلاحظ من المكاشفات والمقالات الانكفاء على قضايا المرأة وهذا احترام للقضية التي تؤمنُ بها، لكن حدى بهذا الانكفاء أنه تناسى قضايا للمرأة أشد حساسية من المطالب السياسية أو الحريات.

٧ - أما ما يتعلق بحادثة قيادة السيارات؛ فمن وجهة النظر الخاصة والقاصرة مع تقديرنا العميق للدكتورة أن الأمر ليس كما تفضلت ؛ إلا في حالة واحدة أن تكون قد "استغفلت"، وكانت على درجة ضخمة ومهولة من السذاجة التي لا أظن أن شخصية "عزيزة" تتملكها هذه الصفة وذلك لأمور واعتبارات:

- كانت البلاد ترزح تحت نير حربٍ وشيكة؛ وضغوطات من هنا وهناك والشأن الداخلي والتيار الصحوي مشتعل، فتأتي عزيزة المانع لتشارك في مظاهرة أو "حجز مواقع" لمجرد اتصال "فزعة" فرحبت دون أي حسابات تُذكر لقياس الوضع والحالة تلك، التي كان بالإمكان تأجيلها عند هدوء وسكون الأوضاع خاصة بعد اعتقال الكثير من رموز التيار الصحوي الذي واجه هذه التظاهرة. فهذا - إن كان الأمر بهذه السهولة - يعتبرعدم فهم للواقع وسذاجة في نفس الوقت.

- خبر المظاهرة كان قد وصل إلى جهات صحفية غربية أمريكية وأعلنوا عنه قبل حدوثه؟!!، فهل هذا أيضاً بمجرد "اتصال"؟! ولعل الأعقد لهذه "الواقعة" أن السي إن إن صوّرت المظاهرة وأنتِ قد ذكرت أنكن قمتن بدوران كامل (بلفة) كاملة من دون أن تلفتن الانتباه أو يشعر بكن أحد، فهل وصلت "السي إن إن" بقدرة قادر!! لا أظن يا سيدتي الكريمة إلا إذا كان الأمر من وراء ظهرك، وأن الأمر قد تأكم بليل.

- أيضا من المستغرب وهي متخصصة علم الإجتماع كيف تريد أن يتقبل المجتمع قيادة المرأة في عشية وضحاها؟ فأين التدرج الطبيعي لأي مجتمع وجس نبضه؛ ولو قدرنا أن الدكتورة آنذاك كانت في الثلاثين من العمر لقلنا: "حماسة شباب" لكن أنّى لها هذا وهي تجاوزت الأربعين..!!

- وأيضاً ما ذكرته في أن الأمر كان بسبب سفر السائقين عند اقتراب الحرب..!! مما اضطروا لإعلاء قضية قيادة المرأة من دون أي مقدمات فهذه من المستغربات المدهشات!!

- التسطيح لقضية القيادة والتي وإن كانت لا تتحمل تضخيماً أو تهويلاً لكن نفس الأمر ليست بهذا التسطيح بكون قيادة المرأة هو مجرد انتقال المرأة من المقعد الخلفي لمكان القيادة.. !! أظنها "دعابة" من الدكتورة لتلطيف الجو..!

٨ - ذكرت في أول المقال أنكن رأيتن أن لا قانون في البلد يمنع من قيادة المرأة للسيارات وأن ذلك إنما يعود للعرف الاجتماعي، ثم بعد عدّة أسئلة نصصت: أننا في بلدة ينص قانونها على منع قيادة السيارة على الإناث!!. فما بكِ؟

٩ - قوّة الشخصية بادية في المكاشفات والوضوح، مع وجود حدّة في الرأي وتعصب له أحياناً الذي قد يكون باعثه الرسوخ في المنطلق المؤدى في هذا العمر المديد، ونرجو أن لا يكون ذلك مانعاً لقبول الصواب والحق.. أو حاجزاً عن تراجع حقيقي لبعض الآراء التي ظهر لها بوارها.

١٠ - يذهب البعض إلى تأثر الدكتورة بالنموذج الغربي الأمريكي وذلك خلال مكثها هناك للدراسة؛ لكن لعل الأمر ليس كذلك وإنصافاً فمقالات الدكتورة لا يظهر منها أي "لبرلة" أو انغماس في النموذج الغربي الأمريكي بل طالعتنا بعض المقالات بالتهجم على ذلك النموذج في بعض مرتكزاته، ولكن يبقى أن الإنسان اجتماعي بطبعه يتأثر بالبيئة الجديدة التي من حوله ويلاحظ انفتاحها الكبير في جلساتها المختلطة التي ذكرتها في أمريكا الرجال والنساء سوياً؛ وحسب ما نبا للمسامع أنها لم تكن تلتزم بالحجاب وهذه دعوى لم تثبت.

١١ - الناصرية.. رفعت شاعراً انطفأت جذوته وتلاشت مع السنين؛ فلم يبق من مريديه إلا "العجائز" الذين ينتظرون "مهديّ" الناصريين.. وأنّى يكون لهم هذا، مع اعتقادي أن موافقة عبدالناصر في بعض مبادئه الواضحة لا يعني كون المرء ناصرياً، وإلا لكانت الأرض كلها ناصرية..

**ختاماً..** أكرر شكري للأستاذ عبدالعزيز قاسم على إتاحته هذ الفرصة الجميلة ولكم دعوت من قلبي لهذا الفارس القادم؛ والذي يشقّ طريقه في صحافة البهرجة والمعوّقات بالملحق الذي يزهو به "الرسالة" لكونه أزال عنّا الرتابة.. و غلب كل التوقعات والتكهنات في المدى الذي يمكن أن يبلغه هذا "المغامر" الذي يدعى "عبدالعزيز قاسم" فقد حاز ونال قصب السبق ولا رهان معه.. لذا أشكره من الأعماق على هذا الاختيار المتميز مع الدكتورة المتميزة "بغض النظر عن كنه هذا التميز" والشكر موصول إلى الكاتبة القديرة التي اتسع صدرها ورحابة قلبها لهذا النقد.

- أكاديمي وأحد قراء (الرسالة)
- نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١/ ١٢/ ١٤٢٤ هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠٠٤ م

## عبدالعزيز السويد*:

# ما لم تقله د. عزيزة المانع في مكاشفاتها

في المجتمعات المنغلقة.. والثقافات المخنوقة... لا تكون الخطابات الفكرية والآراء والتصريحات والمكاشفات.. ذات بعد واحد مؤداه ما قيل أو كُشف عنه... يبقى المسكوت عنه والمضمر من الخطاب أكبر وأقوى وأكثر دلالة لوصف الحدث أو الرأي أو الاعتراف أو التصريح.... وهذا ليس ذنب صاحب الخطاب أو المتكلم والمتحدث.. بل هو خطيئة يتحمل وزرها ثلاثي إنتاج العقل في المجتمع المنغلق: السياسي والديني والاجتماعي.

في مكاشفات الدكتورة عزيزة المانع.. يضج ما خلف السطور.. تسمع أنينه وضجره وانتفاضته يريد الخروج للعلن.. لكن كبح جماحه من قبل (النظام الثقافي للسائد الضاغط الاجتماعي الديني السياسي) يجعل المستور ضحية المكشوف.. فيضيع بيان الحقيقة.

سأحاول هنا... أن أفتح ثغرة في ما قالته الدكتور عزيزة المانع.. لكي نرى ما لم تقله.. لكي يتنفس المسكوت عنه.. بعض الهواء النقي... ويبصر بصيصاً من النور..

قبل هذا، أشارت الدكتورة في جواب لهذا السؤال المشاغب من الأخ عبدالعزيز قاسم: ألا تلاحظين معنا، دكتورة عزيزة، أن الأسر النجدية التي تقطن الحجاز، تتقوقع على ذاتها ولا تختلط مع محيطها الاجتماعي إلا في القليل النادر، على عكس الأسر في مناطق أخرى، كالجنوب مثلاً. كيف تفسرين - وأنتِ الأكاديمية التربوية - هذا الانعزال، وما أسبابه؟

فأجابت: يبدو لي أنها ظاهرة طبيعية أن يميل الناس أكثر إلى الاختلاط بمن يشابههم، وفي الماضي كانت الفروق الثقافية بين المجتمعين النجدي والحجازي

كبيرة وربما كان ذلك عاملا من عوامل عدم الميل إلى الاختلاط، رغم أني شخصياً لا أرى ما تراه من عدم اختلاط النجديين بالمجتمع الحجازي.

سألها مرة أخرى: ولكن بعضهم يعزو ذلك إلى النظرة الفوقية التي تميز بعض الأسر النجدية، إلى الدرجة التي أنهم لا يتقبلون أفراد المناطق الأخرى القاطنين الرياض مثلا.

أقول في ذلك الزمان.. الذي ظهر للسائل (تقوقع بعض الأسر النجدية وعدم اختلاطها بالأسر الحجازية).. لا يعود كما أشارت الدكتورة إلى عزو البعض لسمة الفوقية لبعض الأسر النجدية.. بل في ذلك الزمان.. وهذا عن تجربة.. كانت فواصل اللهجات بين مناطق المملكة.. كبيرة جداً إلى حد عدم القدرة على فهم كثير من الكلام والعبارات.. أيضا كان قليل من الحجازيين.. في ذلك الزمن البعيد.. يرون القادمين من نجد للسكن في الحجاز.. هم نوع من البدو المتخلفين.. كانوا يسمونهم (شروق) لأنهم يأتون من جهة الشرق بالنسبة لمدن الحجاز.. فالانعزال الذي لاحظه السائل.. ليس بسبب عزوف بعض الأسر النجدية.. إنما تداخل بعض الأسباب الآنف ذكرها.

حول السؤال عن التباريح الشخصية للدكتورة عزيزة المانع فيما يخص المظاهرة النسوية وقيادة السيارات.. قالت مجيبة عليه: جاء الموضوع عفوياً دون تخطيط، وأذكر أن إحدى صديقاتي أخبرتني أنها عرفت أن مجموعة من النساء ينوين الإقدام على قيادة سياراتهن بأنفسهن وسألتني إن كنت أقبل الاشتراك معهن، فوافقت على الفور.

طبعاً أنا أصدق الدكتورة بأنها لم تخطط ولا تعلم من خطط لتلك المظاهرة.. ولكن الذي لا يعقل أن تكون المظاهرة هدفها فقط.. قيادة سيارة من قبل امرأة.. هل يعقل أن تكون قيادات فكرية وأكاديمية.. تتظاهر لمجرد المطالبة بقيادة سيارة.. لو كانت المتظاهرات من طالبات الثانوية.. أو حتى طالبات الجامعة.. وليس

الأكاديميات.. لقلنا: نعم، الهدف هو المطالبة بالقيادة.. ولكن نساء على مستوى من الوعي والفكر.. لا يمكن أن يتلخص الهدف من المظاهرة بهذه الشكلانية البسيطة وهي قيادة سيارة.. بل أرى أن المظاهرة كانت جس نبض الشارع والسائد السياسي والديني والاجتماعي.. لتحقيق هدف أشمل وأسمى وأكثر نبلاً وتحريكاً لساكن المجتمع.. هو تحرير المرأة من قيود العادات والتقاليد التي ما زالت تظلم المرأة.. باسم الدين.

وشيء آخر.. لم تقله الدكتورة عزيزة. في هذا الجانب.. فعندما سألها الأستاذ عبدالعزيز القاسم هذا السؤال: دكتورة. اسمحي لي بسؤال خاص. الآن.. في هذا الوقت تحديداً، هل ستوافقين في ما إذا كررت الدعوة لك على المشاركة في مسيرة مماثلة؟

** لقيادة السيارة؟

* نعم

** لا أعتقد، فقيادة السيارة، كانت باباً واحداً من أبواب كثيرة مغلقة في وجوه النساء، وقد جربنا طرق ذلك الباب، وأمامنا أبواب أخرى غيره ما زالت مغلقة في حاجة إلى أن تطرق.

إذن لا مانع من القيام بمسيرات أخرى.. لتحقيق الهدف الأسمى من تلك المظاهرة (التجريبية) وهذا يؤكد ما قالته الدكتورة (أشعر من سؤالك يا أخي عبدالعزيز، أنك لم تطلع على ما كتبته من قبل، ورغم أن تاريخي في الكتابة قصير، إلا أنك لو اطلعت على ما كتبته سابقا وما أكتبه حاليا لما وجدت فرقا يذكر في الخطاب أو في الفكر، وذلك لسبب بسيط هو أني وأنا أكتب لا أفكر إن كان سيرضى عني فلان أو فلان، فما يهمني هو أن أقول ما أؤمن بصوابه، وأن أحسن التعبير عنه) ما زالت الدكتورة تحمل همّ تحرير المرأة.. بدءاً من مظاهرة قيادة السيارة وحتى الآن.. وهذا شيء جميل وهو الصدق في المبادئ.. برغم أن كثيراً من

المثقفين.. ينتكسون لأول صدمة وربما ينحازون للضد من المبادئ التي طالما نظّروا لها.

وصدقت السيدة الدكتورة عزيزة المانع عندما كشفت كيف خدع خطاب ما يسمى بالصحوة المرأة أولاً، والناس ثانياً، من أنه يهتم لمشكلات المرأة وما تعانيه من اضطهاد في مجتمعها باسم الدين.. بل رسخت الصحوة هذا الاضطهاد وشرعنته ففقدت المرأة حتى محاولة التفكير في نقد العادات والتقاليد التي تخضع لها لأن خطاب الصحوة شرعن هذه التقاليد..

قبل النهاية.. أتقدم بشكري للدكتورة عزيزة المانع على هذا الحديث الماتع.. وأشكر الأستاذ الرائع.. الذي أوتي هواية نزع الأقنعة عن ضيوفه وجعلهم يتحدثون وكأنهم في مجالس خاصة فثمة صراحة ورحابة صدر وعفوية.. في جل المكاشفات التي نقرؤها في (رسالة) صحيفة المدينة.

*** كاتب سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١/ ١٢/ ١٤٢٤ هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠٠٤ م

## سليمان الخراشي*:

## (المظاهرات النسائية) أسلوب قديم استخدمه أعداء الإسلام

اطلعت على المكاشفات الأخيرة للدكتورة عزيزة المانع - وفقها الله للخير - ولفت نظري ما ذكرته من أن المظاهرة النسائية الشهيرة التي قادتها هي ومجموعة من النساء كانت عفوية ولم يتم التخطيط لها من أي جهة. وهو ما كان خلافه شبه مستقر في أذهان الناس مما دعا الأستاذ المحاور إلى التوقف عند هذه النقطة كثيراً. وأنا من باب إحسان الظن بالمسلم لن أتوقف عند هذا الأمر، لكني أحببت في هذه المداخلة أن ألفت نظر الدكتورة ومن كان معها إلى أن (المظاهرات النسائية) أسلوب قديم جربه أعداء الإسلام ومن يعاونهم من (الغافلين) لتغريب المرأة المسلمة في عدد من البلاد الإسلامية مستغلين ما يصاحب مثل هذه المظاهرات - عادة - من (عقل جمعي) ينسي المرء تفكيره السوي، ليتم من خلال ذلك تمرير ما يريدون، لعلمهم أن المرأة هي القلب النابض للمجتمع، فإذا فسدت تبعتها الأعضاء الأخرى - إلا ما رحم ربي - والواقع خير برهان. واللوم لا ينال أعداء الإسلام الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ أو قوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ أو قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾. اللوم لا ينالهم بقدر ما ينال بعض مثقفينا ومثقفاتنا من أبناء الإسلام الذين ما زال الآخر يستغلهم لإضعاف مجتمعات المسلمين واحداً بعد الآخر، حتى يجردوها من كل معاني القوة والعزة ليسهل لهم سلب خيراتها وتحريف ثقافتها كما هو مشاهد في المجتمعات التي نجحوا فيها. وهذا الآخر مستعد أن يبذل الإعلام والأموال في سبيل هذا الأمر لأنه يعلم نتائجه المربحة، لكنه في المقابل يقيم الدنيا ولا يقعدها عندما يصل إلى سمعه أن إحدى بلاد المسلمين قد خطت خطوة واحدة نحو التقدم الصناعي أو الاكتفاء الاقتصادي أو الزراعي أو غير ذلك من

مجالات القوة المادية (الحقيقية)، ولا يرتاح باله حتى يئد طموحها ومشاريعها، ولو كان ذلك باستخدام القوة العسكرية.

أعود إلى موضوع (المظاهرات النسائية) التي لم يعرفها العالم الإسلامي إلا بعد أن وقعت كثير من دياره في قبضة المستعمر الكافر الذي كاد وخطط واستعمل كثيراً من الأساليب، من ضمنها هذه المظاهرات التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب - كما سيأتي -!

١ - ففي مصر: انطلقت أول مظاهرة نسائية في العالم الإسلامي زمن الاحتلال الإنجليزي عام ١٩١٩م تحت إشراف ربيب الاستعمار وخليل اللورد كرومر سعد زغلول، وبقيادة زوجته (صفية) مع رفيقتها رائدة التغريب (هدى شعراوي) إضافة إلى مجموعة من النساء القبطيات! وذلك للتعبير عن رفضهن للاحتلال الإنجليزي - كما أشيع! - إلا أن المظاهرة تحولت عن مسارها إلى (الهتاف بالحرية ونزع الحجاب)!! (انظر تفاصيل هذه المظاهرة في مذكرات قائدتها هدى شعراوي، ص١٨٧ وما بعدها، وفي كتاب المرأة المصرية لدرية شفيق، ص١١٩ وما بعدها، وفي كتاب عودة الحجاب للشيخ محمد بن إسماعيل، ١/ ١٥٨ . وانظر صور هذه المظاهرة في كتاب ٥٠ عاماً على ثورة ١٩١٩م، ص١٩٧ (إصدار جريدة الأهرام).

٢ - وفي مصر أيضاً: انطلقت مظاهرة نسائية من مقر (الجامعة الأمريكية!!) عام ١٩٥١م بقيادة درية شفيق وبتحريض من (وزير الشؤون البريطانية)! (انظر تفاصيل هذه المظاهرة في كتاب قائدتها درية شفيق: المرأة المصرية، ص٢٠١ وما بعدها. وليعلم أن درية هذه ماتت منتحرة عام ١٩٧٥م - نسأل الله العافية -).

٣ - وفي سوريا: قامت مظاهرة نسائية عام ١٩٢٦م احتجاجاً على سياسية الانتداب الفرنسي! (انظر تفاصيلها في مقدمة كتاب السفور والحجاب لنظيرة زين الدين، ص١١) ولعلها هي المظاهرة التي ذكرها محب الدين الخطيب في مجلته:

الفتح - السنة الأولى، ٦٤، وتوجد صورها في كتاب: مكتب عنبر لظافر القاسمي، ص١١٣ - ١١٧).

٤ - وفي سوريا أيضاً: بعد المظاهرة الفاشلة السابقة بسنتين عام ١٩٢٨م قامت مظاهرة نسائية بقيادة (ثريا الحافظ) التي كما تقول الدكتورة بثينة شعبان (رفعت - الغطاء عن وجهها كما فعلت مئة امرأة ونيف كن يساهمن معها في المظاهرة نفسها)! (انظر: المرأة العربية في القرن العشرين، ص١٨).

٥ - وفي البحرين: تأخرت المظاهرات قليلاً نظراً لتغير الأوضاع! حيث خرجت في الخمسينيات مجموعة من النسوة بمظاهرة نسائية (سياسية)! إلا أنه - كما يقول الدكتور علي تقي - (قامت إحدى الفتيات بنزع عباءتها وأخذت تخطب في الجماهير)!! (انظر: دراسة حول واقع الأسرة البحرينية، ص١٨).

هذه بعض المظاهرات النسائية التي حدثت في بلاد المسلمين لتكون الخطوة الأولى نحو التردي في (خطوات التغريب) كما اتضح للعيان فيما بعد، قادها الأعداء من خلف الكواليس! وحرفوها إلى ما يريدون، مستغلين غفلة بعض أبناء وبنات المسلمين الذين انساقوا معهم في سبيل تحقيق (نزوة) أو (شهوة)، ولو أدى ذلك إلى خراب بيوتهم بأيديهم، وتسليم بلادهم لقمة سائغة لعدوهم. ولكن لعل ما حدث يكون موقظاً للغالين عن المكر الكبار الذي يحاق لهم. وقد أعجبني في هذا المقام رد جميل ذكي للأميرة الفاضلة فهدة آل سعود حفظها الله - ردت به على بعض الجمعيات النسائية الغربية في محاولتهن استدراجها وزميلاتها في الجمعية الفيصلية للانخراط في مخططاتهم ضد المرأة المسلمة في هذه البلاد، ولكن الأمير الحصيفة قطعت الطريق عليهم لتكون قدوة معاصرة لنساء هذه البلاد الطيبة أن يكن نبيهات لما يكاد لهن وبإمكان القارئ مطالعة هذا الرد الرائع على هذا الرابط (www.saaid.net/female/m120.htm)

**ختاماً:** أهمس إلى الدكتورة عزيزة بقولي إن المرء العاقل قد يتنازل عمّا يراه (مصالح) جزئية في سبيل تحقيق (مصالح) أعظم منها، على رأسها وحدة هذه البلاد وتماسكها في مواجهة عدوها المتربص بها. وأتمنى منها ومن زميلاتها أن يقرأن كتاب (عودة الحجاب) بأجزائه الثلاثة - للشيخ محمد بن إسماعيل المصري الذي وثق فيه معركة الحجاب على أرض مصر لتكون عبرة للآخرين. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وجنبنا وبلادنا الفتن.

*** باحث إسلامي سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠٤ م

## محمد بن أحمد السريحي (*) :

# عزيزة المانع.. وحقيقة الموقف من قضايا المرأة؟

لم تكن المكاشفات التي أجريت مع الدكتورة عزيزة المانع توضح الحقيقة الكاملة التي عاشتها الدكتورة في الفعل العام في مجتمعنا.

لكن تظل النقطة البارزة التي تستحق إلقاء الكاشف عليها في مسيرة الدكتورة، ولم تعط حقها من التوضيح والبيان في حقيقة موقف الدكتورة من وضع المرأة السعودية فعند التأمل في طرح الدكتورة عزيزة المانع على توالي المراحل، ومن خلال الوقوف على الخط العام لمطالب الدكتورة بخصوص شؤون المرأة السعودية نلحظ أن الدكتورة تقفز على الإشكالات الحقيقية التي تواجه المرأة السعودية، وتثير إشكالات دون ذلك، إما من خلال قضايا جانبية تسحبها على سائر المجتمع النسوي مثل قضية الوكيل الشرعي، أو قضايا جزئية تلبسها الدكتورة ثوب العموم مثل قضية الكفالة.

بل في بعض الأحايين تأخذ الدكتورة خطًا عكسيًا وتضع العقبات في طريق حل بعض الإشكالات الحقيقية للمرأة السعودية، فعلى سبيل المثال موضوع العنوسة وهو الهاجس الكبير الذي يقلق المجتمع السعودي نظرًا لاتساع مساحته فلقد أشارت كثير من الدراسات البحثية أن من وسائل حل هذه المعضلة هو التعدد، هذا فضلاً عن رأي الشرع القويم، لكننا نرى الدكتورة تقاتل مقاتلة من أجل النيل من هذا الحل لهذه المعضلة، بإيراد شُبَه أقرب ما تكون للوهم كشبهة شهوانية الرجل!

إن الدكتورة عزيزة المانع تنأى بطرحها عن قضايا حقيقية بالتصدي لمن يهتم بشأن المرأة، فالقضايا التي لها الأولوية مثل قضية عمل المرأة من حيث إيجاد العمل المناسب للمرأة ومن حيث صنع فرص وظيفية أيضًا تكون مناسبة لوضع المرأة في مجتمعنا نلحظ أن هذه الضوابط والمطالب التي تصب حقيقة في مصلحة المرأة نجد أن الدكتورة لا تلقي لها بالاً.

كذلك مسألة البعد الأخلاقي السلبي في وسائل الإعلام الخاص بالمرأة والذي له تأثير سيء جداً في واقع المرأة نلمس أن الدكتورة تمر عليه مرور الكرام!

كذلك موضوع تعليم المرأة من حيث ربطه بالأسرة وتوظيفه لمصلحة الأسرة التي عمادها المرأة نبصر أن الدكتورة ليس عندها أدنى اكتراث بهذا الموضوع!

إن الدكتورة عزيزة المانع تهتم وتتصدى لقضايا لا ننفي عنها صفة الإشكالية لكن ليست لها حق الأولوية في الطرح بهذه المساحة وبهذا التضخيم كقضية وضع المرأة في المحاكم الشرعية، فالرائد لا يكذب أهله، وازدحام المطالب مع تسارع الأحداث يحتم علينا تقديم الأهم فالأهم.

إن الدكتورة عزيزة المانع تقول إنها ليست متأثرة بالنموذج الغربي في موضوع المرأة بينما واقع طرحها يخالف هذا القول، فغالب حديثها عن موضوع استقلالية المرأة والمطالبة بتماثل المرأة مع الرجل في كثير من الأمور بغض النظر عن المآل الحقيقي لهذه الأمور.

إن الدكتورة عزيزة المانع وغيرها ممن يسيرون في خطها يهتمون فقط بالجانب الإيجابي للمطالب التي يطرحونها دون النظر إلى الجانب السلبي والموازنة بين حجم المفاسد والمصالح وأيهما يغلب، فإن هذا الميزان يغيب عن طرح الدكتورة عزيزة، فمثلاً موضوع إذن ولي الأمر في السفر واستخراج البطاقة الشخصية لا تنظر الدكتورة إلى الحجم الكبير للمفاسد والسلبيات التي تتجاوز مساحتها مساحة المصالح بدرجة كبيرة جداً حين يُلغى هذا الإذن، ويُقاس على ذلك كثير من الأمور.

وهذا كله عائد إلى أثر النموذج الغربي للمرأة والذي يسير في طريق المماثلة بين الرجل والمرأة في شتى جوانب الحياة (الجندر).

*** باحث وداعية إسلامي سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م

## د. عبدالله البراك(*) منافحاً عن إسهامات الصحوة:

# لا .... يا دكتورة عزيزة.. فهذا ليس من العدل

**مدخل:**

يجب أن يعلم القارئ أن هذه المكاشفات حينما بدأت (في البلاد سابقا، والمدينة حاليا) كان مراد مهندسها " عبدالعزيز قاسم أبي أسامة " الكشف عن جوانب من شخصية وآراء الضيف، فالبعض يسمع عن الضيف، والآخر يروي له فتكون المكاشفة كالمعاينة، مغلف بالصدق والمحبة والحرص والموضوعية، ومن لا يعرف أبا أسامة يظن أنه في هذه الحلقة أسير ومقيد، كما ألمح بعض الفضلاء إلى أن المكاشفة أصبحت سرداً تاريخياً وهذا لم يعهد؟

وسأجيب عن عبدالعزيز بما أظنه الصواب:

- لم يدخر أبو أسامة وسعاً في تقليب الضيفة من هنا ومن هناك، وقيل، وكنتم.. وليس أدل على التحضير للدرس جيداً من معرفته بأسرة آل مانع، ورجالاتها.

- وضع للدكتورة - فيما يظهر - أكثر من أحبولة ولكنها استطاعت الخروج بكلمات يسيرة، وهي محطات مهمة في حياة الضيفة فيها فوائد وعبر خذ مثلا: الدراسة... وما فيها من غموض.. أهم من ذلك الابتعاث، وحال المبتعثين، وخاصة السعوديين ومن المنظّر لهم والداعم... وأين موقع الزوج، ثم كيف تفسر التحول بعد العودة؟ سطور قليلة لا تكفي.

- رسالة الدكتوراة لماذا لم تكشف لنا بكل وضوح ما فيها من آراء وتوصيات فالأمر لم يعد سراً، وقد تحدث الناس بما هو أكبر من هذه الجزئية.

*** تعليق:**

المفترض في الأستاذة الأكاديمية وهي ممن يعي ويفهم معاني المصطلحات ودلالتها أن تبتعد عن عبارات: لم تفعل أي شيء، لم تقدم شيئاً، كل الناس.....

والمفترض في المنطق العلمي المنهجي عند الأكاديميين ذكر الأدلة والشواهد والتعليلات مع ذكر الأرقام !

وهي في حديثها عن الصحوة الإسلامية - ولي تحفظ على مصطلح الصحوة - ترميها أي الصحوة بأنها صمتت وهي ترى الأذى الذي لحق بالمرأة.. وتعليقي على الكلمة بالآتي:

١ - أوافق الدكتورة في أن الخطاب والتوجيه للمرأة في أول أمره كان مركزاً على قضايا معينة، وله سبب يعرفه من كان يفهم طبيعة المجتمع النسائي السعودي، فهناك ترك لبعض الأوامر، وهناك ارتكاب وتساهل لبعض النواهي، غلف بالعادة والإلف، وبعضها عن جهل..

٢ - نعم كان التوجيه تغلب عليه العاطفة، ولاغضاضة، نعم طغت ثقافة (الكاسيت) كما يحب أن يسميها بعض الشانئين، وبعض حدثاء الأسنان في الصحافة، ولكن لم يكن كله شراً، وكان أوسع سبيل في ذلك الوقت...

**الأخت الفاضلة د. عزيزة:**

الأمور تغيرت، ولا يمكن ولا يعقل أن يحمّل العلماء والدعاة كل ما يقع من ظلم وإجحاف له أسبابه الداخلية والخارجية، هذا ليس من العدل والعلم، ولكن اسمعي بعضاً مما أعرف من ذهني من غير تتبع رداً على تحميلك هذه الفئة التقصير في حق المرأة:

* التوجيه الآن أصبح يخاطب نواحي المرأة (التفكيري، الشعوري، السلوك)

* الخطاب لم يعد يخص فئة دون فئة، هناك توجيه - بحمد الله - لكبيرات السن

وبعضهن أتم حفظ القرآن وكثير منهن عرف الكتابة والقراءة، وهناك توجيه لطالبات التعليم العام، وطالبات الجامعة ويتولاه نخبه من الأستاذات، يهمهن أمر العباد والبلاد.

* ماذا تقولين بورش العمل التي تعقد في التقنيات الحديثة. أوالدورات التدريبية للمقبلات على الزواج، أودورات برنامج العلوم النفسية، - من هم القائمون على الجمعيات الخيرية؟ من هم القائمون على مشاريع الزواج، وإصلاح ذات البين؟ هل تريدين أن أحدثك عن عدد طبعات بعض الكتب !!!!!

وأنا لم أحدثك عن المجلات النسائية السعودية (أسرتنا، الأسرة، المتميزة، الشقائق، حياة..) يكفي أن تري مواقع الإنترنت (نساء، أو رجال) الزوار بالملايين دون عدد النقرات ! دون أن أنسى موقع (لها أون لاين بإشراف الفاضلة د. رقية المحارب).. د. عزيزة.. هل هذا يعد شيئاً - عندك -؟

وأخيرا الملتقيات النسائية العامة في مناطق مختلفة وهذه المناشط تقام في الهواء الطلق وعلى الملأ دون رسوم!!!!! وتعقد في أماكن عامة وليست أماكن خاصة لنخبة خاصة تحصل بموجبه المتدربة على شهادة في الملتقيات.

**مداخلة:**

ثم أسأل الكاتبة هل من نعتتهم بالتقصير هم سبب مشكلة الجهل والأمية التي عند النساء اللواتي لا يعرفن من حقوقهن شيئا؟ أم هم المسؤولون عن ظلم الأزواج الأجلاف في أداء حقوقهم تجاه نسائهم وأولادهم؟

أم يغيرون ما تسير عليه المحاكم الشرعية ويقومون بتفريغ بعض القضاة للضرب بيد من حديد على بعض المتلاعبين!

* هل هناك أكثر من التوجيه اليومي في المساجد، والجمع، والأعياد، وفي الصحف ثم من التناقض أن تطالبي الصالحين بالحل وتقولي قبل (إن العلماء.. لا تزال تبدو في خطابها متشبعة بالفكر التقليدي).

## خاتمة:

أرجو من الدكتورة أن تخرج قليلا من القمقم المحاطة به لترى كيف يسير التوجه العام فأنا والله من محبي التفاؤل، فإذا كانت المظاهر السابقة (شيخوخة) ففي تصوري أننا في بداية ترتيب الأوراق.. وإزالة الجفوة التي ضخمناها ... وتمييز العدو الخالص، والعدو الذي بالتبع، والعدو تقليداً...

أسأل الله أن يستعمل الجميع في طاعته.

* **أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م

## عبدالعزيز الخضر*:
# قضية " قضية المرأة "

حينما أخبرني الزميل الفاضل عبدالعزيز قاسم بأنه سيجري حواراً مع الدكتورة عزيزة المانع، الاسم الأكثر حضوراً في قضية المرأة محلياً. كان في مخيلتي أن الحوار سيولد على الطريقة التقليدية في أن نقول ما يوافق السائد.. وأن تحصر الخلافات في شكليات إعلامية، لا معنى للوقوف عندها. لأن المتابع لصحافتنا المحلية منذ زمن بعيد سيجد أن الحوارات تشكلت وفق قوالب تزودنا بالمقدرة على التنبؤ ما سيقوله هذا الضيف أو ذاك، حول قضايانا الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية.. ولا يخرج عن هذا النمط إلا من كان أكثر حيلة وذكاء في إيصال رسالته إلى جمهور يراقب درجة استقلاليته وصلابة موقفه في وجه من يختلف معهم. وفي مثل هذه الحوارات السائدة في إعلامنا يفقد الباحث كثيراً من المعلومات المهمة التي توثق لتاريخنا وتحولات فكر المجتمع السعودي، فيلجأ إلى تقوية حدسه وتقوية مهارات فك الشفرة لقراءة ما بين السطور وتركيبها مع طبيعة الشخصية للخروج برؤية متكاملة حول قضية من القضايا..! هناك استثناءات متعددة منها هذه المكاشفات الناجحة، وإن كانت لا تخلو من الملاحظات، إلا أنها تستحق الإشادة باعتبارها من أفضل الأعمال الصحفية الحوارية التي نقرأها في صحفنا المحلية، و تشير إلى أن خلفها صحافي متمرس وصبور أعاد للأذهان مجد صحافيّي الأمس بعد أن شهدت صحافتنا موجة من الكسل الصحفي أسهمت فيه ثورة الاتصال. وحينما أسررت إلى الزميل بإعجابي بقوة حواره هذا، إذا به كصحفي يجيد التوريط يلزمني بمداخلة حول الحوار ولم يشفع لي تأخر التعليق في إعفائي منه.

الحوار كان ناجحاً بالجملة من الضيفة التي فعلاً.. كانت عزيزة كما هو اسمها.. حيث نلمس بعض الصلابة في إجاباتها وندرة التناقضات. المحاور كان هو

الآخر ناجحا واستطاع بمهاراته إذابة عقدة إعلامية عند الصحفي المحلي في لقائه بالقيادات الثقافية النسائية في وسطنا الثقافي، فلم يكن الحوار هاتفياً أو فاكسياً جامدا، وقد لفت انتباهي ذكاء الزميل في مقدمة الحوار في عرضه القصصي لطريقة الحوار وبداياته ومشاهد الزيارة من أجل الحوار ليكسر الحواجز ويخفف من تضخم الخيالات السلبية عند بعض القراء المحافظين، وقد نجح في ذلك دون أن تتحول إلى أزمة فضيلة..! وقد يظن البعض أن هذه قضية هامشية في الحوار، والواقع أنها خطوة كبيرة من ملحق الرسالة التي يقرأها قطاع عريض من الإسلاميين، وهو مؤشر على أن قضايانا المحلية تعتمد على طريقة العرض أكثر من الفعل والمضمون ذاته، وربما لو قام بهذا العمل صحفي آخر يمتهن الاستفزاز لتحولت طريقة الحوار إلى مؤامرة على الفضيلة.

الحوار كان في جزء كثير منه توثيقاً واستعراضاً تاريخياً لتحولات المجتمع المتعلق بالمرأة، لكن كما هو متوقع يبدو أن هناك أسئلة مفقودة.. أو شيء غير صالح للنشر خاصة فيما يتعلق بحادثة القيادة الشهيرة. ومع صلابة الضيفة الكريمة واعتزازها بآرائها إلا أنها أكدت أن الاختلاف بينها وبين التيارات النسائية المحافظة ليس في المنطلقات والأصول وإنما في الفروع.. وهو خلاف تحت سقف الشريعة، ومع ذلك توقع البعض في أذهانهم في الماضي أن لدينا نسخاً من نوال السعدواي.. لتبدو المعركة أكثر إثارة. لكن الخطأ في التصور جاء في البدء من قيادات الصف الأول النسائية في مجتمعنا حيث فشلن في صياغة أزمة المرأة السعودية مع المتغيرات المعاصرة التي لا زالت نقطة توتر اجتماعي كبير.. فلم تعد لدينا قضية للمرأة فقط، وإنما أصبحت " قضية المرأة " قضية أخرى مركبة لا علاقة لها بالمرأة ذاتها، وإنما أداة من أدوات الصراع بين التيارات.. لهذا نحتاج لإعادة تأسيس المقدمات في فهم التحدي الذي يواجه المجتمع وهو تحدٍّ من التحولات الكونية المحيطة، وليس مع ما يطرحه هذا الكاتب أو ذاك المفكر. ولم تصل المجتمعات

العربية وخاصة مجتمعنا إلى مرحلة مريحة في تصورنا الجمعي، وتقنين اختياراتنا لمسألة المرأة. وهي تبدو كمشكلة السياسة في ثقافتنا الإسلامية حيث صعوبة إسقاط النموذج الذهني المثالي مع الواقع المتمرد دائماً على أمنياتنا. وفي كلتا الحالتين فإن شهوة السلطة والمرأة قد تعيق النظر الموضوعي وتشكك في علمية ما يطرح. نحن أمام أزمة قياس بين مجتمع صغير في العهد النبوي حيث الحياة الفطرية وبين واقع حضاري قفز إلى ما يبدو أنه لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. وهنا مكمن التعقيد وصعوبة المقارنات وسنكتشف أن كثيراً من خياراتنا ستحط قيمة من القيم، "إن من العبث كل العبث أن نتخيل حضارة لا تحط شيئاً، وكل ما نتمناه هو أن يلبس الحط أشكالاً يمكن تحملها" (ريمون رويه). لهذا ففي الحياة الريفية والقرى لا تحضر أزمة المرأة كما في المدينة.. فالقياسات المباشرة مع العصر الأول أسهل، ولو تمت القياسات مع عصر الثقافة الإسلامية في العواصم الكبرى المتمدنة في عهود الخلافة، لما أصبحت هذه القياسات في مصلحة التيار المحافظ، الذي سيكتشف أنه بحاجة إلى إعادة تأسيس لرؤيته للحياة حتى لا يجني على كمال الشريعة التي يرى صلاحيتها لكل زمان ومكان.

اعترفت الضيفة الكريمة بصعوبة تغيير العادات الاجتماعية وهو ما يبدو أنها رؤية تقابل رؤية سابقة لها. في تقديري أن الخطأ الذي وقع فيه التيار المحلي المناصر لقضية المرأة في مجتمعنا، وبالذات العقلاء منهم هو صناعة مقدمات خاطئة جاءت من التعالي على فكرة العادات والتقاليد وبحجة الفصل بين ما هو عادة وتقليد وبين ما هو محسوب على الدين، وبمجرد وجود رأي شرعي أو قول من الأقوال في عدم التحريم نلجأ إلى السخرية بهذه العادة أو تلك.. أو تلك المنظومة من الأعراف بحجة التجديد وعدم مخالفتها للشرع. هذه المقدمة البدهية في منطقيتها والتي تغري من يحملها بأنه تنويري وأيضاً لا يخالف حقيقة الإسلام.. ويظن أنها كافية لرفع صوته بتغيير هذا الفكرة أو تلك العادة. إن العادات أو

التقاليد لا تجد من يحامي عنها علانية لأنه تظهره وكأنه قادم من البادية، والواقع أنها في كثير من الأحيان تفوق في قدرتها على تقييد السلوك الإجتماعي الدين ذاته، حتى وإن تظاهراً بذمها علانية، وأحياناً يعطيها مسوغاً دينياً ليستطيع الدفاع عنها. هذا المدخل في احتقار العادة مبدئياً حين لا تجد ما يسندها شرعاً والذي لا يجرؤ على مواجهته المثقف التقليدي من كل اتجاه، هو في الحقيقة مليء بالثقوب العلمية وقادنا إلى تأزم أكبر في وضع المرأة.. والدخول إلى رؤى متطرفة.. فمن أجل إيقاف هذه الفكرة التي تريد ضبط ما لا ينضبط بحجة الفصل بين العادة والدين.. وفصل أمور اجتماعية متداخلة لا يستطيع الوعي الشعبي التمييز بينها، احتمى الطرف الآخر المحافظ، في عملية لا شعورية أدى به إلى شرعنة وأسلمة كل شيء يتعلق بها.. وهو نوع من التعدي على الشريعة جاءت به البراءة والسذاجة العلمية لدينا، وبعد زمن وجيز وجدنا أنفسنا أمام طريق مسدود.. لا يرضي المحافظ، ولا داعية التحرر أو التنويري، وهو وضع سيرتد ضد مصلحة الجميع.. لأن عملية التلفيق والترقيع العشوائي هي الثقافة السائدة في قضية" قضية المرأة " التي أخرجت تفكيرنا عن القضية الأساس.

ولهذا لاحظت أن الضيفة الكريمة، والذين علقوا على موضوع الولاية من الناحية الشرعية لديهم المشكلة ذاتها، في محاولة انتقاد هذا المسالة التي تراعيها الأنظمة من منطق فقهي بحت.. في الحجة والحجة المضادة، وكأن الأنظمة يعيبها أن تراعي عادات وتقاليد الأسرة في بلد ما، منعا لحدوث أزمات اجتماعية أكبر، وزيادة انشقاق الأسر.. ولست هنا معنيا بالنتيجة حول الولاية بقدر الإشارة إلى الطريقة التي أوصلتنا إلى أزمة عقلانية أدخلتنا في مهرجانات خطابية بين كل فريق باسم الإسلام.. وهي أسلمة متقابلة يعززها كل طرف، وكأن منطق الواقع وأسئلته الحقيقية مهملة هنا.

عموما هناك جوانب حية في الحوار كنت أتمنّى أن أجد لها تفصيلاً أكبر أو أسئلة أوضح، فيقدم المحاور أسئلة عن رأيها في طرح العديد من المثقفات العربيات

المهتمات في قضية المرأة التي يتراوح طرحهن بين التطرف والاعتدال. وأيضا تجربة الحركات النسوية في الغرب، وإن كانت عبرت عن عدم إعجابها بحركة التغريب، إلا أن هذه الإجابة لا تميز اختلاف موقفها عن التيار المحافظ، فكنا نحتاج قولاً أكثر دقة من باحثة أكاديمية، حيث تتجاوز الكلمة الانطباعية من إعجاب وعدم إعجاب مطلق إلى تحديد وإشارة لمنهجية في الرؤية لتجربة الآخر.

وكنت آمل أيضاً معرفة تفصيل أكثر حول رسالة الدكتوراة التي كانت عن تعليم البنات، وهل تمت طباعتها، أو فكرت بذلك، وكيف نستطيع الاطلاع على هذه الرسالة.

*** إعلامي سعودي ورئيس تحرير مجلة (المجلة)**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٠ / ٢/ ٢٠٠٤ م

## الباحث الشرعي د. جميل اللويحق*:
## الصحوة الإسلامية للمرأة قدمت الكثير ورفعت قدراً هائلاً من الظلم عنها

* أرجو أن تتحفنا الدكتور عزيزة باسم واحد فقط من أهل العلم بأنه كفر أولئك النسوة.. فلماذا هذه المغالطة؟!

* علاج الرجل لزوجته واجب؛ لأن العرف يقضي بذلك، فهو كالشرط المسبق للعقد.

نشرت الرسالة خلال الأسابيع الماضية سلسلة من حلقات المكاشفات التي أجراها عبدالعزيز قاسم مع الدكتورة عزيزة المانع، والواقع أنني استمتعت بالمستوى الذي خرجت به هذه الحلقات من جهة لغة الطرح وجمال العبارة والهدوء الذي اتسمت به الدكتورة عزيزة، ووضوح رؤيتها في بعض القضايا مما ينم عن عمق فهم، بالإضافة إلى ما لامسته في بعض الفقرات من مشكلات هي بحق مما ينبغي علاجه ومن حسنات تلك المكاشفات - التي تحسب لضيفتها - أنها تذهب إلى أن الغالب على مجتمعنا الآن هو تيار الاعتدال والوسطية. وهي تقول هذا في وقت يغالط فيه بعضهم ليجمع التيار الوسطي الواسع مع الفئة القليلة المتطرفة لأهداف لا تخفى، وكانت أيضاً واضحة حينما قالت إن مناهجنا التعليمية الدينية سالمة من تهمة التسبب في التطرف والغلو، وواضحة أيضاً في التشنيع على البعض ممن تيمهم حب الأمريكي فزادت - في هذه الأيام التي انكشف فيها وجه أمريكا - درجة تعلقهم بها، واشتغلوا بالتبرير لها ومثلت بعبدالرحمن الراشد وأحمد الربعي، وكانت في منتهى الحصافة والدقة حين شككت في تغير فكر القصيبي في مرحلته الحالية برغم بعض مواقفه، وبررت له التغير الظاهر وأصابت عموماً في أن ظلماً وقع على المرأة من جهات ثلاث هي بعض الأنظمة وبعض التقاليد، وعجزها عن تحصيل حقها بالوسائل القانونية أحياناً.

ولكن الدكتورة طرحت خلال تلك المكاشفات بعض القضايا والأفكار التي تحتاج إلى مناقشة، وأعتقد أننا حين نطرح هذه القضايا للمناقشة على الملأ وقد طرحت على الملأ نمارس إنضاجاً مطلوباً لها، ونوجه القارئ إلى الحق فيها، ونمنع الخلط والتشويش فيها، ولذلك فسأختار بعض هذه القضايا وأخص ما كان منها ألصق بشخصية الدكتورة تاريخياً، أو كان مرتبطاً بقضية المرأة في بلادنا.

## * ما تريده عزيزة المانع للمرأة:

يتلخص ما فهمته من كلامها في هذه النقطة بقصد مفهوم القوامة على أضيق الأمور، وترك المجال للمرأة لتتحرك بدون قيود تحد من شخصيتها واستقلاليتها، وتمثل لذلك بتسنم المواقع القيادية مهما كبرت. وعدم إلزامها بموافقة ولي أمرها في شؤونها كلها إلا الزواج، والتفريق بين التقاليد والدين في القضايا المتعلقة بالمرأة.

والواقع أنها كانت موفقة حين طلب منها أن تصف النموذج الذي تريده للمرأة فقالت (هو نموذج متفرد منبثق من المبادئ والقيم الإسلامية الصحيحة، يعكس الصورة الحق للمرأة المسلمة في مجتمع مسلم عادل غير منحاز).

وما ذكرته الدكتورة في موضوع الحقوق الشرعية للمرأة واعتراضها على بعض القضايا يمكن تلخيصه في الأمور التالية: انتقادها لتوسيع مفهوم الولاية، وهو منحصر في الأصل في التزويج ليتناول قضايا أخرى، وضرورة دخول المرأة في التصور الفقهي الخاص بقضايا المرأة الذي تبنى عليه الفتوى، ومثلت بما تراه خللاً فقهياً من عدم التزام الزوج بعلاج زوجته المريضة. ودار مجمل حديثها حول هذه القضايا وأحب أن أذكر الدكتورة الكريمة أن الإسلام حفظ للمرأة حقوقها واستقلالها، وجبل لها شخصيتها حتى في موضوع النكاح نفسه الذي اشترط الولي لإتمامه، فلا يصح على الصحيح إلا بإذنها وموافقتها، ولها فسخه إذا أجبرت عليه عن طريق القضاء، والحديث في هذا الباب واسع متشعب ليس هذا مكانه يقول تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ والوصية التي

كررها صلى الله عليه وسلم في أعظم جمع في عهد النبوة أثناء الحج كانت بالإحسان للنساء وحفظ حقوقهن.

وأما القوامة التي جعلها الله تعالى للرجال على النساء في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فهي خاصة بالأزواج، ومعناها أن يقوم الرجل بكل ما من شأنه حفظ امرأته وتأديبها ومنعها من البروز، وأن عليها طاعته في ذلك وقبول أمره فيه ما لم يكن في معصية، وعلل ذلك بالفضيلة للرجل على المرأة في أصل الخلقة، وبما توجبه النفقة من مقابل، وله عليه حينئذ حق النفقة والرعاية لكونها قد حبست منافعها عليه، وامتنعت من الاكتساب والتصرف بغير إذنه، والفقهاء يقولون: إن كل من احتبس لمنفعة غيره، وجبت نفقته في مال ذلك الغير، ولا يعني هذا بحال إلغاء شخصيتها واستقلالها، ولكنه يفيد توقف الأمر على إذن الزوج إن كان ما تطلبه المرأة يذهب ببعض حقه في الوقت أو البقاء أو القيام بالولد أو نحو ذلك.

ولذلك فمتى ثبت إضرار الرجل بالمرأة وتجاوزه ذلك كان لها شرعاً أن تطالب بحقها بل يذهب بعض الفقهاء كالمالكية والشافعية إلى أن ما تطالب به المرأة من الطاعة والاستئذان متوقف على وجود النفقة، ومتى أعسر كان لها المطالبة بالفسخ.

وفي هذا السياق تعجبت الدكتورة من رأي بعض أهل العلم من المعاصرين بعدم لزوم معالجة الرجل لزوجته، ولو كانت من أهل التخصص لزال عجبها فما قال به هذا العالم عليه أكثر الفقهاء المتقدمين، لأن النصوص الشرعية الموجبة للنفقة نصت - لا كما قلت الدكتورة - على المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وإيجاب قدر زائد عن ذلك على الزوج يتعلق بذات المرأة سواء كانت في بيت زوجها أو غيره أمر يحتاج إلى نص. ولعل الدكتورة لا تعلم أن الأصل براءة الذمة من الواجبات وأن على من أوجب شيئاً أن يأتي بالدليل، وهذا القول وارد من جهة النظر، على أننا ونحن نقول ذلك نشير إلى أنه لا أحد من هؤلاء المتقدمين أو المتأخرين أخرج بذل الرجل

ونفقته لعلاج زوجته من دائرة الإحسان المطلوب الذي تقتضيه آداب العشرة والرحمة والنزاع إنما هو في إيجاب ذلك مع عدم الدليل. وفي المسألة رأي آخر بالوجوب وآخرون يذهبون إلى التفصيل والتفريق بين أنواع المرض، أو زمن حدوثه من جهة كونه نشأ قبل الزوجية أو بعدها.

وأما فيما يتعلق بهذه المسألة في عصرنا فأرى شخصياً أن علاج الرجل لزوجته واجب لأن العرف المستقر يقضي بذلك، فهو كالشرط المسبق للعقد، والمعروف عرفاً كالمشروط شرطاً، وفي هذا تطبيق للمسألة على واقعنا، وهو ما دعا الدكتورة لاستنكار الرأي الآخر وتصورها أن ذلك لشيوعه مما يوجبه العقد بنفسه وأما ولاية غير الزوج كالأب والأخ الأكبر ونحو ذلك للمرأة فهو وإن اختلف في تصويره الفقهي من الصور المكرمة للمرأة وليس مما يحط من قدرها، وهو من أسباب حفظ المجتمع وصيانته لا من صور ظلمه وإساءته للمرأة، والممارسات الخاطئة لا يخلو منها زمن، ولكن الدكتورة الكريمة نظرت إلى بعض المشهد وأغفلت الآخر، وما المانع أن توكل العناية بالمرأة لوالدها مثلاً، فيعينها على نفسها ويحفظ كرامتها وهو مطالب بالإنفاق عليها، وممنوع من عضلها، ولا يملك أن يمنعها من حق، ولا أن يطالبها بما ليس له من مالها أو وقتها. وهل ثمة صورة أخرى غير هذه إلا أن يترك الأمر بلا ضابط ولا فطام.

وربما أتيت الدكتورة في هذا الجانب من عدم تخصصها في هذا الباب، واقتصارها على رؤية عامة خارجية وليس هذا هو الشأن في قضايا الشرع التي كادت أن تكون كلأ مباحاً هذه الأيام.

وأما دخول المرأة في التصور الفقهي الذي تبنى عليه الفتوى فأمر لا يخالفها فيه أحد، وليت المرأة المثقفة المعاصرة تسهم في هذا الباب بعد أن تتمكن من الآلة العلمية وتمتلك القدرة الفقهية، وما أكثر المسائل الشرعية التي يحار فيها الرجال تصويراً وإفتاء تبعاً لذلك مما يخص النساء. وهذه المطالبة هي من الصواب الذي تشكر عليه.

## * دور تيار الصحوة في قضية المرأة:

تزعم الدكتورة أن تيار الصحوة لم يفعل للمرأة شيئاً وتؤكد على أن ذلك لم يكن من أولويات الصحوة. وربما كان ثمة تقصير فعلاً في خدمة قضية المرأة المسلمة في هذا العصر بالذات من جهة طرح حلول عملية لمشكلاتها وتطوير واقعها لجهة مواجهة ضرورات العصر مع بقاء ثوابتها وأخلاقها التي جاء بها الإسلام، وجاءت بها العادات المجتمعية الحميدة.

ولكن أذكر الدكتورة بأن الصحوة المعاصرة قد رفعت قدراً هائلاً من الظلم كانت المرأة واقعة تحته في بقاع كثيرة من بلادنا ومن غيرها في شكل حرمان من الإرث وظلم بين وحرمان من كثير من الحقوق وغياب للاحترام في المعاملة، وقصر لفرصة الزواج على قريب معين، وحرمان من بعض ما أباحه الشرع من النظر للمخطوبة، بل وعدم استئذانها في أمر الزواج، فضلاً عن أن يكون لها دور في الدعوة إلى الخير ونشره، وهو ما بعثته الصحوة من خلال المناشط الدعوية الكثيرة الآن والتي تنوعت في صورها ودخلت في طور الإبداع والابتكار والمواكبة لروح العصر واستفادت من تقنياته فلماذا أغفلت الدكتورة كل هذا؟ بل إن تيار الصحوة هو الذي أسهم في ترشيد مسيرة تعليم المرأة وترقيها حين كان تعليمها في أول الأمر في نظر الكثيرين تجربة تحتاج إلى سياج يحوطها من الروح الإسلامية وهو ما تحقق بفضل الله تعالى حتى قامت على سوقها وآتت أكلها.

وليس الشأن في مصادرة إنجازات الصحوة المعاصرة هو ما فعلته الدكتورة هنا بل هو سمة سائدة عند طائفة كبيرة من المثقفين الذين ينظرون من زاويتهم الخاصة ووفق مقاييسهم الشخصية، ويتجاوزون في ذلك إلى درجة استغفال القارئ والتلاعب بالتاريخ. ولعل المناهج التي درسها أبناؤنا منذ عهد الملك فيصل إلى اليوم بروحها الإسلامية المعتدلة وأفقها الواسع هي ثمرة من ثمرات الصحوة المباركة مع ما يراد الآن من نكران هذا المعروف وتغييب أثره الحسن.

وأما ما ذهبت إليه الدكتورة من أن تيار الصحوة الآن يمر بمرحلة شيخوخة فهو تقدير شخصي ربما اختلط ببعض المشاعر وأنا أطمئنها بأن تيار الصحوة قد تعرض لبعض الصدمات والتغيرات والتشويه ولكنه لازال فتياً بل هو ينضج على الدوام بعد كل تجربة وهو متجذر بصورة ليس من الإنصاف والواقعية انكارها، وهو في الحقيقة يحمل رؤى هي قدر هذه الأمة، وهي طريقها الوحيد، وخصوصاً في هذه البلاد وهو مع هذا كله يحمل في جانب التطبيق والعمل قدراً من الاجتهادات البشرية التي تحتاج إلى نقد وتقويم وهو أحوج ما يكون إلى ذلك في يومه هذا حيث تمايزت الصفوف واقترب الأعداء وزالت القدرة على الانفراد والانعزال الوقائي، وحري بمثل الدكتورة أن تنضم هذا الركب المبارك، وأن تسهم في رسالته بقلمها وعلمها فهو مقتضى اعتزازها بدينها وانتسابها إليه، وهو الأليق بها في هذه المرحلة العمرية ولعل ذلك يكون سبيلا لاكتشافها لصورة أخرى واستمتاعها بتوافق حياتها مع متطلبات آخرتها في الصورة المثلى، ولست بهذا أنسبها إلى سوء ولكن مثلها من المثقفات ينتظرهن هذا الركب بعينه وهن أحوج إلى سلوك طريقه من حاجتهن إلى أي شيء آخر.

### * الدكتورة ومظاهرة النساء:

استوقفني هذا الجزء من المكاشفات، وقرأته أكثر من مرة وتعجبت كيف نزل مستوى الدكتورة في هذا المقطع إلى هذا الحد من الالتفاف والغموض بل واستغفال القارئ وكنت أتمنى أن أجدها واضحة صريحة، فالتاريخ هو التاريخ وأعتقد أنها الآن في أفضل وقت يمكن أن تبوح فيه بحقيقة ما جرى.

فهي على سبيل المثال قصرت هدف النساء في تلك المظاهرة على المطالبة بقيادة السيارات وأرادت أن تقنعنا أن ذلك العمل المنظم وما تبعه من تضحيات والتي كان منها منعها من العمل لأكثر من عامين كان فقط لأجل تمكين المرأة من قيادة السيارة!! هل يستحق هذا الأمر يا دكتورة كل هذه التضحيات أم إن هذا

الثمن كان يمكن أن لا يدفع لو اكتفت كل واحدة منها بسيارتها التي يقودها من يقودها لتذهب بها حيث شاءت. هل تريد أن تقول إنه لا رسالة أكبر وراء ذلك وتريدنا أن نصدق ببلاهة هذه الدعوى.

أقول ولربما كان ما تبع تلك الحادثة من رفض عارم جعل الدكتورة تتهرب في أسئلة لاحقة عن مسؤولية المشاركة في التخطيط والتنظيم ويكون تعليلها أنها لو أرادت التخطيط لشيء لكان أكبر من مجرد المطالبة بقيادة المرأة للسيارة!!

وهي تقول إن الأمر جاء عفوياً دون تخطيط ثم تشرح لنا شيئاً من الخطة التنفيذية بعد ذلك.. وهو خلاف مقتضى العفوية، فهي تلقت اتصالاً يطلب منها المشاركة فوافقت مبدئياً، ثم تلقت آخر بعد أسبوعين ليحدد لها الزمان والمكان وطريقة التحرك، ثم إن العفوية التي تم بها هذا الأمر جُمعت لتنفيذه سبعٌ وأربعون امرأة، وكأن اجتماع هذا العدد لأمر مثل هذا كدعوة عرس بل إن النساء عندنا يخططن لأعراس ربما لأسابيع، فكيف الحال في مثل هذا الأمر، وكان من الخطة التنفيذية أن تقبع في كل سيارة بضع نساء، ويزل لسان الدكتورة بقولها (توقعنا) هكذا، أن ندان بالقيادة مع عدم وجود رخصة فجعلنا القائدات ممن يحملن رخص قيادة.. وهي هنا تظهر جزءاً من مشاركتها في الإعداد، وهي مع نفيها للتخطيط تقول في موضع متأخر إنها لا تعرف من خطط - تقر بالتخطيط - ولا يهمها أن تعرف من خطط!!

كان الأجدر بالدكتورة أن تكون واضحة بدل أن تتحدث بعد هذه السنوات بمثل هذه الرواية الركيكة والتي بلغت الغرابة فيها حداً لا يقبله عاقل حين تريد أن تفهمنا الدكتورة بأن هذا العمل وما وضعها فيه من عناء وما ترتب عليه من تبعات والتي كانت فيه في موضع القلب أنها لا تعرف من خطط له ولا يهمها ذلك.

وأما زمنه فلا يمكن أن نفهم منه إلا أنها انتهازية بالغة في ظرف كان البلد كله مهدداً، فربما كانت حالة الضعف تلك أفضل الأزمة للضغط، أما عند حديثها عن

تبعاته فهي تقع في مغالطة تاريخية كبيرة ربما اتكأت في طرحها على بعد المدة وقدم الحادثة لتقدم لنا المعارضين لما جرى في صورة سيئة جداً، وكاريكاتورية في شق منها، فهي تقول: (أصيب بعض الناس آنذاك بسعار تكفيري للسائقات وأقاربهن ومن يؤيدهن، بل لكل من لا يجرمهن، حتى كاد لا يبقى مسجد في الرياض وغيرها من مدن المملكة إلا واكتظ بالمطبوعات وأشرطة الكاسيت والخطب التي تكفر تلك النساء بل وتستعدي الآخرين عليهم.. ) أين حدث هذا التكفير أيتها السيدة وممن؟

أرجو أن تتحفنا الدكتورة باسم واحد من أهل العلم فقط قال بكفر تلك النسوة فضلاً عن أقاربهن وبقية القائمة؟! ولماذا هذه المغالطة، بل ولماذا الانحراف عن الحيثيات التي بنى عليها المعارضون وهم المجتمع ومؤسساته الشرعية والرسمية رفضهم لذلك المسلك، أين المناقشة العلمية المؤصلة لوجهة النظر الأخرى، أو ذكرها على الأقل، والعجيب أن الدكتورة بعد ذلك تنفي حرص كل هؤلاء الرافضين على الدين والأخلاق، لتجعل منهم أدوات لتنفيذ أغراض أخرى خفية؟! هكذا، ولكم وددت أن هذا التحليل الخاص للدكتورة قدم لنا شيئاً من هذه الأهداف التي لم تظهر لنا حتى هذا اليوم والتي اكتفت في مقطع لاحق بالإيماء إلى أنها أهداف سياسية، ولست أعرف كيف يمكن أن تكون معارضة قيادة المرأة للسيارة وفي تلك المرحلة بالذات سبيلاً لتحقيق أهداف سياسية، ويبدو أنها التهمة التي اعتاد بعضهم التلويح بها للتخويف من التيار المتدين كلما ضاعت الحيل.

وهنا أتساءل عن عدم موافقة الدكتورة على إعادة التجربة لو دعيت لذلك، ما هي أسباب ذلك وهل تغيرت القناعات أو أن الأمر غدا أكبر من ذلك وهي إن أرادت أن تخطط أو تشارك فلأمر أكبر، أو على الأقل لأبواب أخرى لم تطرق بعد كما قالت أيضا.

أعتقد أن موضوع قيادة المرأة للسيارة في بلادنا لم يكن منذ وقوعه إلا صورة من الصور التي تخفي وراءها أموراً أخرى تتعلق بالمرأة أولاً وربما بغيرها أيضاً لست الآن في وارد ذكرها من وجهة نظري، والتاريخ لا يرحم كما يقال.

وأختم بدعوة أخوية صادقة للدكتورة عزيزة في أن تقف في بعض ما أثرناه هنا وقفة مراجعة وتأمل وأن لا تستصحب حالة نفسية رافضة لجهة ولا لتيار وأن تضع نفسها في الموقف الذي تحمد عليه من الناس وترجو ثوابه من العلي الكريم وهي جديرة بذلك علماً وعقلاً وقدرة.

*** أكاديمي وكاتب إسلامي بصحيفة (المدينة)**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م

## المثقف المعروف محمد سعيد طيب:

# عزيزة المانع أحد رموزنا الوطنية البديعة

**محمد عابد - الطائف:**

في تعليق سريع على الجزء الأول من (مكاشفات) الأديبة الأكاديمية المعروفة الدكتورة عزيزة المانع، قال المثقف المعروف محمد سعيد طيب إن عزيزة المانع هي أحد الرموز البديعة والنبيلة في حياتنا الثقافية والأدبية والوطنية قبل كل شيء.

وإنها تمثل قلقاً شريفاً يدافع عن الوطن وتطلعات أبنائه لحياة أفضل وأكرم وأجمل.. ويعكس في الوقت ذاته المبادئ الجميلة التي نذرت حياتها لها.. ومازالت.

وأضاف الطيب أنه لم يفاجأ بأن عزيزة المانع ناصرية.. وقال: إن كل ما فيها من نبل ورقي وشموخ واعتزاز بالوطن وإخلاص له وحرص على حاضره ومستقبله يؤكد ذلك.

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٢ يناير ٢٠٠٤ م

## د. عبدالعزيز الوهيبي*:

# اقترب كثير من القوميين للطرح الإسلامي

تابعت باهتمام الحوار الماتع الذي أجراه الكاتب الجريء والزميل العزيز عبدالعزيز القاسم.. مع د. عزيزة المانع التي طار ذكرها وزميلاتها بعيد خروجهن بمظاهرة نسائية يقدن فيها سياراتهن أيام حرب الخليج.. تلك المظاهرة التي ذهب الناس في تأويلها وتحليلها مذاهب شتى.. من قائل: إنها حركة - ليبرالية - يراد بها استغلال حرب الخليج ووجود الحماية الأمريكية من أجل إثارة حقوق المرأة وما يتعلق بها.. ومن قائل إنها حركة (مرتبة) من أجل صرف الانتباه عن الوجود الأمريكي في المنطقة والانخراط في صراعات أخرى تصرف الجهد والطاقة فيما لا جدوى منه.. لكنها بكل حال ووجهت بإدانة حادة لم تكن متوقعة جاءت بعد الإدانة القاسية كحركة الحداثة الأدبية في البلد والتي كسرت شوكة الحداثيين كسرة لم يبرأ بعدها جرحهم حتى الآن!

### سن الأشد

بعد ما بلغت د. عزيزة وكثير من مجايلاتها سن الأشد وتجاوزته (حتى إذا بلغ أشده وبلغ الأربعين سنة) بدأت تدرك أن العملية لم تكن بالبساطة التي لقنتها لها حركة منظمة الطلاب العرب في الولايات المتحدة الأمريكية في أوج نشاطها.. ولذلك تحدثت د. عزيزة بمرارة عن (أولئك الطلاب الذين كانوا (يلعلعون) بمبادئ الوطنية والحرية والكرامة. ثم إذا رجعوا إلى بلادهم ابتلعوا مبادئهم، ونسوا حظاً كبيراً مما نادوا به.

وما أكثر هؤلاء في كثير من المنظمات والتجمعات الذين تتحول معهم المبادئ إلى غنائم يحصلون من خلالها على كثير من المكتسبات الشخصية وينسون في غمرة جمع (الغنائم) تلك المبادئ الجميلة التي تحركوا من أجلها في بداياتهم.. إن

الاستمساك بالمبادئ من أصعب الأمور على النفوس عندما يتخلى عنها الجميع.. وليس أكثر مرارة على النفس من أن يشاهد المرء المقاصد النبيلة التي نذر حياته من أجلها وقد تحولت إلى حطام تحت سنابك المصالح حتى تعود هباء كأن لم تغنَ بالأمس!

لقد كان الأثر النفسي للمواجهة أكثر بكثير من العقوبة المادية على ما جرى. لا بل إن تلك العقوبة تعتبر منحة إذا قورنت بما جرى لبعض (النظراء) من التيار الإسلامي الذين فصلوا عن أعمالهم، ولبثوا في السجن بضع سنين! ولا أزال أتذكر جيداً أن البعض حاول ترميم الجرح، كما فعل الأستاذ زياد الدريس عندما كتب مقالته (الحداثة المتوضئة) وكما فعل د. أحمد التويجري عندما أقنع بعض المشايخ للتوسط لإعادة الموقوفات عن العمل.. ونجح في مسعاه.

## سنوات في أمريكا

عندما تأملت ذكريات الدكتورة في الولايات المتحدة تذكرت ما كتبه (سعد الدوسري) في الرياض نوفمبر (عن أصحاب المبادئ الذين خانوا مبادئهم.. وما كتبه غازي القصيبي في (شقة الحرية) وذكرياته في حركة (الطلاب العرب) وأوامر (جورج حبش) له عندما ابتعث للولايات المتحدة، وكذلك ما كتبه د. تركي الحمد وحمد المرزوقي عن تجاربهم الحزبية.. وكيف كانت البدايات مجرد (انفتاح) لطالب مغلق عن الحياة الغربية (ومباهجها) يتلوه (انخراط) في أعمال وتجمعات تعدهم بجنة الدنيا، بدل الانتظار لجنة الآخرة.. وبعد عقود من المعاناة (والبذل) يكتشف هؤلاء أن هذه الوعود لا حقيقة لها.. ولقد ذكرتني (الزميلة الفنزولية) التي دربت الدكتورة على الاختلاط بالرجال والبعد عن المحافظة والعزلة.. (بالزميلة الفرنسية) التي دربت الدكتور طه حسين في باريس على التعرف على مباهج (فرنسا) وجوانب (عظمتها).. لقد كان هؤلاء الرفاق هم البوابة التي تلج منها رويداً رويداً رياح التغيير.. ولقد كان هؤلاء الذين تغيروا بوابة التغيير لمجتمعاتهم التي عاشت طويلاً

بمنأى عن نظريات الغرب وتصوراته.. واليوم لم يعد الغرب بحاجة إلى قاطرات تحمل سلعه وأفكاره، بل بات يفرضها فرضاً بقوته الاقتصادية والإعلامية، وأخيراً بقواه العسكرية.. وعندما فعلها - أعني قام بدور المحتل العسكري البغيض - فقد أخر الأوراق التي تستر عورته.. ولم يعد محبوه يملكون حجة للدفاع عنه.. نعم، لقد سقط الأنموذج الغربي اليوم.. كما سقط الأنموذج الشيوعي بالأمس تحت مطارق الفطرة.. ولذلك نجد من أستاذة مثل الدكتورة عزيزة نقداً مريراً لطالبات اليوم اللاتي لم يعد التحصيل العلمي رائداً لهن قدر العناية بالموضة والزي الأنيق.

## التعليم وحقوق المرأة

تثير الدكتورة قضية مهمة تعاني منها المرأة في بلادنا.. تماماً كما يعاني الرجال أو تعاني الطبقة العاملة أو.. أو.. ثمة ظلامات تقع على كاهل المرأة، ينسب بعضها للشرع والشرع منها براء.. فهذا الوالد الظالم الذي يؤخر زواج ابنته كي ينعم براتبها، وهذا الزوج الظالم الذي يستغل ضعف المرأة وخوفها على أولادها فيذلها ويعذبها، وهذا المجتمع الظالم الذي ينظر للمطلقة أو العانس باعتبارها خطيئة متحركة، كل هذا موجود، وهو مرفوض.. لا تقره شرائع السماء ولا نظم البشر.. ولكن ماذا نفعل إزاء نفوس لم تهذبها الشريعة، ولم تذللها التنشئة الاجتماعية، ولم تتدرب على إعطاء أهل الحقوق حقوقهم.. ليس من سبيل إلا بمراجعة الأنظمة واللوائح وتحريك الإدارات القضائية كي تنصف المظلوم وتعيد له ظلامته.. وعندما كثرت الشكوى بين عرب الجاهلية من ظلم ذوي النفوذ للضعفاء والعاجزين تداعى سراة قريش لحلف يدفعون به الظلم عن المظلوم سموه حلف (الفضول) شهده معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبتعث بعد، لكنه أثنى عليه في الإسلام حيث يقول صلى الله عليه وسلم: (ولقد شهدت في بيت ابن جدعان حلفاً، ما أود أن لي به حمر النعم، ولو دعيت إلى شيء مثله في الإسلام لأجبت)، فهل نطمع نحن اليوم في (حلف فضول جديد) يدفع به عن المظلوم، ويؤخذ به على يد الظالم؟!

## العروبة والناصرية

نشأت الدكتورة في بيت علم ودين.. وكان والدها مربياً فاضلاً رباها وأخواتها على مكارم الأخلاق، والجد الصارم في الحياة.. لكن صدمة الغرب.. والتعرف على تيارات عروبية ويسارية في أمريكا دفع كثيراً من الشباب والطالبات الذين كانوا يعدون بعشرات الآلاف وقتها في ذروة مرحلة الابتعاث للخارج دفع هؤلاء للإعجاب بنماذج لم تكن سوية أو صالحة.. وعندما ذكرت الدكتورة أنها أعجبت بجمال عبدالناصر، استلم عبدالعزيز قاسم الخيط واعتبرها ناصرية.. وطلب من سعيد الطيب المتهم كذلك بالناصرية أن يعقب على ذلك، وأحسب أن صاحبة المكاشفات لم تذكر ذلك عن نفسها، وإنما هو إعجاب كما فعل كثير من مجايليها زال بصدمة حرب ١٩٦٧م، لم تبقَ منه إلا الأطلال.

لقد فشلت الأحزاب القومية التي نشأت على ضفاف الأحزاب القومية الأوروبية في تقديم أنموذج تنمية مستقل، ولم تنقل المجتمعات العربية إلا إلى المزيد من التخلف والعجز والتشرذم والاستبداد.. ولذلك رجع كثير من البعثيين الخلص - من أمثال د. تركي الحمد - عن طروحاتهم القومية (الطوباوية) واتجه بعضهم للرؤية الإسلامية ينهل منها.. كما فعل د. محمد عمارة، أو لطروحات تجمع بين الليبرالية والإسلام، ولقد كان لملتقى الحوار (القومي - الديني) أثر كبير في اقتراب كثير من القوميين للطرح الإسلامي.. وإدراك كثير من الإسلاميين أن بعض القوميين لا يحملون أي عداء للطرح الإسلامي.. بل إن كثيراً منهم ملتزم بالرؤية الإسلامية، ومحافظ على شعائر دينه.. ومن هنا يمكننا أن ندرك الطرح العاقل للدكتورة عزيزة التي لا ترى في المرأة الغربية أنموذجها.. ولا في المرأة العربية (المتغربة) أنموذجاً كذلك.. وإنما تنطلق من الخصوصية الإسلامية طالبة فقط تنقية الأنموذج مما علق به من آثار (الفحولة) و(الشرقية) التي قيدت المرأة بقيود ما أنزل الله بها من سلطان!

*** باحث وكاتب إسلامي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١/ ١٢/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٣ يناير ٢٠٠٤ م

تصحيح الرسالة: الأستاذ محمد سعيد طيب بعث بتعليقه فور قراءته المكاشفات تفاعلاً وإعجاباً بناصرية د. عزيزة المانع ولم يطلب منه الزميل عبدالعزيز قاسم ذلك.

## فهد بن سليمان الشقيران*:

# حتى نستفيد من التأريخ

بعيداً عن التطبيل أو الصراخ الذي يعقب بعض الآراء عادة أود أن أدلي بأحد الدروس التي يجب أن نستثمرها من التأريخ بشكل عام، ومن مكاشفات د. عزيزة بوصفها سرداً تاريخياً إلى حد ما والتي أجراها الصحفي المعروف: عبدالعزيز قاسم، ويكفي أن تلك المكاشفات نالت حديثاً يجعلنا نختصر إلى ما هو أهم، وأقدم الشكر للأستاذ: عبدالعزيز والدكتورة: عزيزة المانع على إجاباتها الصريحة، وتحملها لعاصفة الأسئلة من المكاشِف:

- خصائص مهمة يمتاز بها التأريخ عن غيره من الجوانب التي تعنى بالتجارب، ربما كانت خصيصة (الكشف) أو (الكتاب المفتوح) أحد مميزات التأريخ بغض النظر عن صحة ما يرد فيه من أحداث أو أدوار، ولكنها تبقى محفوظة مضبوطة بأصول يتوصل من خلالها إلى صحة ما ورد فيه أو بطلانه، ولكنه بالتأكيد ليس لديه أسرار وهو مفتوح للجميع، ربما كانت خصيصة جيدة للمراقب، ولكنها خصلة سيئة للمتحرك الذي لم ينضبط بمنهجية واضحة مطردة تجعله يعرف مساره بعد سنوات، ذلك أن الغفلة عن التأريخ أو كما يسميها ابن خلدون: (الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام.. داء دوىً شديد الخفاء... فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة) ويقول الحجوي: (والتأريخ لا يحتشم من أحد بذكر أعماله) الأمر الذي يؤكد أهمية ما يطالب به بعض (النقاد) من التريث في شأن التصريحات أو المشاركات العملاقة لأنها تقزّم أكثر مما تعملِق.

- الارتقاء عادة لا يبنى على حملات تشهيرية تصنيفية وإنما على جهود واقعية منضبطة، والزمن كفيل بالـ"تأديب"، ومن لم يعظه أمسه أو يومه قسره

"مقبل" أيامه على التعقل والتمهل. إذ ما نفتأ أن يكشف لنا التأريخ عن غطاء كنا نحسب وراءه (وحشاً) فبدى إنساناً عادياً يتوق إلى ما يدين لربه به وفق فهمه لنصوص الشريعة كما يظهر من قوله: وليست السرائر والنوايا إلى أحد من خلقه: فهو وحده يعلم ما تخفي الصدور ولله الحمد.

- من العيوب التي تكتنف بعض الخطابات خاصة تلك التي تجلس تحت عباءات مقدسة عيب "التهويل" والتسرع في نقل الأخبار على خلاف المنهج الشرعي الذي يعتبر (التبيّن) وهو أعظم ضوابط الأخبار المتلقاة وما لم تمر - تلك الأنباء خاصة تلك التي تتعلق بالأعراض - بالتبيّن فربما وقع في بعض الأعراض بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وربما ألفى نفسه وقد ضخم رأياً اجتهادياً من الأولى إن خالفه أن يعطيه حجمه الطبيعي الذي تقضي به الشريعة مع الاجتهاد المطروح رأياً أو اختياراً، ومما اتسمت به بعض المواقف، وفق - كتابات المراقبين ووفق اعتراف بعض المصنّفين - السرعة في التصنيف وفقدان التبين وسرعة التشهير وسيرورة الإشاعات بشكل خارق للتصور عبر الوسائل المتاحة في تلك الفترة، ناهيك عما تعج به المنتديات النتّيّة حالياً مما لا يخطر على بال من التشهير السريع لأنباء باطلة. أذكر في هذا ماحكاه الشوكاني في أدب الطلب في معرض حديثه عن التربية المتعصبة وشغبهم على أحد من خالف رأيهم إذ (عادوه عداوة أشد من عداوة اليهود والنصارى وظنوا أنه على شريعة أخرى، وعلى غير دين الإسلام، وأوقعوا في أذهان العوام أنه ناصبي، فانظر لهذا الصنيع الشنيع الذي هو شبيه بلعب الصبيان). يقارب ذلك قصة - الطرطوشي - شيخ القرطبي.

- "التصنيف" حراسة للذات بطريقة أو بأخرى، وجملة ممن يصنف البعض إلى مناهج فكرية أو مذاهب عقدية، ربما لا يعرف عن ذلك المنهج إلا ما تيسّر، الأمر الذي يؤكد عدم استفادة البعض من التجارب بشتى جوانبها، ولو حكى أرباب التجارب على أتباعهم - بأن يسيروا مما انتهوا إليه وأن هناك "ما بعد.." في كل

شيء وأن ثمة مراحل أهم، وأن جملة مما وقع نتيجة انفعال - لربما تعقل البعض عن الدخول في موضات جرّبت تأسف عليها البعض، وعلى الأخص في شأن التصنيف الديني الذي هو أحد أجزاء "خطاب التكفير"، والاستحواذ على أمر سواء اجتهاد أو وطن من دون الناس - أو القبر - سمة جاهلية تمقتها الحضارة الإسلامية الآمرة بالتصالح والتعايش.

*** كاتب في ملحق (الرسالة)**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م

## أحمد جعفري*:

# الناصرية معادية للإسلام جملة وتفصيلاً

# فلماذا تصرين على اعتناقها؟

قبل التعقيب على مكاشفات د/ عزيزة المانع التي كانت آخر حلقاتها يوم الجمعة ١٠/ ١١/ ١٤٢٤ أود التعليق على ما ذكره أخونا الحبيب الأستاذ: عبدالعزيز قاسم حول الحرج الذي أحس به وهو يجري لأول مرة مقابلة مع امرأة، وعزى ذلك إلى التربية الشرقية القمعية، وأرجو أن يتقبل مني - ونحن في زمن الحوار الوطني - أن أشير إلى أن الفصل قدر المستطاع بين الرجال والنساء غير المحارم مبدأ شرعي وثابت من ثوابت الدين، ومن وسائل هذا الفصل أن الله تعالى حرم على المسلم النظر إلى المرأة الأجنبية " أي: التي ليست بمحرم " بقوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور:٣٠) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وعليك الآخرة) وغير ذلك من الأدلة. إلا إن كانت الدكتورة أصبحت من القواعد فهذا شيء آخر ولا أظنها ستقر بذلك !! أما بخصوص المكاشفات فنقول وبالله التوفيق:

- **أولاً**: ظهر من المكاشفات إصرار الدكتورة عزيزة على اعتناق مبدأ الناصرية أي: مبدأ (القومية العربية)، وهذا أمر غريب لأنه من المعلوم للمتابع للتيارات الفكرية التي انتشرت في العالم العربي أن (القومية) ما قامت إلا لمحاربة الدين، وقد كانت في بداية أمرها محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين، ولم تصبح تياراً شعبياً إلا حين تبنى الدعوة إليها بعض الزعماء ومنهم جمال عبدالناصر، ومضمونها سياسي فكري متعصب يدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى

واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين، وهي نبتة سوء لا جذور لها في العالم العربي، وإنما هي صدى للفكر القومي الذي ظهر في أوروبا، كما أنها من بعض الجوانب يمكن أن تعد رد فعل للفكر القومي التركي الطوراني. ومعاداتها للدين ركن أساسي من أركانها حتى قال شاعرهم:

**هبوني عيداً يجعل العرب أمة وسيروا بجثماني على دين برهم**

**سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم**

كما يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الغيبيات والأديان كما يزعمون، لذلك يتبنى شعار (الدين لله والوطن للجميع)، والهدف من هذا الشعار إقصاء الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى، وهي بذلك صورة من صور الجاهلية التي كانت قبل الإسلام، فهل الدكتورة تجهل هذا الأمر أم أنها تعتنقها راضية ومقتنعة بمبادئها؟؟ على كل حال أذكر نفسي والدكتورة بأمر محسوس يشهد به كل العالم وهو (الموت)، فهل يسرها أن تقابل ربها بعقيدة فاسدة معادية لدينه وشرعه؟؟

- **ثانيا:** تزعم الدكتورة أنها ممن يريد الخير للنساء - ولكنها في الوقت نفسه تصر على الدعوة إلى أمر لو طبق فإن أول من تتضرر منه النساء وهو (المساواة المطلقة) بين الرجال والنساء، ومن المضحك المبكي أن الدكتورة تصر على هذا الأمر تقليداً للغرب وإعجاباً بطريقة حياته مع أن هذا الأمر - طلب المساواة المطلقة - قد أصبح في الغرب نفسه " موضة قديمة"، وغدا عقلاؤهم يتندرون على جهالات وسخافات الخطاب النسوي عندهم في الستينيات الذي كان مهووساً بمسألة(المساواة) فبدأنا نسمع عن دعوات لعودة المرأة إلى البيت، وفصل الأولاد عن البنات في المدارس وغيرها من الأمور الفطرية التي ضربوا بها عرض الحائط، ثم عادوا إليها بعد أن دفعوا الثمن غالياً، فهل ينبغي أن ندفع الثمن

نفسه قبل أن نعود؟ وهل ما زالت الدكتورة تعيش بعقلية الغربيين في الستينيات الميلادية؟ هذه الرؤية النسوية المتطرفة هزمت أمام الفطرة وأمام سيل الأبحاث والدراسات العلمية التي تؤكد حقيقة الاختلاف بين المرأة والرجل ومن ثم ضرورة اختلاف الوظائف والأدوار الاجتماعية بينهما. يقول الباحث الطبيعي الروسي «أنطون نميلاف» في كتابه الذي أثبت فيه عدم المساواة الفطرية بينهما، بتجارب العلوم الطبيعية ومشاهداته: (ينبغي أن لا نخدع أنفسنا بزعم أن إقامة المساواة بين الرجل والمرأة في الحياة العملية أمر هين ميسور. الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنفين مثل ما اجتهدنا في روسيا السوفيتية، ولم يوضع في العالم من القوانين في هذا الباب مثل ما وضع عندنا، ولكن الحق أن منزلة المرأة قلما تبدلت في الأسرة، لا في الأسرة فحسب بل قلما تبدلت في المجتمع أيضاً. ويقول في مكان آخر: (لا يزال تصور عدم مساواة الرجل والمرأة ذلك التصور العميق راسخًا ليس في قلوب الطبقات ذات المستوى الذهني البسيط فحسب، بل في قلوب الطبقات السوفيتية العليا) ا.هـ. كذلك حذر فلاسفة غربيون من خطر المساواة المطلقة بين الذكور والإناث، منهم الدكتور" ألكسيس كاريل " الذي انتقد في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) الحضارة المادية الغربية، وما جنته الأسر الغربية من تلك الحضارة من انهيار بقوله: (قد انحلت روابط الأسر، ولم يعد للألفة والمودة وجود، والسبب: " مساواة الأنثى بالذكر في كل شيء "، من حيث تلقي الفتاة التعليم ذاته الذي يتلقاه الفتى. ومن حيث إقحامها في أعمال الرجال، وما يتبع هذا من تأخير الزواج، واحتقار الأمومة، والانصراف عن تربية الأبناء. ) ا.هـ المقصود منه. والذي يظهر أن الدكتورة/ عزيزة تريد إعطاء المرأة في بلادنا مناصب لم تحصل عليها النساء في أمريكا التي هي قدوة ومحل إعجاب لديها !!

- **ثالثا:** تقول الدكتورة إنها لا تتبنى النموذج الغربي للمرأة السعودية، وإنما تريد تطبيق الأحكام الشرعية التي وردت بخصوص النساء كما هي في الإسلام، وهذا

كلام جميل من الناحية النظرية ولكن عند التدقيق في كلامها يظهر تناقض عجيب يحق لنا أن نسأل عن سببه، وهذا التناقض له مظاهر عدة يمكن أن نجملها في أمرين :

١ - أنها تدعو إلى فتح المجال للمرأة لتولي المناصب العامة مع أن الشرع يمنع ذلك.

٢ - أنها تدعو إلى إلغاء تبعية المرأة للرجل وتريد أن تصبح المرأة مستقلة في كل شيء، وتكون نداً للرجل ومساوية له في جميع الأمور مع أن هذا أمر مخالف للشرع والفطرة - فيظهر أن الإسلام الذي تدعو إليه الدكتورة هو الإسلام الذي تطالب به أمريكا الآن، وليس هو الإسلام الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم!

● **رابعا:** دفاع الدكتورة عن المناهج وتبرئتها من الإرهاب كان أمراً غريباً وخاصة لمن اطلع على بعض مقالاتها وعرف توجهها الفكري - ولكنها عادت بعد ذلك لتتهم جميع المساجد والمكتبات والمعسكرات " لعلها تقصد المراكز الصيفية - إذا فكل أئمة المساجد متطرفون، وكل ما يقولونه للناس بلا استثناء يحث على التطرف، وكل ما في المكتبات الإسلامية يدعو للتطرف، وكل برامج المراكز الصيفية قائمة على الغلو والتشدد. فبالله عليك أخي القارئ الكريم ماذا بقي من الدين لم تتهمه الدكتورة بالتطرف؟؟ أوليس كلامها هذا هو في أعلى درجات الغلو والتشدد؟ وماذا استفدنا من دفاعها عن المناهج إذا كانت قد اتهمت الدين كله بالتطرف؟ وأين الموضوعية والأصالة التي وصفها بها الأخ عبدالعزيز قاسم؟ وأي إسلام تريد نصرة المرأة من خلاله إذا كان ما نعرفه من إسلام في الكتاب والسنة يعتبر في نظرها كله تطرفا وتشددا؟ نعوذ بالله من هذا القول.

● **وختاما** فلا ضير أن نقر بأن هناك مظاهر كثيرة للظلم تقع على كثير من النساء، ولكن حلها ليس في تبني المبادئ المعادية للدين من قومية وعلمانية ونحو ذلك، وليس حلها في دعوة النساء للتمرد على أزواجهن وأولياء أمورهن، ففي هذا دمار

للمجتمع، والمرأة في مقدمته، وإنما حلها في تقوية الوازع الديني في نفوس الناس جميعا - وتذكير كل منهم بحقوقه الشرعية الحقيقة لا المدعاة، وتدخل للجهات الرسمية من محاكم وغيرها لرفع الظلم عن المظلومين وإعطاء كل ذي حق حقه.

*** باحث متخصص في الشريعة**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠٤ م

## بعيداً عن التشاؤم والظلام.. لنُشعل الشمعة أولاً.. د. زهير الحارثي*: حديث د. المانع عن ظلم اجتماعي تتعرض له المرأة السعودية فيه الكثير من المبالغة وإن تضمن الكثير من الصحة

يبدو أن المكاشفة - كمفردة - من الملامح الجديدة التي اعترت الخطاب السعودي الراهن، وباتت ضمن أدبياتنا في نسيجها الثقافي والاجتماعي والسياسي، على أن الحالة المخاضية - إن جاز التعبير - التي يعيشها المجتمع السعودي تشير إلى أن ثمة حراكاً اجتماعياً اخذ وضعيته، فطفا على السطح بأسلوب غير مطروق من قبل، وبتشكل صورة لم نعتدها ولم نألفها، مما دفع الغالب منا إلى الاعتقاد بأن المشهد السعودي الآني يعتمل في دواخله الكثير من إرهاصات متنوعة لقضايا شتى لن تلبث أن تفرز إيجابياتها في المستقبل القريب لبلد يتعرض ومازال لتجاذبات داخلية وضغوط خارجية باتت تهدد أمنه واستقراره.

على أن (الرسالة) وهي تطلب مني مداخلة أو تعليقاً على مكاشفات د. عزيزة المانع، كانت السباقة في رمي حجار لم تلبث أن حركت المياه الراكدة في بحيرة التواصل والحوار الوطني، وفتح ملفات كان من المستحيل تناولها أو مناقشتها قبل فترة ليست بالبعيدة.

إن نقد الذات وكشف الأوراق والشفافية والمكاشفة مصطلحات أحوج ما نكون إلى تكريسها والمناداة بها، وعندما ننادي بتعزيز الحوار الداخلي وتفعيل التواصل المجتمعي، فإن الغاية ترنو إلى ترسيخ الموضوعية والابتعاد عن الانفعال والسقوط في فخ (رد الفعل).

وعند الحديث عن التراث المتمثل في العادات والتقاليد والذكريات والأعراف والأنماط الحياتية، فان إحياء هذا الموروث وحمايته مهمتان أساسيتان لأي أمة تريد أن تتميز عن غيرها من الأمم، غير أن هذا لا يعني أن موروثنا كله ورد، فهو

بالتأكيد لا يخلو من بعض الأشواك، والتي لن يمحوها إلا النقد المرتهن إلى الموضوعية والعقلانية، فالمراجعة النقدية باتت ضرورة لكشف بعض التراكمات الشاذة التي علقت ببعض المفاهيم الخاطئة التي يعتنقها البعض منا، وهي ترسبات تتنافى مع روح العصر، وتكشف عن خلل كبير في الفهم والتحليل.

ولعل مكاشفات د. المانع، تكشف عن الكثير من هذه المفاهيم المغلوطة والممارسات الخاطئة، ورغم أنها (أي الدكتورة) أسرفت في التشاؤم إلى حد كبير (وربما لها أسبابها الخاصة) إلا أنني أجد نفسي متفقاً معها في الكثير من النقاط التي طرحتها، وهو ما يجعلني أؤمن بضرورة طرح كل تلك التساؤلات في ظل البيت الواحد، كأن يكون في مركز الحوار الوطني والذي لم تتحمس له الدكتورة كثيراً، إلا أنني أعتقد أنها تتفق معي أنه لا بد من ثمة طريقة لحل تلك المشكلات العالقة أو مناقشتها على أقل تقدير، وهذا لن يتحقق ما لم نوجد مساحة مناسبة تكون نواة لبناء حوار (سعودي/ سعودي) يكرس الوحدة الوطنية، وينقل المجتمع إلى مرحلة جديدة تحتم على الجميع التعاطي معها بأسلوب مغاير يستند فيه إلى نقد الذات والتفاعل مع لغة العصر، وفي تقديري أن المشاركة في مثل هذه الحوارات هو واجب وطني قبل أن يكون برستيجاً اجتماعياً، ورغم تحفظي على السرية والنخبوية والأكاديمية التي طغت على جلسات مركز الحوار الوطني، إلا أنها تبقى خطوة أولى في الاتجاه الصحيح، وليس بالضرورة أن تتحقق الأمنيات في أول الطريق، فالشوط طويل، وهو مليء بالأشواك، وعلينا المشاركة والتفاعل وكسب المواقف وقطع الطريق على من يكرس رأيه الأحادي، ويرفض الاختلاف والتعددية والرأي الآخر، فثمة أصوات احتكرت الأحادية في الرؤية والنظرة والتحليل، وارتهنت لقاعدتي (إما، أو) و(مع أو ضد) وكرست مفاهيم التابو والتبرير، إلا أن القيادة السياسية بادرت إلى فتح باب الحوار، وجعلت التعددية مدخلاً أساسياً لتأسيس مفهوم حوار يتضمن تقويماً موضوعياً لهمومنا وقضايانا وهواجسنا.

نعم.. نتطلع إلى إشراك المرأة السعودية في الهم الوطني بشكل فاعل وليس حضوراً شكلياً والاستماع لصوتها وإعطائها دورها الذي تستحقه، وهي التي لا تقل كفاءة عن الرجل من حيث القدرة الفكرية ووضوح الرؤية والانتماء والولاء لهذا الوطن.

ولعل ما أثارته الدكتورة من ظلم اجتماعي تتعرض له المرأة السعودية، وجهلها لحقوقها، فيه الكثير من المبالغة، وإن تضمن الكثير من الصحة، إلا أن الحل يكمن في إعطائها حقوقها حسب ما نصت عليه الشريعة السمحة، ومطالبها بالأخذ في الاعتبار المستجدات والتحولات الراهنة هو مطلب مشروع يندرج تحت باب تجديد الخطاب الديني ولا أقول النص الديني، فالنص ثابت، والتفسير متغير حسب اجتهاد علمائنا الأجلاء في استنباط الأحكام التي لا تتعارض مع النص وتتواءم مع لغة العصر.. أوليس ديننا صالحاً لكل زمان ومكان، بل هو القادر على تفعيل وإضاءة هذا الجانب المظلم والمعطل في مجتمعنا.

ورغم أن المكاشفة ركزت على مسائل قيادة المرأة للسيارة وولاية الرجل للمرأة ومعاناة المرأة في الحياة اليومية المعاشة، إلا أنني أرى رغم أهمية ما ذكر أنه لا يمكن لنا اختزال قضية المرأة السعودية في المسائل المذكورة آنفاً، بل علينا أن نتعامل معها كعضو فاعل مثلها مثل الرجل، فالإشكالية لا تكمن في أنها تعاني من ظلم أو جهل بقدر ما إن القضية تتعلق بمستقبل بلد ووضع مجتمع، لذا فالسكوت عن ظواهر بهذا الحجم، بالتأكيد أنه يفاقمها.

نعم.. المرأة قادرة على طرح قضاياها، والدكتورة عزيزة أحد هذه النماذج، ويحضرني هنا ذلك اللقاء الذي تم قبل عامين بين ولي العهد الأمير عبدالله وشرائح متعددة من المجتمع السعودي، حيث نجح النساء في مخاطبة الأمير بأسلوب جاد وصادق دون الانزلاق في دائرة الاستهلاك، فطالبن بالبطاقة الشخصية وأقسام خاصة في المحاكم وغيرها، وقد تحقق لهن ذلك!

على أية حال، ثمة ظروف ومعطيات تراكمية أدت إلى ذلك الخلل الاجتماعي الذي نعانيه، وليس عيباً أن نعترف به، بل قيامنا بذلك هو الخطوة الأولى الصحيحة لعلاج أخطائنا، ومتى ما ارتهنّا إلى نقد الذات والحوار بصوت مسموع في ظل البيت الواحد، ورسخنا هذا التوجه ونميناه بقلوب صادقة، فإنه لا يمكن لأحد تقويض دعائم هذا الكيان، وطالما كانت الشفافية والمكاشفة أدواتنا، فإنه باستطاعتنا مواجهة الشائك من القضايا، فدعونا نضئ شمعة بدلاً من أن نلعن الظلام.

**١٧٦ باحث وكاتب سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م

---

---

---

## سليمان موسى الغصن*:

# د. عزيزة تكشف عن فوضى التدين

مشكلة العقل الجمعي المحافظ أنه لا يسوقه رموز بقدر ما يحمل هؤلاء الرموز له من أفكار وألفاظ ومواقف تلبي رغبته وما يتشوف إليه، وبلية العقل الجمعي أنه واقع لا مناص للمثقف أو غيره أن يهمشه أو يتجاوزه (إلا مستبداً) حيث له دائماً صوته المرتفع وشجبه المستمر الناقم، وكون هذا الجمهور أو العقل التقليدي بهذه الصبغة الدائمة فإنه لا يفتأ أن يكون محاطاً بأفكار وتقليد أسستها ردود أفعال وأزمات ومواقف قائمة على مبدأ ألا مبدأ إلا مبدأ (هذا ما نريد - وذلك شاذ عن الرغبة - ونخشى أن يكون ما لا نريد) ولعل أعقد ما يؤثر على العقل المحافظ ركيزة - التدين - بكل معانيها الفضفاضة إلى نتائجها التي لا تخرج عن دائرة الممانعة [التحكم] ومن فضلة القول أن مسمى التدين مصطلح ديني مبارك له قيمته التي تضفي على المرء السمة والوقار ومعنى العدالة بالاعتبار الفردي - الخاص - لكنه من وجهة نظري يتغير مضمونه ومعدنه بنسبته إلى الجماعة أو تجسيده في العمل الاجتماعي الإصلاحي، فيتحول حينها إلى تحكم واستبداد وآفة تؤثر على حقيقة التغيير والعمل الحضاري.

والمتتبع للتاريخ يقرأ ذلك واضحاً في من أقحم تديّنه و قناعاته الخاصة في العمل الإصلاحي غير آبهٍ لزمانه ومقتضياته، من هنا لاحظت أن العمل الإسلامي يشوبه شيء من التدين الفوضوي غير الصادق ويتحكم فيه الشك في الآخرين وعدم الوثوق بهم.

ثم يفاجئني كما فاجأ كثيراً من الراصدين ما كشفت عنه الدكتورة عزيزة المانع من خلال حوارها مع الأستاذ أبي أسامة في موضوع مظاهرة النساء لقيادة السيارة آنذاك وتقول إن المسألة كانت غير مخطط لها، مجرد لفت نظر ليس غير وإننا كنا

محجبات ثم تقول فوجئنا بالصحفي الذي راسل (سي إن إن) في نقل الحدث إلخ... ما حكت عنه،

بعكس ما كان معبئاً له من أن الحكاية مؤامرة خارجية وأن صاحباتها سافرات عاهرات إلى أن وطئن الحجاب (العباءة السوداء) حتى ظن الناس أن الأعراض انتهكت إلى آخر تلك ـ الأزمة الصحوية ـ إنها في تقديري رغبة في الفوضى وتغيب للوعي يصنعه جمهور ومثقف بدعوى الخوف على بيضة الإسلام والكمال في التدين ومحاولة خلق أسطورة تضاهي ما يعد له العلماني الآخر، و إلا ما معنى إعداد بيانات بمثابة ردود على مثيلاتها في قضايا وطنية مشتركة ويقحم فيها كل ما يستطيع من مصطلحات دينية [الجهاد ـ الولاء والبراء ـ الأعداء...] في المحصلة تبني له حاجزاً منيعاً وهو ينظر من أعلى لا يكون غيره إلا هو، مشكلة في المجتمع اليوم قائمة حيث الوصاية على الآخرين وعدم اعتبار للحقائق القائمة كونها دافع التدين والثقافة المتناقضة التي قام عليها العقل التقليدي.

أخيراً أقول [فوضى عارمة من قبل زاعمين لا تستحق إلا السخرية والضحك وفي بعض الأحيان البكاء أسفاً على الحال بعكس ما يطلبه المقام والزمان].

*** أحد قراء (الرسالة)**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٤ م

## د. هتون أجواد الفاسي*:

# مكاشفات عزيزة المانع أولى صور الحوار

في خطوة تعتبر من أكثر الخطوات جرأة وحكمة قامت جريدة (المدينة) في ملحق الرسالة باستضافة الدكتورة عزيزة المانع في حلقات مكاشفة استمرت على مدى ثلاثة أسابيع، آخرها كان الجمعة ٢ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٤م. والجرأة التي تجير للصحيفة والمشرف على ملحق الرسالة الصحافي المتميز عبدالعزيز قاسم، ليس لقيامها بهذه الاستضافة لصفة الضيفة الأكاديمية والإعلامية البارزة، فهذا أمر متوقع، بل لاستضافتها صفتها المسكوت عنها لمدة ١٣ سنة، وأقصد بذلك صفتها أنها إحدى النساء اللاتي شاركن في مسيرة قيادة السيارات النسائية في ٦ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٩٠م. فلأول مرة وفي صحافتنا المحلية تتم مكاشفة أو مقابلة مع إحدى هؤلاء النساء، ونسمع الرواية من مصدرها الأول تحكي ماذا كان يجري على ذلك الجانب من الوادي. لطالما كانت الرواية السائدة سواء في إشارات الصحف أو في المنشورات التي نجدها مدسوسة تحت الأبواب في الجامعة، أو المسموعة في خطب الجمعة والخطب المسجلة على أشرطة كاسيت تباع بالجملة، تروى كلها بالنيابة وعن شاهد لا يضع اسمه أو عن شخص قال له أو لها، ولم تتجرأ أي وسيلة إعلامية أو جهة عامة خلال ندوة أو محاضرة ان تتحدث في هذا الأمر مع إحدى النساء الـ (٤٧) وبقينا بالتالي نعتمد فقط على رواية طرف واحد لم يكن راضياً ألبتة عن الطرف الآخر ما يجعل روايته غير موثوق في موضوعيتها.

ما يهمني في هذا الأمر ليس حدث السياقة نفسه قدر ما يهمني فعل الحوار الذي فتح لأول مرة بشكله الحقيقي المرتجى والذي ندعو إليه، أي أن يكون حواراً هادئاً عقلانياً بعيداً عن التكفير أو التفسيق يستمع كل طرف فيه إلى الآخر حتى ينهي جملته ثم يعطي الطرف الآخر الفرصة ليرد وهكذا وكل ذلك أمام الملأ. يشارك فيه كل صغير وكبير ليقرأه وليرد عليه في إطار الأفكار والأحداث بعيداً عن

الأشخاص والنوايا. كنت قد نقدت في مقال سابق مؤتمر الحوار في تكتمه وسريته وكيف أن تأثيره على المجتمع لا يتعدى (٦٠) أو (٧٠) شخصاً المشاركين في المؤتمر. وكنت قد طالبت بأن يفعل الحوار ليكون حواراً شعبياً مفتوحاً لكي نؤثر فعلاً ونصل إلى كل فرد.

وفي ظني أن مكاشفات الدكتورة عزيزة المانع لاسيما في جزئها الثالث الخاص بمسيرة السياقة تعد أنموذجاً حقيقياً لمفهوم الحوار المطلوب. هنا نحن نطبق الحوار الذي ندعو إليه وتدعو إليه القيادة العليا ممثلة في ولي العهد لاسيما في خطابه الذي وجهه إلى الشعب الأربعاء الماضي. فالوسيط الإعلامي وهو الصحيفة مفتوحة ويستطيع أي إنسان الوصول إليها، والمحاورة تتناول قضية أثارت الكثير من اللغط أساءت لكثير من الناس والنساء خصوصاً والمحاور كان نزيهاً ومديراً للحوار بشكل ذكي، استطاع في أسئلته أن يستوعب أبعاد شخصية عميقة في طروحاتها كالدكتورة عزيزة دون أن يخل بالموضوعية وفتح المجال بعد ذلك في الصحيفة لاستقبال تعليقات من (استمع) وقرأ لمدة ثلاثة أسابيع. وها نحن نقطف الثمار فعلى مدى الأسبوعين الماضيين توالت الردود والتعليقات، وهي وإن كانت حادة في مجملها على الضيفة إلا أنها تظهر احترامها في لغة موزونة، وهكذا تتاح الفرصة لجميع الأطراف أن يدلوا بدلائهم، ويمكنها بعد ذلك أن ترد كذلك عليهم مفندة أو مؤيدة وفق ما تراه.

إن هذه العملية هي ما أسميه بالفعل (فعل) الحوار المنشود، قد نستاء من بعض الردود غير المسؤولة التي ترد في الإنترنت من بعض المواقع، ولكن هذا متوقع ممن يتستر وراء اسم مستعار وهي على كل حال جهة ليست عامة بالفعل ونأمل أن تصلها عدوى احترام الحوار والتركيز على القضية الفكرة دون محاولة النيل من الأشخاص كما يسهل على الكثيرين في كتاباتهم النقدية. أنا أعلن تفاؤلي بهذه التجربة وآمل أن تفتح باباً لحوارات مماثلة في درجة الأهمية والعمق وأن يستمر

الحوار وتفاعله، نثني هنا على وزارة الإعلام التي لم تتدخل لتوقف هذه المكاشفات، فمن المهم أن تتاح الفرصة للجميع حتى يشاركوا في وضع حججهم بالتأييد أو بالفرض وأن يستقبلوا بدورهم رأي الطرف الآخر بكل حرية وشفافية.

لقد استدرجتني الردود على الدكتورة عزيزة المانع لأرد بدوري ومن قبلها المواضيع التي طرحتها في المكاشفات، لكن لضيق المجال سوف أترككم (تتشوقون) إلى ذلك في مقال مقبل.

*** أكاديمية ومؤرخة سعودية**

* نشرت المداخلة في صحيفة الاقتصادية بتاريخ ٢٧/ ١١/ ١٤٢٤ هـ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٣ م

## د. سعاد المانع* معلقة على مكاشفات شقيقتها:
## إضاءات أخرى في طفولة ونشأة د. عزيزة المانع

حين طلب مني عبدالعزيز قاسم أن أعلق على ما جاء في مكاشفات د. عزيزة المانع، في (الحلقتين الأولى والثانية) وجدت نفسي في حيرة من أمري لا أدري كيف أعلق؟

فأنا لا أدري كيف أكتب؟

يدور في خلدي لو كتبت أبدي إعجابي بنواحٍ عديدة تمتلكها عزيزة المانع لربما بدا هذا الإعجاب وكأن مصدره العاطفة وحدها لكونها شقيقتي، ولو كتبت أمتدح جوانب كثيرة أرى أنها تستحق التقدير حقاً في عزيزة المانع لربما بدوت كمن يحابي نفسه فهي شقيقتي. من جانب آخر أشعر أني أغمط عزيزة المانع حقها حين أمتنع عن إعلان إعجابي أو تقديري لشيء جميل صنعته خشية أن أبدو كمن يطري ذاته، أو كمن يبدو إعجابه مجرد محاباة يمليها الحب.

لقد كنا في فترة من العمر قبل أن تتشعب بنا طريق الحياة، أشبه بتوأم في طريقة التفكير. ولعل ظروفنا الواحدة، ودراستنا المشتركة، وقراءاتنا المستمدة من كتب واحدة (في الغالب) هي ما شكل منا تشابهاً في التفكير، حتى نهاية المرحلة الجامعية. لقد ألفنا آنذاك أنه حين يخطر على ذهن أي واحدة منا فكرة ما تستطيع الثانية أن تكملها. ومعظم الشعر الذي نحبه والروايات التي تعجبنا والمثل التي نتطلع إليها كانت واحدة.

مع هذا التشابه الكبير ظلت هناك فروق فردية قائمة، فلم نكن توأماً متطابقاً! ففي عدد من الأمور تتسم عزيزة بميزات لا أمتلكها. ولعل هذا ما يتيح لي هنا أن أقول شيئاً عنها، دون أن يهيمن علي الشعور بأني أبدو كما لو أني أمتدح نفسي.

من الميزات الخاصة بعزيزة المانع - ونحن - في سني الطفولة موهبتها في الرسم. ومن المحتمل لو وجدت هذه الموهبة رعاية خاصة لربما نتج عنها رسامة متميزة. ومن السمات الخاصة بها سمة الحزم والصبر، فهي إذا آمنت بمبدأ، أو اعتقدت أن أمراً من الأمور يقع في نطاق الواجب، سعت لتنفيذه مهما تطلب الأمر من مشقة بالغة. وكذلك سمة التفكير العملي فإذا اقتنعت بفكرة وأدركت جدواها، كانت الخطوة التالية هي البحث عن الطرق التي تجعل تحقيق الفكرة ممكناً، وأنا أدين لعزيزة بأكثر من موقف يتصل بهذا في أمور الحياة التي مرت بنا سوياً.

ومن السمات الواضحة لديها كونها دوماً بعيدة تماماً عن المجاملة حين تقتضي المجاملة غض النظر عن أشياء ترى هي أنه ليس من الخير غض النظر عنها، أو حين تقتضي المجاملة مخالفة حادة للمشاعر الحقيقية أو الآراء. ولعله واضح من المكاشفات مدى الصراحة والوضوح في إبداء الرأي اللذين تتسم بهما صاحبة المكاشفات. ولعل الإعجاب الذي نالته المكاشفات من جانب مهم من القراء، هو نبرة الصدق الذي تنم عنه (المكاشفات).

وإذا كانت طبيعة المجال هنا لا تتيح لي أن أسهب في تناول كل السمات التي تنفرد بها عزيزة المانع وتجعلها تختلف عني، فيمكن أن أتناول شيئاً آخر يتصل بحياتنا الأولى ودراستنا المشتركة. وربما كان الحديث من زاوية رؤيتي يضيف شيئاً إلى ما جاء في المكاشفات.

لقد كنا زميلتين في مرحلة الدراسة الجامعية وما قبلها. وقد اخترنا معاً في مرحلة الدراسة الثانوية القسم العلمي، وكان علينا أن ندرس هذه المقررات من المنزل كما جاء في المكاشفات. كانت الدراسة بأكملها دون مدرس ودون مختبر. وكانت الوسيلة الوحيدة التي تجعلنا نتغلب على هذه الصعوبة ونفهم الدروس هي أن نعتمد على قراءات كثيرة تتصل بموضوعات الدراسة في كتب أخرى غير كتب المقررات. كذلك كانت القراءة الموسوعية - فيما أرى - تفيد بطريق غير مباشر في

مجال الدراسة. كان بيتنا يشمل مكتبة واسعة نسبياً (مكتبة الوالد) تضم كثيراً من أمهات الكتب العربية، ودواوين الشعراء من امرئ القيس حتى شوقي وحافظ وشعراء المهجر. وتضم عدداً غير قليل من كتب اللغة والنحو والمعاجم الضخمة، إلى جانب كتب العقيدة والفقه والتفسير والتاريخ العربي والسيرة والحديث النبوي. وإلى جانب هذا كانت هذه المكتبة - كما جاء في المكاشفات - تحتوي بعض الموسوعات ومؤلفات عربية ومترجمة تتصل بعلوم مختلفة مثل العلوم المتصلة بالطبيعة والطب والصحة وتربية الأطفال، وعلم النفس، والفكر وعلم الاجتماع. لقد أفادتنا هذه المكتبة إلى حد كبير.

في بدء الدراسة الجامعية وكانت الدراسة الجامعية المتاحة للبنات آنذاك في جامعة الملك سعود هي طريق الانتساب فقط كان أمامنا في السنة الأولى في كلية الآداب مجال واسع ومتنوع لقراءات مختلفة. فقد كانت السنة الأولى تسبق التخصص، وكان على الطلاب في السنة الأولى أن يتلقوا معلومات عامة تتصل بجميع التخصصات الموجودة في كلية الآداب. من هنا كانت المقررات في السنة الأولى تشمل دروساً عن اللغة العربية والأدب العربي، وعن تاريخ الشرق القديم في جميع المنطقة العربية، وعن الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية وجغرافيا السكان، وعن علم الاجتماع في أصوله وتطوره. كما كانت هناك دروس تتصل باللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي. وكان هذا المقرر هو المقرر الوحيد الذي أتاحت الجامعة للطالبات مدرستين تقومان بتقديم بعض الدروس الأولية في خلال يومين من أيام الأسبوع في أحد مباني الجامعة. إحدى المدرستين كانت أجنبية، وأما الأخرى فهي الدكتورة فاطمة منديلي التي أصبحت فيما بعد وكيلة لـ(مركز الدراسات الجامعية للبنات)، - قبل أن تترك الجامعة - وقد كانت آنذاك تعمل مشرفة على الطالبات المنتسبات للجامعة، ومعيدة في قسم اللغة الإنجليزية بالجامعة.

هذه الطريقة التي تعتمدها السنة الأولى دفعتنا إلى قراءة واسعة ممتعة ومفيدة في مجالات شتى. وما زلت أرى إلى اليوم - وأنا أنتمي إلى كلية الآداب - أن وجود سنة أولى عامة في كلية الآداب هو أمر مفيد للطلاب والطالبات، وهو يتيح لهم أن يختاروا التخصص الذي يرغبون فيه وهم على بينة من الأمر.

في السنة الثانية يبدأ التخصص. فكرت كل منا أن تختار قسم اللغة الإنجليزية، ولكن فكرنا أن دراسة الأدب الإنجليزي دراسة صامتة عبر الكتب، دون ممارسة الحوار مع أستاذ أو أستاذة أو زميلات ستكون دراسة قاصرة ولن تتيح لنا أداء صحيحاً للنطق والإلقاء. من هنا قررت كل منا أن تختار التخصص في قسم اللغة العربية، كان واضحاً أننا يمكن أن نستفيد من مكتبة البيت إلى حد كبير (لم يكن آنذاك مجال لمكتبة عامة بالنسبة للطالبات).

كانت الدراسة في الجامعة تقدم إلى الطلاب قائمة مراجع كثيرة مع مفردات المقرر وعناوين الكتب المقررة، وتفرض على المنتسبين كتاباً إضافياً ليعادل الواجبات التي يقوم بها الطلاب المنتظمون. وكنا حريصتين على أن نحصل على جميع الكتب. وكان جانب من هذه الكتب لا يوجد في مكتبة الوالد. كان هذا الجانب، هو جانب الأدب الحديث الذي جاء في الشعر بعد الخمسينيات تقريباً، وجاء في الرواية بعد تجاوز جيل زيدان، وكذلك جانب الدراسات النقدية الحديثة.

بعد التحاقنا بقسم اللغة العربية حرص أبي أن يوفر لنا جميع الكتب المقررة والمراجع التي نحتاج إليها في دراستنا، وكثير منها إن لم يكن معظمها لم يكن موجوداً في مكتبات الرياض التجارية، فكان حريصاً أن يطلبها من مكتبات القاهرة أو بيروت. ومن هنا انضمت إلى مكتبة بيتنا المؤلفات العربية الحديثة حول النقد الأدبي. أما بالنسبة للشعر الحديث، فقد كانت الجامعة تدرس الشعر العمودي منه فقط، ولم تدخل شعر التفعيلة أو قصيدة النثر إلى مناهجها (ومازالت على هذا إلى اليوم)، وكان أبي لا يعترف بهذا الشعر لهذا خلت مكتبتنا من أي ديوان ينتمي إليه. وبالنسبة للروايات والمسرحيات الحديثة المقررة فقد اكتفى أبي بشراء الروايات

والمسرحيات المقررة فقط ولم يضف إليها جديداً. لم يكن السبب في هذا أنه لا يعترف بالأدب القصصي كما هو الحال بالنسبة للشعر ذي التفعيلة أو قصيدة النثر، فقد نشأنا كما جاء في المكاشفات وبيتنا توجد فيه روايات، وكان متاحاً لنا قراءتها. ولكن كان السبب أنه اطلع على روايتين من الروايات المقررة علينا في مادة النثر الحديث، وكلتاهما لنجيب محفوظ إحداهما تاريخية (رادوبيس) تدور في عصر الفراعنة، والأخرى واقعية ربما كانت (خان الخليلي)، وقد انتقد أمامنا اختيار الجامعة لمثل هذه الروايات ليدرسها الطلاب. كان محور الانتقاد خلوها من مراعاة الجانب الأخلاقي، فكلتا الروايتين كانت ترد فيها جوانب لا تتفق مع الأخلاق الكريمة. كان أبي ممن يرون أن الأدب لا بد أن يرتبط بدور أخلاقي نبيل.

قبل الجامعة كانت قراءتنا لجانب من الروايات العربية المتداولة آنذاك - التي وردت الإشارة إليها في المكاشفات - تأتي ليس من مكتبة البيت ولكن من استعارة كتب الآخرين. ولعل جانباً كبيراً من اطلاعنا على الأدب الحديث - في الشعر والنثر - قبل المرحلة الجامعية وفي ثناياها جاء من خلال أخينا الأكبر حين نكون في منزله أو حين يأتي ومعه كتاب من الكتب التي لا تدخل بيتنا.

هناك نقطة تستحق الإضافة حول السؤال عن مدى تغير البيئة الاجتماعية حين انتقلنا إلى الرياض. في الواقع لم تتغير علينا البيئة الاجتماعية القريبة. كان جيراننا الأقربون إحدى الأسر الكريمة المعروفة في الحجاز من (المدينة) وكانت الأسرة موضع الثقة بالنسبة لأبي، وأتاح لنا هذا صلة قوية بالأسرة. وكان تعامل الأسرة معنا لطيفاً إلى أبعد حد كأننا بعض بناتها. أتاح لنا هذا نافذة على العالم الخارجي خارج نطاق الدراسة، لكن ظل هذا العالم في معظمه يتصل ببيئة الحجاز أكثر مما يتصل ببيئة نجد.

*** أكاديمية بجامعة الملك سعود وشقيقة د. عزيزة**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٧/ ١/ ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٤ م

## سهيلة زين العابدين حماد(*) :

# وقفات مع الدكتورة عزيزة المانع في مكاشفاتها (١ - ٤)

التقيتُ بها لأول مرة في مبنى وزارة الثقافة في أكتوبر عام ١٩٩٩م حيث يعقد مؤتمر مرور مائة عام على تحرير المرأة، كانت متحجبة، وتتوارى من كاميرات الصحفيين متحاشية التقاط أية لها صورة، وكانت ضمن المشاركات في المؤتمر لتدلي بشهادتها، وكنتُ حاضرة المؤتمر ليس بدعوة من القائمين عليه، ولكن جذبني موضوع المؤتمر، فهو يحتفل بمرور مائة على صدور كتاب قاسم أمين "تحرير المرأة " فحضرته من قبيل التعرف على ما سيقال في المؤتمر، والمساهمة بتصحيح الرؤى، ولم أكن من المدعوات، فقد حرص القائمون على عدم دعوة ذوي التوجه الإسلامي، عرَّفتني بنفسها، وعرَّفتها بنفسي إنَّها الدكتورة عزيزة المانع، والتقيتُ بها مرة أخرى في جلسة شهادة الكاتبة ليلى العثمان، وظبية خميس، وغيرها، وشهدت إنكار ليلى العُثمان لما أدلت به في شهادتها أنَّها اخترقت المحاذير الثلاثة الدين والسياسة والجنس، وأنَّها لن تتنازل عن مواقفها حتى لو سُجنت، وذلك عندما واجهتها في مداخلتي بأنَّ كتابتها في الجنس تتنافى مع رسالة الأدب التي تهدف إلى تهذيب النفس البشرية إلى مراتب عليا من الطُّهر والعفاف، ولا تنحط بها إلى أدنى مراتب الحيوانية، وقالت لي كيف تحكمين عليَّ وأنت لم تقرئي لي؟ أنا سأبعث لك بكتبي لتقرأيها، وكان الأمر لا يتطلب قراءة كتبها فهي التي قالت في شهادتها إنَّها كتبت في الجنس، ولم يكن هناك مبرر لثورتها، وهيجانها لكنَّها كانت تنتظر أن يُقال لها إنَّها بطلة ومقدامة، ولما سمعت خلاف ما كانت تنتظر كانت تلك الثورة، وكانت الدكتورة عزيزة تحاول أن تهدئ الأجواء، وكانت هذه هي المرة الثانية والأخيرة التي التقيتُ فيها بالدكتورة عزيزة، ولم يكن بيني وبينها أي اتصال قبل أو بعد هذين اللقاءين؛ إذ لم أتمكن من سماع شهادتها، فقد كان وقت شهادتها جلسة أخرى

مهمة، وهي الجلسة التي قدَّمت فيها الأستاذة فريدة النقَّاش ورقتها عن الفقهي والمدني، وقدم الدكتور عبدالله الغذَّامي ورقته عن الخطاب اللغوي الأنثوي، فكانت هذه الجلسة تشكل اهتماماً كبيراً بالنسبة لي فالأستاذة فريدة النقَّاش معروف توجهها، ومقارنتها بين الفقهي والمدني له دلالات خطيرة، وبالفعل فقد طالبت بإسقاط الإسلام من دستور الدولة، وإقصاء الدين من التشريع وقصره على العبادات، أمَّا الدكتور الغذَّامي فقد طالب كعادته بإيجاد خطاب لغوي أنثوي للمرأة أردتُ بهذه المقدمة أن أُبين أنَّ هذه السيدة الفاضلة التي توصف بأنَّها علمانية كانت سيدة محترمة متزنة ملتزمة بحجابها دونما تبرج، وعندما قرأتُ مكاشفاتها في ملحق الرسالة، وجدتُ أنَّها تحمل فكراً رصيناً لا يخرج عن الإطار الإسلامي، وإن كنتُ أخالفها في بعض ما قالته، ولكن ما قالته مجملاً لا يخرج عن النهج الإسلامي، ولم يكن يستدعي كل هذا الجدل الذي أثارته مكاشفاتها، ولا سيما فيما يتعلق بالمرأة السعودية. ولي وقفات مع الدكتورة عزيزة المانع.

**الوقفة الأولى: عتابان:**

وسأبدأ بالعتاب الأول: أوجهه للدكتورة عزيزة عند حديثها عن الحجاز عندما وجَّه لها الأستاذ عبدالعزيز قاسم سؤالاً عن شعورها بالفرق في الحياة بين نجد والحجاز حيث يعد الحجاز أكثر تمدناً وتحضراً بحكم موقعه، وهي ابنة نجد، فكان جوابها (كان أهل الحجاز أكثر تمدناً في الأطعمة واللباس والأثاث، وفي بعض العادات، كما كانوا، وربما مازالوا أقل تشبثاً بالتقاليد المتوارثة، وهذا كله يعطي الحياة طابعاً أجمل).

وهذه مغالطة من الدكتورة عزيزة، فالحجاز الذي انطلق منه الإسلام الذي شيَّد سيدة الحضارات، وهي الحضارة الإسلامية، وكانت به أول جامعتين شهدهما العالم، وهما الحرم النبوي الشريف، والحرم المكي، والذي كان يفد إليهما طلبة العلم من جميع أرجاء الجزيرة العربية بما فيها منطقة نجد، والشيخ محمد بن

عبدالوهاب قصد الحرمين الشريفين لتلقي العلم من العلماء الذين يلقون دروسهم في هذين الحرمين الشريفين، إضافة إلى تفوق الحجاز في الفن المعماري، فقصر تمدن الحجاز على الطعام واللباس والثياب فيه إساءة للحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وفن العمارة الإسلامية؛ إذ يصفها بعدم العمق، وقصرها على الماديات، فنحن عندما نتحدث عن الحجاز فنحن نتحدث عن مكة المكرمة مهبط الوحي والتي بها بيت الله الكعبة المشرفة التي يأتي إليها الحجاج كل عام من كل مكان، فهي ملتقى حضاري عظيم، كما كانت قبل الإسلام تخرج القوافل للتجارة إلى الشام واليمن، كما كان يقام في الحجاز سنوياً أسواق مثل سوق عكاظ ومجنة وذي مجاز، والمدينة المنورة مهبط الوحي، والعاصمة الأولى في الإسلام، وبها أقدم جامعة في العالم هو الحرم النبوي الشريف، كما شهدت حضارة عظيمة قبل الإسلام، وهي حضارة سبأ التي امتدت إليها، فالحجاز قبل الإسلام متصلة بحضارات الفرس والروم والمصريين القدماء والبابليين ولآشوريين والفينيقيين، بينما كانت نجد بحكم موقعها الجغرافي منعزلة، ولم تقم فيها قبل الإسلام سوى مملكة كِندة، فكانت مغالطة كبرى من الدكتورة عزيزة أن تقصر تمدن الحجاز على الطعام واللباس والثياب، وليس لكونها من نجد أن تتجاهل العمق الحضاري للحجاز الذي انطلقت منه رسالة الإسلام.

## وعتاب آخر:

إذ لم تكن حيادية وموضوعية عند نفيها استعلاء بعض أهل نجد ولا سيما على الحجازيين الذين يصفونهم ببقايا حجاج، وبطروش بحر، ولا يعتبرونهم من أهل البلاد الأصليين، وهناك من أبناء الحجاز المقيمين في الرياض من أصيبوا بعقد نفسية نتيجة هذا الاستعلاء، كما نجد أنَّ عدوى الاستعلاء والشعور بالتمايز امتدت إلى بعض الكتاب؛ إذ صرَّح أحدهم أنَّه لا يعترف بأي كاتب أو كاتبة لا يسبق اسم أبيه أو عائلته "ال" التعريفية التي تشير أنَّه من نجد.

ويبدو أنَّ هذه النظرة للحجازيين قد تربوا في بيوتهم عليها، فلم يتلقوا هذا في مناهجنا الدراسية، وقد تربوا على خطأ كبير، فهذا أولاً يتنافى مع تعاليم الإسلام الذي ألغى كل أنواع التمايز فجاء قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾، كما أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله (الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي وأعجمي، وأبيض وأسود وأحمر إلاَّ بالتقوى)، لذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم أول خطوة خطاها في وضع أسس الدولة الإسلامية بعد تأسيس المسجد، هي إلغاء القبلية بالمؤاخاة بين الأوس والخزرج، وأطلق عليهم الأنصار، الأمر الثاني أنَّه فات على هؤلاء المتعالين أنَّ أهل الحجاز هم أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، وإن كان أهل الحجاز ليسوا بأهل البلاد الأصليين، فأين هم أهل الحجاز الحقيقيين؟ هل انقرض أهل الحجاز جميعهم، وحل محلهم ما يُطلق عليهم ببقايا حجاج وطروش بحر؟ وفاتهم أنّ المتحضرين من أهل الحجاز لا يُنسبون أنفسهم إلى قبائلهم، وإنَّما يكتفون بالنسب العائلي، وأصولهم تنتهي إلى قبيلة قريش، أو الأوس أو الخزرج، وغيرها من القبائل، والأمر الثالث إنَّ هؤلاء المهاجرين إلى مكة والمدينة من أبناء الأمة الإسلامية، قد تعود أصولهم إلى الجزيرة العربية، فنحن نعرف أنّه أبَّان الفتوح الإسلامية يتوجه بعض أبناء القبائل العربية في الجزيرة العربية إلى البلاد المفتوحة، والاستقرار فيها، لتعليم أبناء البلاد المفتوحة الإسلام واللغة العربية، وتمَّ التزاوج منها، والبلاد التي دخلت الإسلام عن طريق التجار العرب المسلمين، أيضاً نجد من أهالي تلك البلاد من تعود أنسابهم إلى أولئك التجار، وأيضاً على هؤلاء أن يدركوا أنَّ أصول سكان مصر والشام والعراق والسودان والصومال وشمال أفريقية تعود إلى الجزيرة العربية؛ إذ خرجت الهجرات من الجزيرة العربية إلى هذه المناطق.

فهذا التمايز يضر بالوحدة الوطنية، ولا يستطيع عاقل أن يتجاهل شعور أهل الحجاز بالغبن والظلم نتيجة هذا الاستعلاء والتمايز. لذا أرى ضرورة جعل محور الحوار الوطني الذي يلي القادم هو مناقشة القبلية والتمايز المناطقي والمذهبي، لأنَّ من أهم مقومات الوحدة الوطنية هو إلغاء النعرة القبلية والتمايز المناطقي والمذهبي.

## الوقفة الثانية: الحوار الوطني:

وما دمتُ قد تطرقتُ إلى الحوار الوطني، فأنا لا أتفق مع الدكتورة عزيزة فيما ذكرته عن الحوار الوطني، فالذي لم يُشارك في هذا الحوار لا يدرك مدى مصداقيته وحرص القائمين عليه على المصلحة العامة، وعلى الإصلاح بالفعل، وغلق جلسات الحوار أعطى للمتحاورين فرصة للتحدث بمنتهى الصراحة والوضوح والمكاشفة، ربما لا يجرئون عليها لو كانت الجلسات مفتوحة، وهذه الصراحة هي المطلوبة في الحوار، لأنَّنا بدون هذه المواجهة والمكاشفة والمصارحة لن نصل إلى إصلاح أي شيء، فمادام هدفنا هو الإصلاح فلابد من الكشف عن مواطن الخلل، ومعرفة أسبابه لتلافيها بوضع الحلول، ومادمنا أردنا الإصلاح فمعنى هذا أن هناك خللاً، وإن قلنا إنَّ كل شيء تمام، فلمَ الإصلاح إذاً، إنَّ إنكارنا وجود خلل لن يصلحه، بل سيزيده تفاقماً!!

كما أنَّ الحوار الوطني كشف للمتحاورين أنَّهم أخطأوا فيما حكم بعضهم به على بعض أحكاماً مسبقة لمجرد تصنيفه ضمن تيَّار معين، فالحكم المسبق على كل من هو إسلامي بأنَّه متشدد متطع يحرِّم كل شيء خطأ كبير، والحكم على من يُصنَّف بأنَّه علماني أو ليبرالي بأنَّه يريد نبذ كل ما هو إسلامي، ويريد فصل الدين عن الدولة هو خطأ كبير، فالذي خرجتُ به أنا شخصياً من هذا الحوار أنَّنا جميعاً

مسلمون أبناء وطن واحد، وعلينا على اختلاف مذاهبنا وتوجهاتنا أن نتمسك بديننا وعقيدتنا وقيادتنا لنواجه كل التحديات، ونُبطل كل المخططات، لتجتاز بلادنا بر الأمان.

وللحديث صلة.

* **كاتبة وعضو لجنة حقوق الانسان السعودية**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٤٢٤ هـ الموافق ١٣/ /٢ ٢٠٠٤ م

## سهيلة زين العابدين حماد(*) :

# وقفات مع الدكتورة عزيزة المانع في مكاشفاتها (٢ - ٤)

**الوقفة الثالثة: الناصرية وجمال عبدالناصر:**

لقد تحامل البعض على الدكتورة عزيزة المانع لما قالته عن الرئيس جمال عبدالناصر - رحمه الله - وأنا في الحقيقة لم أجد مبرراً لهذا التحامل، وأنا سأتحدث عنه كمؤرخة، وكمواطنة عربية مسلمة.

لا ينكر أحد أنَّ جمال عبدالناصر ربى وجدان الجيل الذي عاصره وغذاه على حب العروبة والوطن العربي الكبير، وأنَّنا أمة واحدة ومصيرها واحد، وأنَّ سقوط أية دولة عربية تحت سيطرة المحتل هو مصاب للأمة بأسرها، كما أنَّه ربَّى أبناء الجيل الذي عاصره على الإحساس بالعزة والكرامة ورفض الذل والضيم والاستسلام، وكان" يُردد ما أخذ بالقوة لا يُسترد إلاَّ بالقوة". وهذه مقولة ثبت صحتها، فمنذ سنة ١٩٧٩م حتى الآن، ونحن العرب في مفاوضات صلح مع إسرائيل، لنسترد منها ما سلب منا عام ٦٧، ولم نسترد إلاَّ سيناء، رغم أنَّنا قدَّمنا لها العديد من التنازلات، وهذه الأحاسيس والمشاعر والقيم انعكست على الأناشيد والأغاني الوطنية التي شهدتها فترة حكمه، والتي تربى وجداننا عليها في طفولتنا، كنشيد "الله أكبر" الذي تقشعر أبداننا ونحن نستمع إليه ونشيد "دع سمائي فسمائي محرقة"، ونشيد "والله زمن يا سلاحي"، و"نشيد بغداد"، "ومحلاك يا مصري وأنت على الدَّفة"، و"طوف وشوف"، و"مصر تتحدث عن نفسها"، و"حكاية شعب"، و"على باب مصر"، و"مصر هي التي في خاطري"، و"إحنا الشعب"، و"أمانة عليك أمانة يا مسافر بور سعيد"، وغيرها كثير، فنجد هذه الأحاسيس حرَّكت مشاعر الشعراء والملحنين، وألهبت حماسهم فجاؤوا بتلك الروائع، وبعد وفاته افتقدنا الأغاني

الوطنية، الآن نُشاهد المذابح في فلسطين والعراق، واحتلت بلدان إسلاميان هما أفغانستان والعراق، ولكن أين ذاك النشيد الوطني الذي يلهب الحماس، ويحرك ويوقظ المشاعر النائمة، بل المجمدة، ويذيب جليدها؟

ولا يعيب عبدالناصر أنَّه ركَّز على العروبة، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عربي، والعربية لغة القرآن، ولغة أهل الجنة، ولن تكون عزة للإسلام بلا عزة العرب، ومن المتناقضات العجيبة أنّ من الذين ينكرون على عبدالناصر عروبته من يتغنى بالقبلية ويتفاخر بنسبه القبلي، مع أنّ الإسلام نهى عن القبلية، ولم ينه عن العروبة.

والرئيس جمال عبدالناصر هو أولاً مواطن مصري عربي مسلم فلاح من قبيلة بني مر من صعيد مصر، قاتل في حرب ١٩٤٨م دفاعاً عن فلسطين، وحوصر في الفالوجة، وكُشفت له مؤامرة الأسلحة الفاسدة التي أعطيت للجيش المصري، وكانت الطلقة بدلاً من أن تذهب في صدر العدو الصهيوني كانت تذهب إلى الجندي المصري الذي يطلقها، فعاد من الحرب، وهو عازم على تخليص بلده من الخونة والمتآمرين، وكوَّن حزب الأحرار، وخططَّ للثورة لتقوم عام ١٩٥٥م، ولكن الأسلحة الفاسدة، وحريق القاهرة في يناير عام ١٩٥٢ م جعله يُعجِّل بالثورة، فكانت في ٢٣ يوليو عام١٩٥٢م، ولمَّا كان "يزباشي" أي رتبته العسكرية صغيرة جعل الفريق محمد نجيب رئيساً للدولة، فبعد نجاح حركة الجيش قدم محمد نجيب على أنه قائد الثورة - وكان الضباط الأحرار قد فاتحوه قبلها بشهرين في احتمال انضمامه إليهم إذا ما نجحت المحاولة - إلا أن السلطة الفعلية كانت في يد مجلس قيادة الثورة الذي كان يرأسه جمال عبدالناصر حتى ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ عندما صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بضم محمد نجيب إلى عضوية المجلس وأسندت إليه رئاسته بعد أن تنازل له عنها جمال عبدالناصر. وفي ١٨ يونيه ١٩٥٣ صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية، وبإسناد رئاسة الجمهورية

إلى محمد نجيب إلى جانب رئاسته للوزارة التي شغلها منذ ٧ سبتمبر ١٩٥٢، أما جمال عبدالناصر فقد تولى أول منصب عام كنائب رئيس الوزراء ووزير للداخلية في هذه الوزارة التي تشكلت بعد إعلان الجمهورية. وفى الشهر التالي ترك جمال عبدالناصر منصب وزير الداخلية - الذي تولاه زكريا محيي الدين - واحتفظ بمنصب نائب رئيس الوزراء. وفى فبراير ١٩٥٤ استقال محمد نجيب بعد أن اتسعت الخلافات بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعين جمال عبدالناصر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً لمجلس الوزراء.. فجمال عبدالناصر لم يسلب منه حقاً له.

والرئيس جمال عبدالناصر كزعيم كانت تتوفر فيه صفات الزعامة، فهو شخصية قيادية بلا منازع استطاعت أن تفرض احترامها حتى من قبل أعدائها، وبلا شك كان له دور كبير في تعريف العالم بالعرب، وجعل العالم كله يحترم العرب، وجعل كل عربي يشعر بالعزة والكرامة، والحقيقة هذه سمعتها من كثيرين، ولا سيما من الذين كانوا يعيشون في أوربا وأمريكا، قالوا جمال عبدالناصر أعاد لنا كرامتنا وعزتنا، حتى الذين كانوا يعارضونه ويُهاجمونه باتوا اليوم يترحمون عليه.

لقد حقَّق الرئيس عبدالناصر عدة إنجازات في مقدمتها إعلان جلاء البريطانيين من مصر، وتأميم قناة السويس، والتي ترتب عليه العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م من قبل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، وكانت كلمته التاريخية في الجامع الأزهر، وقوله: "سنقاتل... سنُقاتل حتى آخر قطرة من دمائنا، لها تأثيرها في شحذ الهمم، وإلهاب حماس الشعب المصري، حتى المقاومة الشعبية في بور سعيد كان لها دور فعَّال في الحرب، وإلحاق الهزيمة بالعدو، وتحقق النصر للشعب المصري، وأصبح للمصريين حق إدارة قناة السويس، وبنى السد العالي متحديا الصندوق الدولي الذي رفض تمويل هذا المشروع، ومن إنجازاته أيضاً فرض مجانية التعليم، فأتيحت فرص التعليم بكافة مراحله لجميع أبناء الشعب بعدما كان قاصراً على

فئات معينة من الشعب، كما نجده ساند الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي، وتكونت حكومة جزائرية مؤقتة كان مقرها في القاهرة، كما كان مقر منظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة، و له مواقف عديدة جعلت العالم يحترم العرب، ولكن بلا شك سلبياته كثيرة أيضاً، من أخطرها تطبيقه للاشتراكية، وهذا يعود إلى أنَّ خلفيته الدينية ضعيفة، فتأثر بما كتبه الأستاذ توفيق الحكيم عن الاشتراكية، هذا ما ذكره الأستاذ توفيق الحكيم نفسه في كتابه "شجرة الحكم السياسي"، فرأى فيها الحل للقضاء على الإقطاع الذي عانت منه مصر فترة حكم الاستعمار والملك فاروق، ولمَّا كانت لعبدالناصر شخصية قيادية نادرة، وبراعة خطابية فذَّة، لا يتمتع بها زعيم عربي آخر، ولمواقفه الشجاعة تأثرت به حركات التحرر في العالم العربي، وسار على نهجه من تولى الحكم بعد إسقاط الملكية في العراق وسوريا وليبيا واليمن والجزائر، وطبَّقوا الاشتراكية في بلادهم، والاشتراكية غيَّرت مجرى تاريخ الأمة العربية؛ إذ لو نهج عبدالناصر المنهج الإسلامي في الحكم لما كانت حالنا التي نحن عليها الآن، وأنا أتفق مع الدكتورة عزيزة في أنَّ عبدالناصر كان مجتهداً، وكان حسن النية في المنهج الذي نهجه، فقد ظن فيه الخير، أمَّا موقفه من الأخوان المسلمين، فممَّا لا شك فيه أنَّ البطانة المحيطة به هي التي جرَّته إلى ذلك، فهو أخطأ في اختيار بطانته، ولكن هذا لا يعفيه من مسؤولية ذلك، كما أخطأ في ثقته في المقربين إليه مثل الفريق عبدالحكيم عامر، وأخذه بالاشتراكية لا ينفي إيمانه، فلم يكن شيوعياً، فقد كان ختام حياته ختاماً حسناً؛ إذ توفي بعدما أصلح بين الملك حسين رحمه الله وبين الفلسطينيين وأوقف نزيف الدم الفلسطيني، كما نال فضل وشرف الصلاة عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين، فقد أمر الفيصل رحمه الله ـ بالصلاة عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين، وقد مشى في جنازته الملايين من أبناء الشعب المصري، وقد بكته الأمة بأسرها، صحيح أنَّني كنتُ طفلة وقتها لم أدرك الأمور كما هي عليه إلاَّ أنَّني بكيتُ بحرقة أنا وأخواتي

عندما أعلن الرئيس عبدالناصر تنحيه عن الحكم إثر هزيمة ٦٧م، حتى أذكر أنَّ أمي رحمها الله ثارت في وجوهنا، لمَّا رأت جميعنا يبكي، ولكن نحن الآن عندما نُقيِّم هذا التصرف من هذا القائد، نجده أنَّه تصرُّف شجاع لا يُقدم عليه إلاَّ من هو مخلص لأمته، فزعيم عربي في مكانته يعلن على الملأ خطأه، وتحمل مسؤولية خطأه وأخطاء غيره، ويقول قولته الشهيرة: (**فإنني على استعداد لتحمل المسئولية كلها، ولقد اتخذت قراراً أريدكم جميعاً أن تساعدوني عليه: لقد قررت أن أتنحى تماماً ونهائياً عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير، أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر. إنَّ قوى الاستعمار تتصور أنَّ جمال عبدالناصر هو عدوها، وأريد أن يكون واضحاً أمامهم أنَّها الأمة العربية كلها وليس جمال عبدالناصر. والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائماً بأنَّها إمبراطورية لعبدالناصر، وليس ذلك صحيحاً؛ لأنَّ أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبدالناصر، وسوف يبقى بعد جمال عبدالناصر. ولقد كنت أقول لكم دائماً: إنَّ الأمة هي الباقية، وإنَّ أي فرد مهما كان دوره، ومهما بلغ إسهامه في قضايا وطنه، هو أداة لإرادة شعبية، وليس هو صانع هذه الإرادة الشعبية**).

ألا يدل هذا على صدق نوايا هذا الرجل وإخلاصه؟

كما أنَّ قوله هذا يؤكد أنَّ الناصرية ليست أيدولوجية، ولم يكن عبدالناصر يسعى لذلك.

لقد تولى الرئيس جمال عبدالناصر الحكم، وفلسطين تحت الاحتلال الصهيوني، وباقي البلاد العربية - باستثناء المملكة العربية والسعودية واليمن - تحت سيطرة الاستعمار، فكان همَّه الأول العمل تحرير الوطن العربي من هذا الاستعمار، هذا ولقد لخَّص الأستاذ سامي شرف مدير مكتب الرئيس جمال عبدالناصر مشروع عبدالناصر في النقاط التالية:

**أولاً**: أنَّ الأمة العربية قادرة على طرد الاستعمار.

**ثانياً**: أنَّ الفراغ الذي يتخوفون منه هو في الأصل سراب.. لأنَّ هناك أمة عربية، وشعب عربي قادر على الأخذ بالثورة.

**ثالثاً**: أنَّ الخطر الأساسي هو إسرائيل، وليس الشيوعية التي يمكن صدَّها بإسلامنا وبوطنيتنا وبتراثنا وحضارتنا، وبصفة عامة فلقد لخَّص عبدالناصر خطَّه الاستراتيجي في العبارات التالية: (دعونا بالدرجة الأولى ننشئ نظامنا العربي المستقل على أن يكون موجهاً ضد أي خطر يجيئنا من أي اتجاه).

(إنَّ رباط الإسلام رباط مقدس، وإنَّ وحدة المصلحة والأمن إذا ارتكز إلى جانب الدين على وحدة التاريخ والثقافة واللغة والامتداد الجغرافي لأصبحنا نتحكم في إرادتنا، وبمصائرنا).

فالناصرية ليست أيدولوجية، وإن كان الذين عاصروه مجَّدوا الاشتراكية والشيوعية، وجعلوها أيدلوجية شعب، مثل الأستاذ نجيب محفوظ الذي تميزت قصصه ورواياته التي كتبها في فترة حكم عبدالناصر بتمجيد الاشتراكية والشيوعية، وجعلها الحل الأمثل لجميع المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وإن كان الذين أسسوا الحزب الناصري منهم يساريون شيوعيون فلا يعني أن يوصف بأنَّه يساري أو ناصري كل من يقول كلمة حق في حق هذا الرجل الذي مات ولم يملك شيئاً من حطام الدُّنيا؛ إذ كان عبدالناصر، وهو رئيس دولة يتقاضى راتباً شهرياً قدره ستمائة جنيه، ولم نسمع بعد وفاته أنَّ له أرصدة في بنوك أجنبية، وكانت زوجه ربة بيت عكفت على تربية أولادها، ولم يكن لها أي نشاط اجتماعي.

لقد سمعتُ في شهر يوليو الماضي أحد المقربين من الرئيس جمال عبدالناصر يقول في إحدى الإذاعات: "إنَّ هدى ابنة الرئيس لم تحصل في الثانوية العامة على مجموع يدخلها إحدى الكليات بالجامعات المصرية، ورفض عبدالناصر أن يتوسط

لها ليدخلها إحدى هذه الكليات، وأدخلها الجامعة الأمريكية على حسابه، بينما دخل ابن سائقه كلية الطب.

وأنا لا أشك في أنَّ الرئيس جمال عبدالناصر مات مقتولاً من قبل الموساد بدس سم في طعامه أو شرابه أثناء وجوده في الأردن ليُصلح بين القيادة الأردنية وبين الفلسطينيين ويوقف نزيف الدم الفلسطيني الذي سفك بأيدٍ عربية.

هذا وقد شهد العالم العربي والإسلامي شخصية قيادية من طراز نادر عاصرت جمال عبدالناصر، وهو الملك فيصل رحمه الله الذي أعتبرُه المؤسس الثاني للدولة السعودية في دورها الثالث، بإصلاحاته وإنجازاته على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية، وكانت لديه جرأة في اتخاذ القرار السياسي الجريء والشجاع، والفيصل من الزعماء العرب والمسلمين الذين قلَّما يجود الزمان بمثلهم، وهو يذكرنا بصلاح الدين الأيوبي، وكان يعمل بصمت، وإذا كان عبدالناصر هو رائد الوحدة العربية، وتحققت في عهده الوحدة بين مصر وسوريا، فالفيصل رائد التضامن الإسلامي، وإن كان عبدالناصر حكم حكماً اشتراكياً، فالفيصل تميَّز عنه بأنَّه حكم حُكماً إسلامياً، وجعل للأمة الإسلامية وزناً وثقلاً عالمياً، وجعل للسعودية، وللإنسان السعودي مكانة مرموقة في العالم، فبأخلاقياته وحكمته وحنكته السياسية، ومواقفه الحاسمة جعل اسم السعودية محترماً دولياً وعالمياً، والفيصل هو محرر المرأة السعودية من أغلال الجهل والأمية، وموقفه من تعليم البنات لا يُنسى على النطاق المحلي، وعلى الصعيد العربي والدولي، فلا يُنسى موقفه في حرب رمضان/ أكتوبر عام ١٩٧٣ م عندما هددت أمريكا بضرب آبار البترول السعودية لمنعه تصدير البترول للغرب قال قولته الشهيرة مُصِّراً على موقفه:" لا يضيرنا العودة إلى الخيام "، وكما قتل اليهود الصهاينة عبدالناصر فقد قتلوا الفيصل بيد أحد أقاربه، وقد حزنّا جميعنا على مقتله، وأذكر أنَّ والدي رحمه الله كان في الرياض عند مقتل الفيصل، فلم يطق الجلوس في الرياض، وبدت في

عينيه مظلمة، وعاد إلى المدينة، ولا أنسى مقولته لي: "لقد كانت الرياض مظلمة، لم أطق المكوث بها" رحم الله الزعيمين والقائدين العربيين المسلمين الذين جعلا رؤوسنا عالية، وهاماتنا شامخة، ورغم اختلافهما في التوجه إلاَّ أنَّ كل واحد منهما كان يحترم الآخر.

أنا لستُ بناصرية، ولكن تحدثتُ هنا عن الرئيس عبدالناصر كمؤرخة، وينبغي لنا عندما نكتب التاريخ ألاَّ ننكر حق من صنعوا التاريخ أو أسهموا فيه، وليس من العدل أن نسلب من عبدالناصر دوره في حرب الاستنزاف التي بدأت بعد هزيمة ١٩٦٧م، واستمرت حتى سنة ١٩٧٣م، والتي هيأت للانتصار في حرب ١٩٧٣ م، كما أنَّ تسليح الجيش بدأ بعد الهزيمة مباشرة، ولم يبدأ بعد وفاة عبدالناصر في سبتمبر عام ١٩٧٠م، فنسبة انتصار الجيش المصري في أكتوبر للرئيس محمد أنور السادات فقط فيه إجحاف لحق عبدالناصر، كما لا ننسى أنَّ السادات أخبر الإدارة الأمريكية قبل الحرب أنَّه لن يدخل العمق الإسرائيلي، وشهادة الفريق الجمصي، والفريق سعد الدين الشاذلي تُبيِّنان أنَّ السادات كان وراء ثغرة الدرفسوار التي كانت سبباً في عرقلة تقدم الجيش المصري، واتخاذ مصر قرار وقف إطلاق النار، فتحقيق النصر في أكتوبر كان شكلياً لأنَّه لم يحرر الأراضي التي تمّ احتلالها عام ٦٧م، وذلك ليقدم على عقد صلح مع إسرائيل، فيتقبل شعبه هذا الصلح بعد تحقيق نصر على العدو.

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٤ م

## سهيلة زين العابدين حماد(*) :

# وقفات مع الدكتورة عزيزة المانع في مكاشفاتها (٣ - ٤)

**الوقفة الرابعة: الدكتورة عزيزة المانع والمرأة:**

في البداية أود أن أقول إنَّ ما قالته الدكتورة عزيزة عن معاناة المرأة ليس فيه أية مبالغة؛ بل هناك أكثر ممَّا قالته، والذين يقولون إنَّها بالغت لكونهم رجالاً فلا يدركون معاناتها مثلنا نحن، فهم ينظرون إلى الأمور بمنظارهم هم، ويغيب عنهم أنَّ المرأة إنسانة ذات أحاسيس ومشاعر، ولها عزة وكرامة، وإذلالها بحجة الحفاظ عليها لا يزيدها إلاَّ غبناً وقهراً، فأنا أتفق مع الدكتورة عزيزة في مجمل ما قالته، ولكن أختلف معها في الآتي:

١ - قصرها ولاية الولي على عقد النكاح، فهي بالتالي ألغت القوامة، وأعطت الحق للزوجة أن تسافر وتعمل بدون أذن زوجها، وللابنة أن تسافر وتعمل بدون إذن أبيها، وهذه ذات المطالب التي نادى المشاركون والمشاركات في مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة، الذي سبق وأن أشرتُ إليه، وقد تصديتُ لهذه المطالب لأنَّها تمس ثابتاً من ثوابت الإسلام التي يجب أن نحرص عليها، فالآية القرآنية واضحة وقطعية الدلالة: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾، فليس من حق الزوجة السفر بدون إذن زوجها، حتى الخروج من بيتها لا يصح إلاَّ بإذنه وعلمه، والدكتورة عزيزة ذاتها ذكرت أنَّها خرجت في مظاهرة السيارات بإذن من زوجها، وكذا الابنة لا يحق لها السفر بدون إذن أبيها، ولكن الأرملة التي لا يعيلها ابنها لا تسافر إلاَّ بورقة إذن منه، وقد يكون هذا الابن مراهقاً ابن الخامسة عشر، والأخت الذي توفي والدها ولا زوج لها، وقد بلغت سن الأربعين وما فوق، وتعيل نفسها، لا تستطيع

السفر بدون ورقة إذن من أخيها أو وكيلها، فهذا الذي فيه منتهى الامتهان للأمومة، وللمرأة، وينبغي إعادة النظر في هذا النظام، وإلغاؤه. وكذا ينبغي إلغاء نظام عدم استخراج المرأة البالغة الرشد بطاقة أحوالها أو جواز سفرها أو تجديده، أو قبول دعاوى المرأة القضائية إلاَّ بحضور ولي الأمر أو الوكيل. وكذا إعطاء المرأة حق الولاية على مالها والتصرف فيه كما تشاء دون وصاية أحد عليها، فالمرأة كاملة الأهلية، ولها الأهلية الحقوقية كاملة، وقد أعطاها الإسلام هذه الأهلية، ولستُ أدري لمَ تُعامل معاملة ناقصي الأهلية؟ ولمَ نجعلها عُرضة للإذلال والابتزاز؟

٢ - خروجها في مظاهرة لقيادة السيارة لمجرد أن جاءها اتصال هاتفي للمشاركة في هذه المظاهرة، فكما يبدو من شخصية الدكتورة عزيزة أنَّها شخصية متزنة، ولو درست هذه الخطوة من كل جوانبها، لما أقدمت عليها، ولبحثت عن حل للقضية من وجه آخر. وقولها لا توجد جهة للرجوع إليها غير مقبول، فباب الحكم مفتوح لأبناء الشعب، ولو طلبت هؤلاء الأكاديميات لقاء خادم الحرمين الشريفين وعرضن عليه القضية لكانت النتيجة أفضل، لأنَّ القيادة السياسية تسعى لخدمة الصالح العام.

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٧/ ١ / ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٤ م

## سهيلة تختتم مداخلتها على مكاشفات عزيزة المانع (٤ - ٤)
## نعم.. موقف الصحوة الإسلامية سلبي من المرأة، والوسطيون متفرجون، أطالب أن يفتح ملف قيادة المرأة السعودية للسيارة في الحوار الوطني القادم

سأواصل في ختام مداخلتي على مكاشفات د. عزيزة المانع ما انقطع من حديثي حيال ما تكلمت به عن خروجها في مظاهرة قيادة السيارة. ومسألة قيادة المرأة السعودية للسيارة مسألة شائكة، ولعلَّ خروج سبع وأربعين امرأة - هنَّ في الغالب أمهات لفتيات صغيرات - في سيارات يقدن سياراتهن فيها رسالة موجهة للمجتمع كان ينبغي على المسؤولين في مواقع القرار أن يتمعنوا فيها، ويفتحوا ملفات السائقين الأجانب علَّهم يجدون فيها ما دفع بهؤلاء الأمهات للخروج بعباءاتهن منقبات يقدن سياراتهن.

السائق رجل أجنبي لا تجوز خلوة المرأة به، فالشيطان ثالثهما، خاصة وأنَّ هذا السائق غالباً ما يكون غير متزوج أو متزوجاً وزوجه ليست معه، وهنا يشكل خطراً على الفتاة أو المرأة التي تركبُ السيارة معه بمفردها ليوصلها إلى مدرستها أو كليتها أو عملها، وهناك سائق اغتصب بنات الأسرة التي يعمل لديها، وهناك سائق آخر مع زوجته جرَّدا المعلمات من ملابسهن اللواتي يعملن في إحدى القرى الراكبات معهما بعد عودتهن من مدرستهن، وكن مستلمات رواتبهن، وأخذا رواتبهن، وتركاهن في الطريق بلا ملابس، وذهبا إلى المطار وسافرا إلى بلدهما، إضافة إلى ما قد يحدث من علاقات غير شرعية بين السائقين وبين الخادمات اللواتي يعملن في ذات البيت الذي يعمل فيه، فالأم التي تسمع بمثل هذه الحوادث ألا تخشى على بناتها من ذات المصير؟ ولعلَّ هذا السبب هو الذي دفع بهؤلاء الأمهات للخروج بالسيارات ليقلن للناس أجمعين: نحن خائفات على أعراضنا وأعراض بناتنا، فدعونا نقد السيارات لنتولى بأنفسنا توصيل بناتنا إلى مدارسهن وكلياتهن، وأعمالهن، ولكن

للأسف قُوبلت هذه المظاهرة بهجوم شديد، ووضعت القائمات بها في قائمة المجتمع السوداء، ولم يبحث أحد في حل لهذه القضية الشائكة، ولا تزال الفتاوى الصادرة من بعض علمائنا الأفاضل تحرِّم على المرأة السعودية قيادة السيارة منعاً للفتن والمفاسد، أي تحت باب سد الذرائع، ولستُ أدري أيها أكثر جراً إلى المفاسد، وجود سائق أجنبي في بيوتنا، و انفراد ركوب المرأة السيارة معه، وارتكاب مُحرَّم الخلوة الذي قد يؤدي إلى اغتصابها، أم قيادة المرأة للسيارة بنفسها، مع وضع ضوابط لهذه القيادة بحيث يحدد سن معينة كسن الخمس وثلاثين وما فوق، وتكون منقبة، ولا تقود في ساعات متأخرة من الليل، مع تأمين عربات متنقلة لصيانة السيارات يمكن الاتصال بها بالجوال في حالة وجود أي خلل في السيارة لتحضر على الفور إلى مكان توقف السيارة وإصلاحها، أو توفر مواصلات عامة مؤمنة للنساء تربط المدينة بقراها وضواحيها ومستشفياتها وبنوكها ومدارسها وكلياتها وأسواقها.. إلخ بحيث تتمكن المرأة من الانتقال وتلبية جميع احتياجاتها واحتياجات أسرتها في أمان واطمئنان؟؟

أرجو أن يفتح ملف قيادة المرأة للسيارة في الحوار الوطني القادم، وفي مجلس الشورى مع مشاركة النساء في المجلس عند نقاشها للوصول إلى حل أمثل لهذه القضية الشائكة.

## الوقفة الخامسة: الصحوة وقضية المرأة

وأنا هنا أتفق أيضاً مع الدكتورة عزيزة المانع فيما ذكرته عن مواقف الصحوة الإسلامية السلبية من المرأة، فالصحوة الإسلامية إلى الآن لم تسع للقضاء على جميع العادات والأعراف والتقاليد التي تتعارض مع الإسلام، وقد أعجبتني كثيراً العبارة التي صاغتها الدكتورة عزيزة بهذا الصدد وهي: (العرف الاجتماعي غالباً ما يشيع وينتشر بين النَّاس متلبساً بلباس ديني، ثُمَّ يأتي القرار من بعض الجهات ليدعمه فيزداد ثباتاً وعُمقاً) وأسأل هنا:

**ومن وراء إصدار ذاك القرار؟**

في الغالب البعض ممن ينتمون للتيار الإسلامي المتشدد، ممن ينتمون للصحوة، ومن هم ذوو التوجه الوسطي المعتدل لا يزالون في أماكنهم يقفون موقف المتفرج، ولا يجرؤون على المواجهة، والمرأة لا تزال تعاني ظلماً اجتماعياً من أقرب الناس إليها، فلا تزال نساء في بعض مناطق المملكة تُحرم من حقها في الميراث، وفي مناطق أخرى تُحرم من شراء عقار باسمها فتكتبه باسم وكيلها أو ولي أمرها، وهناك نساء مطلقات محرومات من حقوقهن الشرعية، وهناك بنات قد يُغتصبن من محارمهن، أو يزوجن رغم إرادتهن أو يُعضلن من قبل آبائهن أو إخوانهن، فلا يُزوجن طمعاً في رواتبهن أو خدمة أولادهم، ويحرمن من حقهن في التعليم، والمرأة رغم ما حققته من تفوق علمي في مختلف المجالات، فهي لا تزال محرومة من حقوق منحها إياها الإسلام، وعندما يأتي صوت إسلامي معتدل يُطالب للمرأة بهذه الحقوق بضوابط الإسلام، قبل أن يفلت الزمام من أيدينا، وتحت ضغوط دولية ستنال المرأة تلك الحقوق وفق ما يريده الآخر لها، وعندئذ سيكون ولاء المرأة له وليس لدينها، لأنَّ دينها هو الذي حرمها من تلك الحقوق، كما يقول لها المتشدِّدون الذين ينفون عن الإسلام إعطاءه لها تلك الحقوق، رغم وجود آيات قرآنية وأحاديث نبوية قطعية الدلالة تعطيها تلك الحقوق، ويفسرون تلك الآيات والأحاديث تفسيراً يُحرِّم على المرأة تلك الحقوق، ومع هذا نجد من المتشددين من يصف هذا الصوت بما يُسمى بالعصرنة، أو بالليبرالي أو بالعلماني، كما سيصفونني بذات الصفات بعد قراءتهم لهذه المداخلة، فهكذا تُلقى الاتهامات جزافاً على كل من يخالفهم، والمنتمون للصحوة يتفرجون، لا يعملون شيئاً، للأسف نجد قائمة المحرمات على المرأة في ازدياد تحت ذريعة درء الفتن، وسد الذرائع والخصوصية، وهذا التشدد سيؤدي إلى نتائج عكسية، ما لم تتدارك الأمر الصحوة الوسطية المعتدلة، وتمتلك الجرأة

للمواجهة، وستؤثم إن استمرت على سلبيتها، وسكوتها، فالمجتمع والوطن في حاجة إلى تواجدها لتؤدي دورها.

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٤/ ١ / ١٤٢٥ هـ الموافق ٥ مارس ٢٠٠٤ م

## د. محمد بن موسى الشريف*:

## حتى أنت يا سهيلة!!

## كنت أربأ بمثلك أن ينساق خلف عواطفه ويكتب مشيداً بعبدالناصر

إن للأستاذة سهيلة جهداً مقدراً مشكوراً يتضح في كتاباتها الكثيرة، وفي حماسها الكبير للدفاع عن القضايا الإسلامية، وفي مشاركتها في وسائل الإعلام، وغير ذلك من نشاطات امتدت أكثر من ربع قرن، ولعمر الحق إنه لجهد مشكور مثابة عليه إن شاء الله تعالى، وحسبها أنها من القيادات النسائية النادرة التي تصدت لهذا العمل منذ وقت مبكر، فجزاها الله خيراً.

ولقد صدمتني الأستاذة الكريمة بحديثها في ملحق الرسالة العدد الماضي عن رجل كان له أسوأ الأثر على مصر خاصة وعلى البلاد العربية عامة، بدعوته إلى القومية المناهضة لدعوة الإسلام وأسسه، ولتنكيله بدعاة الإسلام ورميه إياهم في السجون مدداً طويلة، وبنشره للاشتراكية الحمراء في مصر بشهادة عدد من المؤرخين الثقات، وبتقريبه للملاحدة وإبعاده للإسلاميين، وإبعاده للإسلام عن كل مظاهر الحياة إلا ما لا يمكن كالأزهر الذي فرغه من محتواه تقريباً، وطوع مشايخه ليكونوا موظفين يأتمرون بأمره، وكم مخازٍ ظهرت لهؤلاء الموظفين في مدة حكمه معروفة معلومة للقاصي والداني ممن عاش في تلك المدة المظلمة أو قرأ عنها.

هذا عدا عن تقريبه كثيراً من المنافقين، وإبعاده أكثر المخلصين، وبدعة التأميم التي أتى بها، فقضى على البقية الباقية من أسس النهوض بالصناعة والزراعة، لكن السوأة الكبرى له أنه دخل معركة سنة ١٣٨٧ - ١٩٦٧ بغير استعداد مادي أو إيماني فكانت الهزيمة المشؤومة التي لا تمحى من الذاكرة، وهذا اللواء أركان حرب جمال الدين محفوظ أحيلك على حديثه في مجلة المجتمع المصرية ذاكراً كيف دخل الجيش الناصري الحرب وهو ضائع مضيع، وكيف كان الدين بعيداً عن المعركة

تماماً، فليت شعري ما الذي صنعه عبدالناصر حتى تدافعي عنه هذا الدفاع وتمجديه هذا التمجيد، ولقد كنت أربأ بمثلك أن ينساق خلف العواطف هذا الانسياق المزعج، فلم تأتي بشيء من أمجاده المزعومة إلا بضعة أناشيد كان يدغدغ بها الشعب المغلوب على أمره بل الشعوب العربية كلها آنذاك كانت على شاكلة الشعب المصري، وبأنه علم العرب العزة والكرامة، وأية عزة وأية كرامة تعلمها الشعب العربي، وقد كان يتقلب من هزيمة إلى هزيمة ومن فاجعة إلى فاجعة، ومن العجيب أنك خلطت بين وجهين من العروبة: العروبة الممدوحة التي هي مادة الإسلام وأسه والتي تُعنى بالإسلام ومبادئه، وبين العروبة المذمومة عروبة عبدالناصر الذي كان عن الإسلام وهديه وشريعته بمعزل شبه تام كما دلت على ذلك أعماله وآثاره وأقوال المؤرخين الثقات في مدة حكمه المظلمة.

وذكرت أن عبدالناصر لم يسلب نجيباً حقه ولكن بأي حق سجنه سنوات طوالاً في إقامة جبرية ظالمة؟

أما أعجب ما ذكرت أن عبدالناصر جلب العزة للعرب فجعل العالم كله يحترم العرب!!! ولا أدري هل هذه مزحة من الأستاذة أم هي جادة، وهل حصل العرب على احترام أحد في تلك المدة المظلمة أم كنا مادة للسخرية من قبل شعوب الأرض. أما هزيمة ٥٦ والتي أسميتها انتصاراً فنحن نعلم أن تدخل أمريكا بعد إرادة الله تعالى هو الذي ساهم مساهمة مباشرة في جلاء أولئك الأعداء، وأن عبدالناصر كان أهون وأذل من أن يصنع شيئاً بعد أن أعدم وسجن الإسلاميين في بلاده وهم بفضل الله تعالى القادرون في كل زمان ومكان على تحريك الشعوب تحريكاً حقيقياً لا إعلامياً زائفاً. أما قولك إن عبدالناصر كان حسن النية في النهج الذي نهجه فما الذي أدراك وأطلعك على نيته؟ ثم إن حسن النية لا تعفيه من سوء العمل، وأقول لك كما قالت العصفورة لأختها: لا تنظري لدموع عينيه ولكن انظري إلى عمل يديه!!.

ثم ذكرت أمراً أربأ بمثلك أن يتعلق به، وهو أن عبدالناصر قد ختم حياته خاتمة حسنة، وذكرت سببين لذلك وهو إصلاحه بين رئيسين عربيين وأنه صُلي عليه في الحرمين الشريفين!! فهل هذه علامات حسن خاتمة معتبرة شرعاً، وكم صُلي في الحرمين على مجرمين وآثمين؟ فهل الصلاة على أمثال هؤلاء في الحرمين من دلائل حسن الخاتمة؟!!

ثم ختمت كلامك بما كنت أتمنى ألا تقوليه، وهو أنك وملايين العرب بكيتم عندما استقال ذلك الطاغية تلك الاستقالة المضحكة، وهو يدل بوضوح كم استطاع هذا السفاك أن يضحك على الشعب العربي طويلاً وأن يستجلب مشاعره بمثل ما استجلب مشاعرك ومشاعر الملايين!!

ثم قلت معلقة على الاستقالة: "ألا يدل هذا على صدق نوايا هذا الرجل وإخلاصه؟" ولا أقول إلا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

أختي الكريمة: نحن في مرحلة يجب أن نراجع فيها تاريخنا القريب وصناعه الذين جلبوا علينا أفدح صور الخزي والعار لا أن ننطلق في تمجيد عاطفي عجيب لأشخاص كانوا من أكابر مجرميها، فأرجو أن تراجعي نفسك، وأن تقرأي ما سجله ثقات المؤرخين عن تلك لمدة المظلمة، مما لا يحسن أن يجهله أمثالك من القدوات الإسلامية الإعلامية النسائية التي نفتخر بها ونعتز.

**أختي الكريمة:**

لو صنع مسؤول غربي أو شرقي عشر معشار ما صنعه من المخازي ذلك الحاكم لسارع إلى الاختفاء من الحياة السياسية، لكن قدر علينا نحن العرب أن نعيش عقوداً طويلة تحت أمثال عبدالناصر والأسد والقذافي وصدام فإلى الله المشتكى.

**أخيراً:** أختي الكريمة: ما كتبت ما كتبته تنقصاً منك معاذ الله أو غضاً من شأنك، فأنت أرفع وأكرم، لكن ما حيلتي وقد نشر كلامك بين الناس فلا أجد مساغاً إلا الرد على رؤوس الناس فمعذرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

*** أكاديمي وباحث إسلامي سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٤/ ١ / ١٤٢٥ هـ الموافق ٥ مارس ٢٠٠٤ م

## خالد السليمان* في تعقيب ساخن على سهيلة: لمصلحة من إثارة مثل هذه النعرات المناطقية؟!

## * الهوية الوطنية المجردة من النعرات خط أحمر يجب على الصحف ألا تسمح لأحد بتجاوزه !!

## * الحجازيون يتقدمون الصفوف بما يزيد على نسبتهم السكانية فعن أي ظلم أو غبن تتحدثين؟!

## * واجب النخبة أن يتقدموا العوام لا أن يسيروا خلف سفهائهم !!

صعقني كثيراً ما كتبته الكاتبة القديرة الدكتورة سهيلة زين العابدين في عدد الرسالة الصادر بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٤، فقد انجرفت الكاتبة الفاضلة في كتابة تثير النعرات المناطقية والعرقية بما لم نتعوده من نخبة المثقفين والمفكرين وأهل الرأي الذين اعتمد المجتمع عليهم دائماً في قيادة العوام وتوجيههم نحو تنقية العقول من الشوائب الفكرية وتجريدها من الأهواء الشاذة التي تزرع الفتن وتسقي النعرات العرقية والمذهبية والمناطقية التي لطالما كانت المعول الأول في ضرب أسس استقرار المجتمعات وتمزيق سلام الأمم!!

والدكتورة سهيلة أخطأت في عدة مواضع، وبدت كما لو أنها تردد ما يقوله جهال العوام وليس نخبة أهل الفكر من المتعلمين والمثقفين!! لعلي أتناول بعضها:

١) عندما عاتبت الدكتورة عزيزة المانع بسبب ما وصفته "نفيها استعلاء بعض أهل المناطق في المملكة ولا سيما على الحجازيين الذين يصفونهم ببقايا حجاج وطروش بحر ولا يعتبرونهم من أهل البلاد الأصليين"، وشخصياً لا أعرف أحداً في المحيط الاجتماعي الذي عايشته ولازلت أعايشه في نجد يصف أهلنا في الحجاز بأنهم كذلك، وإذا كان بعض سفهاء العوام يردد مثل ذلك فإنه لا يصح

تعميم الصورة على كل أهل نجد أو أي منطقة أخرى لوصف مشاعرهم تجاه أهل الحجاز، فتصرفات القلة من الجهلة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون معياراً لقياس رأي المجتمع ولا سيما عند المثقفين من المتعلمين كالدكتورة سهيلة!!

ولو كان الأمر كما تقول الكاتبة الفاضلة لأخذنا بشكوى بعض النجديين مما يردده بعض سفهاء عوام الحجاز من تعريف أهل نجد على أنهم مجرد أهل بادية يفتقرون إلى المدنية حتى إن بعض الحجازيين لا يميزون بين أهل بادية نجد الذين اشتغلوا في الماضي بالرعي والترحال وأهل حاضرتها الذين اشتغلوا بالزراعة والتجارة وقطنوا المدن والقرى، ولكننا لن نفعل لأننا نعرف أن كلام الرعاع والجهلة من العوام لا يؤاخذ به العقلاء!!

٢) تقول د. سهيلة في كبوة كبيرة " ويبدو أن هذه النظرة للحجازيين قد تربوا في بيوتهم عليها، فلم يتلقوا هذا في مناهجهم الدراسية، وقد تربوا على خطأ كبير"، ولو أخذت من مقالة الدكتورة سهيلة هذه الفقرة لكفتني للتدليل على سقوطها ضحية للحظات انفعالية غلبت فيها ثقافة العوام على ثقافة النخبة، فانساقت خلف رؤية ضيقة لا يصح أن تصدر عن كاتبة محترمة مثلها!! فهل تريد الأخت الفاضلة أن تقول لنا إن ما يردده بعض سفهاء عوام أهل الحجاز ممن لا يحسبون على عقلائها بأن أهل نجد مجرد رعاة غنم بدو هبطت عليهم المدنية من غير ميعاد، وما يقولونه كذلك عن أهل الجنوب من عبارات وصفات دالة على الغطرسة والاستعلاء هي أخلاق يتلقاها هؤلاء العوام الجهلة في بيوتهم الحجازية أيضا؟! لأنني بكل صراحة لا أجدها أيضا في مناهجنا الدراسية التي تدرس في مدارس الحجاز الحكومية والأهلية!! إلا إذا كانت الأخت سهيلة ترى أنه يجوز لسفهاء الحجاز ما لا يجوز لسفهاء نجد وغيرها!! وهذا كلام نؤاخذ الكاتبة الفاضلة عليه ولا نقبله من مثلها!!

٣) تكرر د. سهيلة زين العابدين صفتي "طرش البحر" و "بقايا الحجاج" وتوردها كصفة اخترعها غير الحجازين - تقصد النجديين طبعاً - لوصف الحجازيين، متناسية حقيقة أن لفظة طرش البحر هذه خرجت من أهل الجحاز أنفسهم لتمييز أهلها الأصليين عن غيرهم ممن تخلفوا عن قوافل الحجاج قديماً للإقامة في مكة والمدينة وجدة، و ليس في اللهجة النجدية أي أصل لكلمة "طرش" سواء عند باديتها أو حاضرتها ولم يلتقطها أهل نجد إلا من أهل الحجاز أنفسهم!!

٤) تقف د. سهيلة كثيرا عند مسألة " أل " التعريف وأن أهل نجد يعتبرونها وسيلة لتعريف الأسر وتمييز أصيلها عن غير أصيلها، وهذا خطأ آخر وقعت فيه الدكتورة حيث إن أهل نجد وحتى عهد قريب من تأسيس الدولة السعودية لم يكونوا يستخدمون " أل " التعريف في التعريف بالأسر، بل إن كبار السن في أسر اليوم يتذكرون أن جميع أسر حاضرة نجد كانوا يعرفون أفرادها بـ "ابن فلان" فهذا ابن سعود و هذا ابن معمر و هذا ابن رشيد و هذا ابن طواله و هذا ابن سويلم وهذا ابن جبير و هذا ابن سيف و هذا ابن صالح.. إلخ و هكذا لم يكن لـ "أل " التعريف وجود في ثقافة أسماء الأسر النجدية!!

و لا يمكن لأي عاقل في نجد أن يقف عند "أل" التعريف كوسيلة لتمييز أسر الحجاز، فأسر الحجاز الكريمة معروفة عند أهل نجد، ولكن للنجديين وغيرهم بعض الحق في الشعور بالارتباك بسبب توطن الكثير من الوافدين في مواسم الحج والتجارة في الحجاز من البلاد الأخرى من داخل الجزيرة وخارجها قبل تأسيس الدولة السعودية وخاصة في مدنها الكبرى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة واختلاط الأسماء بشكل بات يربك حتى بعض الحجازيين أنفسهم!!

٥) تدرك ولا شك الأخت الكريمة أن تغييراً ديموغرافياً كبيراً قد طرأ على التركيبة السكانية لمدن الحجاز الرئيسة مكة والمدينة وجدة على مر السنين، حتى بات

سكان قبائلها الأصلية كما عرفت في العصور السابقة أقلية بالنسبة لمن استوطنوها في العصور اللاحقة سواء من داخل مناطق الجزيرة أو خارجها وخاصة من أفريقيا وآسيا، وهي وإن كانت تصر على أن كل سكان الحجاز من أهلها الأصليين إلا أننا لا نستطيع أن نوافقها لمجرد إرضائها، فالحقيقة أكبر من أن تحجب، بل إننا نصرّ على مخالفتها من منطلق ضرورة اعترافنا بفضل هؤلاء القادمين على مر العصور وعرفاننا لما أضافوه لمجتمعنا من قيمة حضارية وإنسانية وإسهام غني في بناء الوطن ودفع مسيرته، وهم اليوم أبناء لوطن موحد شامخ يفخر بهم جزءاً أصيلا من كيانه!!

٦) حصرت د. سهيلة الحجاز في منطقة جغرافية لا تخرج عن مكة والمدينة وجدة، ثم ذكرت بأن أهل الحجاز هم أبناء قريش والأوس والخزرج، وأشارت بحياء إلى غيرهم بلفظة القبائل الأخرى مغفلة حقيقة أن مساحة الحجاز الجغرافية لا تقف عند هذه المدن الثلاث، كما أن سكان الحجاز تشكلهم أيضاً قبائل عربية هامة وكبيرة مثل حرب وعتيبة وهذيل وثقيف وغيرها من القبائل التي أسهمت في صناعة تاريخ الحجاز منذ عصر النبوة وحتى اليوم!!

٧) لا أرى عيبا في جواب الدكتورة عزيزة المانع على سؤال الأستاذ عبدالعزيز قاسم عن الفارق بين الحياة في نجد والحجاز حين أجابت " كان أهل الحجاز أكثر تمدنا في الأطعمة واللباس والأثاث وفي بعض العادات، كما كانوا وربما مازالوا أقل تشبثاً بالتقاليد المتوارثة، وهذا كله يعطي الحياة طابعا أجمل "، ولا أدري ما الذي أثار الدكتورة سهيلة في هذه الإجابة إلا ربما إغفالها حقيقة أن أهل الحجاز كانوا أكثر تعلماً، وهو ما دعا الدكتورة سهيلة للإسهاب دون ضرورة في امتداح المكانة الحضارية للحجاز ودور الحجاز في نشر الرسالة النبوية وكون الحرمين ظلا مقصد كل طالب علم بما فيهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولا أحد ينكر حقيقة أن الحجاز بمدنه الثلاث كان أكثر تطوراً من الناحيتين

المعمارية والتعليمية، وهذا أمر طبيعي للمكانة المهمة التي احتلتها المدن الثلاث بفضل المكانة الدينية الشريفة، وكان يمكن للحجاز أن يكون أكثر تطوراً وازدهاراً لولا أنه ظل إقليما تابعا منذ انتهاء عصر الخلافة الراشدة، فتحولت العواصم الإسلامية في الشام والعراق ومصر على مر العصور الإسلامية الزاهرة إلى مراكز الاستقطاب والنمو والنهظة.

ولكن نجد اليوم هي غير نجد الأمس تماما كحال جميع المناطق السعودية وميزة التقدم العلمي هذه لم تعد قائمة للحجاز دون غيرها من المناطق، فأكثر من ستين عاماً من قيام الدولة السعودية ضمن لجميع المناطق السعودية أن تلحق بركب الحضارة والتطور المعرفي، واليوم تزدهر الساحة العلمية السعودية بخريجي الجامعات والمؤسسات الأكاديمية من كل المناطق السعودية دون أي تمييز لمنطقة على أخرى ولا ينكر ذلك إلا من في قلبه "غل" أو مازال أسيراً لنظرته الضيقة وطريحا لفراش مرض استعلائه!!

٨) بالغت الدكتور سهيلة في ربط الحجاز بالحضارات الفارسية والبابلية والآشورية والفينيقية بينما عايرت نجد بأنها لم تقم فيها أي حضارة غير مملكة كندة، وهذا لعمري كلام لا يجب أن يصدر عن كاتبة مرموقة كالدكتورة سهيلة؛ فنجد والحجاز وكل أرجاء الجزيرة العربية باستثناء اليمن وبعض أجزاء شمال الجزيرة ظلت على بداوتها وجهالتها الحضارية حتى ظهور الرسالة النبوية الشريفة ولا يمكن أن نعتبر قيام بعض الروابط التجارية الأحادية الجانب على أنها صلات حضارية فانعكاس الحضارة يكون أكثر وضوحاً وعمقاً كما هو الحال في بلاد الشام وفلسطين ومصر والعراق!!

٩) تقول الدكتورة سهيلة "إن أهل الحجاز هم أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم" وهذا خطأ آخر أوقعها فيه تعصبها، فليس كل أهل الحجاز أحفاد الرسول ولا حتى كل قريش ولا حتى كل بني هاشم ولا حتى كل بني عبدالمطلب، بل إنه ليس

للرسول صلى الله عليه وسلم أحفاد أبداً وإنما أسباط ينحدر منهم من يعرفون اليوم بالأشراف، وقد يكون غيرهم من بني عمومته صلى الله عليه وسلم ولكنهم بكل تأكيد ليسوا من نسله الشريف، ولهذا آمل من الدكتورة أن تكون أكثر دقة في اتباع منهج علم الأنساب، وهي تنسب أحداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة في هذا الزمان الذي اختلط فيه الحابل بالنابل من مدعي نسبه الشريف في مختلف أصقاع الأرض!!

١٠) تقول الدكتورة: "هذا التمايز يضر بالوحدة الوطنية" وهذا أمر أوافقها عليه غير أن مقالها جاء مخالفاً له، ومن يقرأ إجابة الدكتورة عزيزة المانع التي قادت إلى هذا المقال الساخن للدكتورة سهيلة زين العابدين يشعر كما لو أن الدكتورة سهيلة أرادت فقط التعبير عما هو مخزون في صدرها، فجواب الدكتورة المانع لا يستحق كل هذه الثورة العارمة من الدكتورة سهيلة بل إنني أستطيع القول إنها حملت جواب الدكتورة المانع أكثر مما يحتمل لمجرد التنفيس عما أرادت تسطيره!!

١١) ترى الدكتورة سهيلة أن أهل الحجاز مظلومون جداً، وأنا لا أدري أين هذا الظلم الذي تتحدث عنه؛ فأهل الحجاز يسهمون في مواقع عديدة في أجهزة الدولة في خدمة وطنهم شأنهم شأن كل إخوانهم من أبناء المناطق الأخرى، بل إن ما لا يمكن إنكاره هو أن نسبة توليهم للمواقع والمناصب القيادية والإدارية المتقدمة تفوق كثيراً نسبتهم بالنسبة لعدد سكان البلاد، وهذا مصدر فخر واعتزاز لأهل الحجاز لا يدع مجالا للشكوى من الظلم أو الغبن!!

١٢) وقبل أن تتهمني الدكتورة سهيلة بالتعصب والاستعلاء أنا الآخر أوضح لها أن انتمائي لقبيلة "هذيل" الحجازية لجهة الأب و"تميم" النجدية لجهة الأم أسهما في تكوين اعتزاز شخصي بهويتي التي لم تجد أي صعوبة في الجمع بين قلب نجدي وهوى حجازي يجعل من انتمائي لكل من الحجاز ونجد مصدر فخر

واعتزاز لا حد له، ولكنه لا يفقدني قدرتي على أن أكون موضوعياً ومتجرداً من العصبية القبلية أو الإقليمية، فنحن اليوم أبناء وطن واحد تذوب فيه كل الفوارق وتتشابك فيه كل الجذور من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه لتكون الأرض الصلبة التي يقف عليها الوطن بكل ثبات وصلابة بكل مكتسباته الحضارية والإنسانية.

اليوم نحن بحاجة إلى من يصهر المشاعر وليس إلى من يبرز النعرات ويظهر الفوارق أو يختلقها ويوقد شرارة العصبيات، فكل بأصله مفتخر وعلينا ألا ننسى أن واجب النخبة من المثقفين والمفكرين والكتاب هو أن يعملوا على صيانة وحدة المجتمع لضمان سلامة مسيرته وهذا لا يكون بالسير خلف ما يردده السفهاء والحمقى من العوام، وإنما بقيادة الصفوف لتنقية المجتمع من شوائبه!!

ولعلها فرصة لدعوة القائمين على الصحف لأن تكون الهوية الوطنية المجردة من النعرات والعصبيات القبلية والإقليمية والمذهبية خطا أحمر لا يجوز لأحد تجاوزه كائنا من كان، فلا يسمح لجاهل أو عامي أو أحمق أو سفيه أو حتى كاتب معروف أن يخوض فيها فيزرع بذور الفرقة والخلاف، فوطننا أعز ومجتمعنا أغلى من كل من يريد أن ينفس عما بداخله من مشاعر مريضة دفينة لا فائدة من ورائها غير زرع الفتنة وإثارة أسباب الفرقة!!

وإنني أتمنى أن تتقبل الدكتورة سهيلة زين العابدين تعليقاتي هذه بصدر رحب يعكس ثقافة القبول بالرأي الأخر ومبدأ الاختلاف كما تدعو دائما في كتاباتها، فللدكتورة مكانة رفيعة في نفوسنا ولولا مكانتها هذه لما كلفت نفسي عناء التعقيب الذي وجدته ضرورياً رغم بغضي الشديد لكل ما يتصل بإثارة العصبيات والنعرات

القبلية والإقليمية والمناطقية التي هي وسيلة تمزيق كل مجتمع ومعول هدم كل حضارة!!

*** كاتب سعودي في صحيفة (عكاظ)**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٠ فبراير ٢٠٠٤ م

## د. عاصم حمدان (*) :

## من أجل الوطن ووحدته ومحبته وتآلفه:
## دعونا من بدوي وحضري وقبلي وخضيري ومبتدع ومتبع

* الكاتبة الفاضلة سهيلة زين العابدين حماد - مدينة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -:

* إن ذلك خير وأشرف عنوان وأكرم وأجل منتدى أخاطبك منه.. ذلك البلد الذي يضم جسد أشرف مخلوق، وأزكى نفس، وأعظم رحمة مهداة للبشرية - جميعاً. سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، شفيع الأمة ووسيلتها إلى رب العباد في يوم المعاد.

* إنني لأعلم نصاعة قلمك، وحسن خلقك، وأنك تربيت في بيت فضل وإحسان وكل مدينة الحبيب صلى الله عليه وسلم فضل وحب ووداعة وإحسان ونور ومدد وضياء.

لقد قرأت مكاشفات الصحافي المتميز الأستاذ الكريم عبدالعزيز قاسم على صفحات الجريدة التي أحببتها منذ سن الطفولة ويفاعة الشباب، قرأت مكاشفاته مع الدكتورة الفاضلة عزيزة المانع، وقرأت مداخلتك معها، وتوقفت عند المداخلة الأولى وتمنيت لو أن غيرك دخل هذا المدخل الصعب مع أن الدكتورة عزيزة - حسب معرفتي - أبعد ما تكون عن هذه الفئوية البغيضة، ولعلك لا تعلمين - يا أختاه - أن والد أبنائها هو من آل المعيقل، ومع أنها أسرة ترجع في جذورها إلى شمال المدينة المنورة ومن قبيلة (بلي) المعروفة، إلا أن آل المعيقل سكنوا الحجاز وخصوصاً مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومنهم جيران لنا في حي العنبرية وقباء، عبدالحميد المعيقل، وعودة وحمدان المعيقل، أما زوج الدكتورة عزيزة الأخ الدكتور عبدالله المعيقل فهو ولد وعاش هو وإخوة له في مدينة جدة، وأسرته من

أكرم من عرفت خلقاً وفضلاً، وكان آل المعيقل في مدينة (ينبع) يعتبرون هكذا - من أهل الصلاح والتقوى، وفيهم من هو حافظ لكتاب الله ومتفقه في دينه، ولو كانت الدكتورة عزيزة تجد في نفسها من أهلنا في (الحجاز) شيئاً لما اختارت شريك حياتها وقدمته على سواه، ولكنها ضربت مثلاً عالياً في كسر بعض التقاليد الفئوية التي إن وجدت عند البعض فإنه لا يحق لنا أن نعممها على الآخرين، ولم تكن الدكتورة عزيزة عند إجابتها لما يتميز به أهل الحجاز عند قولها: (كان أهل الحجاز أكثر تمدناً في الأطعمة واللباس والأثاث وفي بعض العادات) بنافية عن الآخرين تحضرهم في أشياء أخرى ومما خصهم الله به من علم في رحاب المسجدين الطاهرين منذ سالف العصور.

* وأضيف أن الزميل المهذب الأستاذ خالد السليمان والذي أعرفه عن قرب، وسبق لي الاجتماع معه في منزل صديق الجميع الكاتب المعروف الأستاذ سامي خميس، نعم إن الأخ خالد لهو من أكثر الناس سعة أفق، ورحابة فكر، وإنه ليجسد أنموذج المثقف الواعي والوسطي والمعتدل، وهو ينتقد التشدد أينما وجده في هذا الجانب أو ذاك، وقلة من كتابنا اليوم ممن يجسدون هذا السلوك، فالانتقال من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ومن هذا الأخير إلى ذاك الأول هو سمة البعض مما أحدث تشويشاً واضطراباً فكرياً مدمراً، وقلت من قبل إن الذين يكونون في أقصى الجانبين لن يكون بمقدورهم أن يحجزوا مقاعد لهم في الوسط؛ لأن دواخلهم غير مهيأة لذلك.

إنني لأعلم أيتها الكاتبة مقدار غيرتك على محارم الله، ودفاعك عن لغة القرآن، ووقوفك إلى جانب من نادوا منذ عقدين من الزمن بالحفاظ على هويتنا الفكرية والأدبية، وأعلم أنك ربما اختلفت مع الآخرين، ولكن هذا لا يمنعك من مراجعة هذه الوقفة الأخيرة التي لم تكن المداخلة فيها مع الدكتورة المانع إلا تنفيساً عن كلام سمعته يا أختاه من سفهاء القوم حتى وإن كانوا على قدر من التعليم، أما

العقلاء والحكماء فإنهم أكثر ما يكونون حرصاً على تماسك وحدة الوطن وعدم التفريط فيها، إن بيننا يا أختاه من يستعمل مثلاً كلمة (بدوي)! في موضع التحقير، ولكنه أيضاً من فعل السفهاء، فكلمة (بدوي) تعني البساطة والشهامة والكرم، ولقد سمعتها في بعض أوساط المثقفين فرفعت صوتي منكراً لها، فوالدتي من بادية حرب المشهورة، ولكنها منذ سكنت المدينة الطيبة منذ حوالي نصف قرن من الزمن أو أكثر لا تريد مفارقة الجوار الطيب، وهي تحدثني عن العنبرية وقباء والتاجوري وحوش مناع وحوش عميرة وزقاق جعفر وحوش شنان أكثر مما تحدثني عن مرابع طفولتها في الفقرة وعرقوس.

* ومع أن والدي يعود في جذوره إلى قبيلة (غامد) المعروفة إلا أن خؤولته في حاضرة المدينة، وقليل من يعرف أن الرجل الذي كان يعتمر العمامة الحجازية الصفراء ويجالس السيد عباس حماد المنفلوطي وعثمان أبو عوف والسيد عباس سقاف، والسادة حيدر مشيخ وعبدالله بافقيه وعبيد مدني وأحمد محضار، هو الرجل الذي كنا نرى في مجلسه مشائخ حرب من آل عساف وغيرهم، ونفر من أسرة آل الخريجي والتركي والدخيل وهي أسر كريمة سكنت المدينة واندمجت في هذا المجتمع الحضاري، وأضحت جزءاً منه، وكان يعلمني ويحفظني على فطرته هذا البيت الشعري الصادق:

**كن ابن من شئت واكتسب أدباً**

**يغنيك محموده عن النسب**

ومع معرفته - رحمه الله - بأنساب الحاضرة والبادية - معاً - كان إذا سئل عن نسب بعينه احمرت وجنتاه واكتفى بالقول: الأصل طيب. وقال لواحد من أهل العلم يوماً في معرض سؤاله عن نسب أسرة معينة في المدينة: لقد عاش بيننا - أي في المدينة - أناس لم يكونوا أبناء أحرار، ولكن فعلهم كان فعل أبناء الأحرار، نعم، إنه الفعل يا أخت (سهيلة)، وإنني لأبكي حرقة اليوم من وضع سيئ تردى البعض

فيه، فإذا اختلفنا - مع بعضنا البعض عير أحدنا الآخر بأصله أو صنعة آبائه وأجداده، ويفترض أن تقود أقوال المحبة والألفة وسلوكيات الحكمة المجتمع إلى شواطئ المحبة والوداد، وإنني لأرفع صوتي قائلاً: دعونا من حضري وبدوي وخضيري وقبلي ونجدي وحجازي وشمالي وجنوبي وأصيل ودخيل وصوفي وسلفي، وشيعي وسني، ندعو الله أن نجتمع على لا اله إلا الله، محمد رسول الله وعلى حب هذا الوطن، وألا نفرط في مكتسباته الوحدوية والاجتماعية والحضارية.

*** أستاذ الأدب بجامعة الملك عبدالعزيز**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٤/ ١ / ١٤٢٥ هـ الموافق ٥ مارس ٢٠٠٤ م

## عدنان موسى التمبكتي*:

# الأصالة كلمة يختلف في مفهومها

أعجبني التعقيب الذي نشره ملحق الرسالة يوم الجمعة ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٤هـ للأستاذ خالد السليمان لموضوعيته وعدم تشنجه ولأسلوبه الراقي في الخطاب وعدم الحط من قيمة الرأي المخالف، وقد شجعني أسلوب الكاتب على قراءة التعقيب لأكثر من مرة وقد خرجت من التعقيب بملاحظة وثلاث وقفات وهي:

**أولاً:**

**الملاحظة:**

يقول الأستاذ بالنص: (وشخصياً لا أعرف أحداً في المحيط الاجتماعي الذي عايشته ولا زلت أعايشه في نجد يصف أهلنا في الحجاز بأنهم كذلك - يعني من يصفهم ببقايا حجاج -) وأترك التعليق على هذه الملاحظة.

ولكي نأخذ بقول الأستاذ اللبق، يجب أن نأخذ استطراده حيث يقول: (إذا كان بعض سفهاء العوام يردد مثل ذلك فإنه لا يصح تعميم الصورة على كل أهل نجد أو أي منطقة أخرى لوصف مشاعرهم تجاه أهل الحجاز، فتصرفات القلة من الجهلة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون معياراً لقياس رأي المجتمع ولا سيما عند المثقفين من المتعلمين كالدكتورة سهيلة) تعليل مقبول لأن الأستاذ لا نعتقد أنه يجالس الجهال ومن وصفهم بأنهم سفهاء.

ويقول الأستاذ خالد في فقرة تالية: (تكرر الدكتورة سهيلة زين العابدين بصفتي طرش البحر وبقايا الحجاج وتوردها- كصفة اخترعها غير الحجازيين - تقصد النجديين طبعا) - وهي إضافة توضيحية للأستاذ خالد السليمان)، لوصف الحجازيين متناسية أن لفظة طرش البحر هذه خرجت من أهل الحجاز أنفسهم

لتمييز أهل الحجاز الأصليين عن غيرهم ممن تخلفوا عن قوافل الحجاج قديماً للإقامة في مكة والمدينة وجدة).

ثم يقول: (ولكن للنجديين وغيرهم بعض الحق في الشعور بالارتباك بسبب توطن الكثير من الوافدين في مواسم الحج والتجارة في الحجاز من البلاد الأخرى من داخل الجزيرة وخارجها قبل تأسيس الدولة السعودية وخاصة في مدنها الكبرى مكة والمدينة وجدة).

ثم يقول الأستاذ خالد السليمان في فقرة تالية: (تدرك الأخت أن تغييراً ديموغرافياً كبيراً قد طرأ على التركيبة السكانية لمدن الحجاز الرئيسة مكة والمدينة وجدة على مر السنين حتى بات سكان قبائلها الأصلية كما عرفت في العصور السابقة أقلية..... إلخ).

ليس هدفي أن أقول إن الأستاذ خالد يقول ضمنا بمخلفات الحجيج وهذا من الآراء التي أوافقه عليها لأن نظرته إلى التركيبة السكانية لحواضر الحجاز أو أي حواضر في العالم تنطبق على الحجاز ونجد ومصر وسوريا والرباط وإذا عايرناهم على ذلك - أي أهل الحجاز- على الهجرة إلى الحجاز فإن ذلك لا يخص سكان مدن الحجاز فقط، بل يشمل أيضا قبائله، وإذا عايرناهم على كونهم أبناء مهاجرين فإننا نعايرهم باستجابة الله عز وجل لدعاء نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ وإجابة هذه الدعوة لا نستطيع عمل أي شيء تجاهها. ولا بمقدور الثقلين الحؤول دونها.

## وأما الوقفات التي أود أن أناقشها هي:

### الأولى:

أكثر الأستاذ من كلمة أهل الحجاز الأصليين. هنا أود أن أتساءل عن مفهوم الأصالة. أهي صفة مكتسبة أم هي صفة غير مكتسبة وعندئذ تكون غريزة تولد مع الإنسان وليس إلى اكتسابها سبيل بل هي كفصيلة الدم +o أو +A؟ وإذا قلنا بالقول الأول فإننا سايرنا حكم الله والفطرة، أي يمكن اكتسابها ككل الصفات الحميدة في

الإنسان مثل الكرم والشجاعة والصدق لأن هذه الصفات موجودة في كل البشر، لكنها تتفاوت في الناس والمجتمعات، وإذا قلنا إنها صفة لا يمكن اكتسابها فقولنا منكر يتعارض مع الشرائع الإلهية والطبيعة التي أودعها الله في الأحياء، وعندئذ سنكون قد جردنا كل شيء من معناه، ونفينا الأصالة والمواطنة واعتبرناهما شيئاً لا وجود له؛ لأننا حينئذ سنقول إن العرب المستعربة ليسوا عرباً مع أنهم يشكلون شطر العرب؛ لأن جدهم إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام أتى من العراق ثم إلى فلسطين ثم إلى الحجاز ومنه تفرع عرب نجد.

وإذا نزلنا قليلا في التاريخ نقول إن الأنصار ليسوا من الحجاز؛ لأنهم من أزد وهي من اليمن، وإذا نزلنا أيضاً قليلاً نقول إن قبيلة حرب ليست من الحجاز والمعروف أنها تشكل أكبر تجمع قبلي في الحجاز ولكونها هاجرت أو نزحت (أقول نزحت لنبتعد عن حساسية كلمة الهجرة التي رأى رسول الهدى أنها شرف لأنه قال: لولا الهجرة لكنت من الأنصار) من اليمن في القرن الثالث الهجري وما تلاه حسب ما تقول كتب التاريخ والأنساب. ونقول مثل ذلك عن طي. وكل القبائل التي تنتسب إلى قحطان.

## والوقفة الثانية:

وإذا قلنا بأن الأصالة يمكن اكتسابها مع المواطنة عن طريق التقادم حسب ما تقول به الطبيعة والحقيقة فإن القبائل المشار إليها آنفاً وكل التجمعات البشرية أصيلة.

ويرى الآثاريون أن كل ما زاد عمره عن مائتي عام فهو أثر من الآثار، وبهذا الحكم يمكن أن نحدد الأصالة أو المواطنة؛ لأن بهذا الزمن تكون الأسرة قد انقطعت صلتها بجذورها هذا إذا كان لها جذور غير جذور الوطن الجديد، فمثلاً أي عربي عاش في أمريكا مدة تزيد عن مائة عام يكون قد انسلخ عن المجتمع العربي والتحم في المجتمع الأمريكي ويشعر بشعور أهل الوطن الجديد، أما إذا كان له من نفس جذور المجتمع الجديد فإن نفي الأصالة عنه يكون من المحال وضرب من المستحيل.

مثلا لو قال أحد سكان حواضر الحجاز - ممن تخلف أجداده في الحجاز منذ مئتي سنة - يا أخي لماذا تنفي عني الأصالة والمواطنة الحقة لهذا البلد؟ فأنا من أب هذلي، وقد لبى أجدادي نداء الجهاد بنشر الإسلام، فذهبوا إلى الشام ثم إلى مصر ثم إلى المغرب الأقصى، ثم نالوا شرف الشهادة على أرض الأندلس، وكما استشهد حفيده في معركة بلاط الشهداء وكان قد كون أسرة في الأندلس ثم بعد خروج المسلمين من الأندلس عادت هذه الأسرة واستوطنت في الشمال الإفريقي ثم عادت هذه الأسر إلى أرض الأجداد (أرض الشفاعة) وأما أمي فهي تميمية كانت أسرتها مثل أسرة أبي، فقد انحدرت من مدينة الزبارقة الواقعة في الجنوب الشرقي من الأندلس والتي سميت بهذا الاسم لكون معظم سكانها من نسل الزبرقان بن بدر التميمي وهو أشهر من أن يعرف.

وإذا قلنا إن قبيلة حرب لا تختلف كثيرا عن قبيلة باهلة في أصالتها أو طي لأنها موجودة في الحجاز لأكثر من ألف سنة. وإذا سلمنا بهذا وأقررنا بهذه الحقيقة وأتانا من ينسب إلى نسل الإمام محمد الشوكاني الذي هاجر من تلك المنطقة إلى الحجاز في القرن الثالث عشر الهجري إلى أرض الأمان ومهبط الإسلام وقال: لماذا تنفون عني الأصالة وأنا أيضاً قادم من تلك الأرض إلى الأرض الآمنة التي (من دخلها كان آمناً) ولم يكن أجدادي قد أتوا لكسب الجاه أو المال؟ وأيضا ماذا سنقول لمن يقول: إن أبي أتى من نيسابور وأمي أتت أسرتها من بلاد ما وراء النهر وكلا الأسرتين قدمتا في القرن التاسع الهجري، ولم يكن الكسب المادي للعيش الرغد هو هدفهم، وإنما هدفهم هو الحصول على الفضائل التي اختص بها الله أرض الحجاز، ثم وقف أمامنا هذا الإفريقي ليقول: لماذا لا تعترفون بأصالتي في هذا الإقليم وأنا ابن أولئك الذين دخلوا الإسلام لا هرباً من الجزية ولا طمعاً في المال بل أسلم أجدادي اقتناعاً وقد رغبوا في الفضائل المختصة بأرض الحجاز

وقدموا في القرن الثاني عشر، وأدوا فريضة الحج، وبقوا بعد الحج وقد خدم أجدادي هذا البلد خدمة لم يخدمها غيرهم في جميع نواحي الحياة، منا المدرس الذي قيل عنه متقن السنن، ومنا أئمة الحرمين. لماذا تمنع عني الأصالة؟ وإذا قال أحدهم: أنا أسلم أجدادي نتيجة جهود تجار المسلمين في الطرف الجنوبي الشرقي من الكرة الأرضية وصحيح أني لست من العرق العربي إلا أنني حسن إسلامي وقد قدم جدي في القرن التاسع الهجري، ولم يكن هذا الجد يرغب في الحصول على وظيفة بل كان غنياً بدليل الأوقاف التي أوقفها ولم يكن يطمع سوى بالجزاء الكريم.

هذا هو المجتمع الحضري في الحجاز وميزته في تنوعه هذا ليس ضرب من الحظ وخبطة من الخيال، بل هو حتماً استجابة الله لدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ صدق الله العظيم. الآية ٣٧ من سورة إبراهيم.

وهذا التنوع يختلف عن تنوع الشعب الاسترالي والأمريكي، تنوع يتسم بالأصالة والطهر، وقد سجلت لنا كتب التاريخ طهر ونظافة عروق أولئك الذين كونوا هذا المجتمع، فهم مهاجرون قدموا من أصقاع العالم الإسلامي للطهارة والعبادة وهؤلاء وصفوا بأطيب الأوصاف، وعلى سبيل المثال يصف صاحب كتاب (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب) عبدالرحمن الأنصاري المتوفى سنة ١١٩٧ وهو كتاب وصفه محققه في المقدمة أنه كتاب له أهميته في التاريخ الحضاري للمدينة المنورة.

يقول مؤلف الكتاب في وصف إحدى الأسر الموجودة الآن في المدينة: أصلهم القاضي أحمد المغربي المالكي الفريابي نسبة إلى قرية من أعمال مدينة تونس الخضراء ترجمه السيد محمد السمرقندي في تاريخه (قدم المدينة سنة ٩٠٠ هجرية وتولى بها قضاء المالكية.. إلخ) وذكر أنه يرجع في أصله إلى سيدنا محمد

ابن الحنفية ص٩١، كما ترجم لأسرة أخرى وقال إن أصلهم العلامة الفاضل علي أفندي بن عبدالرحمن المجاور الصالح الفالح... قدم إلى المدينة سنة ١١٤٠هـ وكان شريكنا في طلب العلوم وبرع في المنطوق والمفهوم وكان صاحب ثروة وحسن الحظ والخط، وله أخلاق رصينة وكمالات مرضية وهمة عالية..... إلى آخر الترجمة، فالتنوع في أي عصر لم يكن يعيب أي مجتمع، فكيف بهذا العصر الذي زالت فيه العروق، وأصبحت المجتمعات تتفاخر بالتنوع وعدم وجود فوارق أو عصبيات؟

**وأما الوقفة الثالثة:**

فهي أيضا مع الأصالة التي أرى أنها شيء نسبي يمكن أن يختلف في مفهومها اثنان دون أن يفسد ذلك للود قضية ولا يخدش للاحترام والأدب ثوباً. وأعني بها أن الأستاذ خالد السليمان القبلي الأرومتين لا يستطيع أن يقول لي إن جميع سكان مدينته على نفس مستوى نقائه القبلي، فنجد أيضاً أسراً ليست قبلية.

وقبل أن أختم هذه الوقفات أود أن أشير إلى تصحيح معلومة لدى الأستاذ خالد وأعتقد أنها ليست من اختراعه ولا من استنتاجه وإنما منقولة إليه وإن لم تكن ذات أهمية إلا أن مثله لا يجب أن يحتفظ بمعلومة خاطئة طالما أنه يعتقد أنها صحيحة؛ لأنه ممن يؤخذ بمعلوماته على أنها مسلمات، وخشيتي أن تكون هذه المعلومة من المسلمات ولما تحمله من خطورة وحزازات بين أبناء الإقليم الواحد وهي أن كلمة طرش البحر أطلقها أهل الحجاز الأصليين، وأعتقد أنه يقصد بأهل الحجاز الأصليين أبناء قبائل الحجاز، والحقيقة أن أبناء القبائل - إذا كان تفسيري صحيحاً - لا يسمون سكان المدن في الحجاز والتي هي مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع بطرش البحر بل يسميهم جميع أبناء القبائل المحيطة بهم (أهل البلد) كما يسميهم أهل الجنوب بالحضر وقد تحضر كثير من قبائل الحجاز بل يشكلون نخبة المجتمع في الحجاز الآن.

وأخيراً يا أخي خالد أنا نجدي الهوى عشت في نجد منذ عقود وهناك مقولة تقول إن من يعش في الرياض - أي في نجد - عشرين عاماً لن يستطيع الخروج منها، فما بالك بي وقد عشت فيها قرابة أربعين عاماً وجدت فيها إخوة لم تلدهم أمي، ولو طلب مني وصف نجد لقلت إنها قلعة محصنة مكسوة بأخلاق العرب ومفروشة بفضائل الإسلام، أهلها أهل نخوة عند الحاجة عصبة في الجيرة لا يضام جارهم ولا يخيب المستفزع بهم إذا أحبوك ناصروك وإذا احتجتهم لا يخذلونك ولكل قاعدة شواذ، وأزيدك من الشعر بيتاً، أن من قرابتك يا أخ خالد من أقرّ له بالفضل ولكن هو الاختلاف في الرأي الذي لا يفسد للود قضية حيث ورد هذا المعنى أو التوجه في تعقيبك والله من وراء القصد.

**❖ باحث سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢١/ ١/ ١٤٢٥ هـ الموافق ١٢ مارس ٢٠٠٤ م